ما بعد دولة الخلافة

الأيديولوجيا، الدعاية، التنظيم والجهاد العالمي

هل سيعود تنظيم داعش من جديد؟

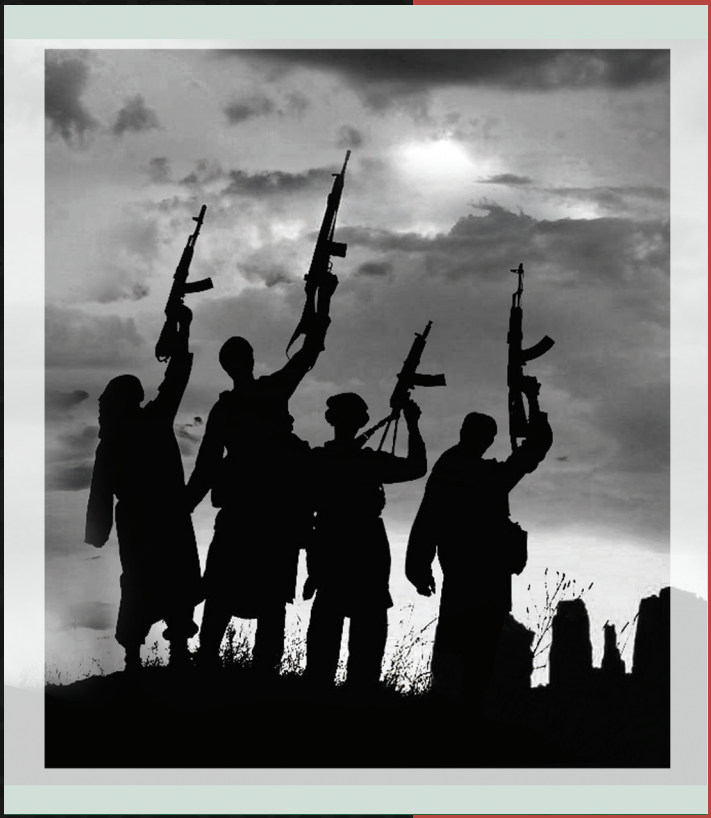

إشراف وتقديم

د. محمد أبو رمان

معهد السياسة والمجتمع للأبحاث والدراسات
Politics & Society Institute

FRIEDRICH EBERT STIFTUNG

فريق تحرير
حسين الصرايرة
علاء عقل
أنس الدباس
عبدالله محمد
الطائي
بشار أبو رمان

«ما بعد دولة الخلافة»: الأيديولوجيا، الدعاية، التنظيم والجهاد العالمي

هل سيعود تنظيم داعش من جديد؟

إشراف وتقديم
د. محمد أبو رمان

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية
(2021/10/5700)

286

أبو رمان، محمد سليمان

تنظيم « ما بعد دولة الخلافة»: الأيديولوجيا، الدعاية، التنظيم والجهاد العالمي هل سيعود تنظيم داعش من جديد؟» / محمد سليمان أبو رمان ومجموعة باحثين.- عمان: مؤسسة فريدريش ايبرت، 2021

(245) ص.

ر. إ.: 5700 / 2021/10.

الواصفات: /الخلافة//تنظيم داعش//الامن//الفكر الجهادي//الجماعات المسلحة//الدولة الاسلامية

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

الناشر مؤسسة فريدريش ايبرت ، مكتب الاردن و العراق

تم بتشولات، المدير المقيم لمؤسسة فريدريش ايبرت – الأردن والعراق

مؤسسة فريدريش ايبرت – مكتب عمان
صندوق بريد: 941876 عمان 11194 الأردن
البريد الالكتروني: Amman@fes.de
الموقع الالكتروني: www.jordan.fes.de

غير مخصص للبيع

مؤسسة فريدريش ايبرت ، مكتب عمان©
جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب لأو أي جزء منه أو تخزينه أو استنساخه أو نقله، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأي وسيلة، سواء بطريقة الكترونية أو آلية، بما في ذلك الاستنساخ الفوتوغرافي، أو التسجيل أو استخدام أي نظام من نظم تخزين المعلومات واسترجاعها، دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر

الآراء الواردة في هذه الدراسة لا تعبر بالضرورة وجهات نظر مؤسسة فريدريش إيبرت أو المحرر. ويتحمل كل كاتب مسؤولية ذاتية عما عبر عنه مضمون الجزء الذي كتبه.

• تصميم الغلاف: جهاد غرايبة
• التصميم الداخلي: أنيسة رحيل
• المراجعة: يوسف إبراهيم، مدير برامج، مؤسسة فريدريش ايبرت

الرقم المعياري الدولي (ردمك): 978-9923-759-36-3

فهرست

فهرست 3

تقديم: هذا الكتاب.. 5

الباحثون والخبراء المشاركون في الكتاب 7

المقدّمة: مستقبل داعش ما بعد «انهيار دولته» 11

الفصل الأول | مرحلة ما بعد الخلافة: الأيديولوجيا والدعاية والتجنيد 27

دراسة في تحولات «إعلام الخلافة» بعد خسارة الأراضي 29

> تشارلي وينتر *29*

الأبنية الفكرية لداعش وتحولاتها إلى ما بعد التمكين 49

> ماهر فرغلي *49*

المناقشات 64

الفصل الثاني | تقبل داعش في سورية والعراق 71

مستقبل داعش في سورية والعراق.. التحولات والسيناريوهات 73

> د. محمد العظامات *73*

المناقشات 89

الفصل الثالث | داعش آليات التكيّف العسكري والاستراتيجي في مرحلة «ما بعد الخلافة» 101

داعش في ساحة المعركة ما بعد الخلافة: من رايات الفتح إلى التمرد الأزلي 103

> براين غلين ويليامز *103*

إعادة تنظيم الصفوف: محاربو الصحراء الصامدون يعيدون تشكيل قواتهم 103

النسخة الجديدة من داعش تعود إلى صيغة التمرد 127

المناقشات 144

الفصل الرابع | تركة داعش البشرية: العائدون والمعتقلون وبرامج التأهيل 159

مخيم الهول .. تعقبٌ للمعطيات واستشرافٌ للحلول 161

> د. علي طاهر الحمود *161*

> د. أحمد قاسم مفتن *161*

المناقشات 184

الفصل الخامس | استراتيجيات وسياسات مكافحة التطرف والإرهاب **195**
مكافحة التطرف: الاستراتيجية الوطنية الأردنية إنموذجاً 197
> د. سعود الشرفات *197*
المناقشات 212

الفصل السادس | مستقبل الجهادية العالمية: اتجاهات ومقاربات **221**
انشطار الجهادية العالمية.. المدارس والاتجاهات 223
> حسن أبو هنيّة *223*
ما بعد الخلافة ومستقبل الجهادية في أفريقيا 235
> عباس محمد صالح عباس *235*
المناقشات 238

تقديم
هذا الكتاب..

يمثّل هذا الكتاب حصيلة أوراق بحثية ونقاشات علمية جاءت ضمن وقائع الورشة البحثية المغلقة التي عقدها معهد السياسة والمجتمع بالتعاون مع مؤسسة فريدريش أيبرت في عمان، في 17-18 حزيران 2021، عبر تقنية الزووم، وشارك فيها نخبة من الباحثين والخبراء والمتخصصين العرب والغربيين والأردنيين، أغلبهم حضر جميع الجلسات التي جاءت مكثّفة على مدار يومين، وبعضهم شارك في بعض الجلسات والمناقشات والتعقيبات.

حاول المشاركون في المؤتمر سبر أعماق التداعيات والنتائج المترتبة على انهيار «دولة داعش» في العراق وسورية، سواء على صعيد المنظمة نفسها وقدراته في التجنيد والدعاية السياسية والإعلامية والتعبئة والصلابة الأيديولوجية والتماسك التنظيمي، أم على صعيد قدرة التنظيم على النهوض والصعود مرّة أخرى، كما فعل في مرحلة سابقة عندما تعرض لضربات قاسية 2007-2009، لكنه تمكن من القيام بعملية إعادة هيكلة لأطروحاته الأيديولوجية والفكرية وبنائه التنظيمي، واستثمر في لحظة الربيع العربي وهشاشة الأنظمة القائمة ليسيطر على مساحة واسعة من العراق وسورية، ويشكّل إحدى أكبر الدول في المنطقة، لأعوام محدودة.

من ضمن القضايا التي طرحت للنقاش مدى قدرة التنظيم على تشكيل خطر – على المدى القريب- على الأمن الدولي أو الأمن الإقليمي (منطقة الشرق الاوسط) وعلاقة التنظيم المركزي بالتنظيمات والفروع العديدة في أسيا وأفريقيا والعالم العربي، التي أعلنت تأييدها له وبيعتها لـ«خليفته». ثم هنالك سؤال مستقبل الجهادية العالمية والصراع المحتدم أيديولوجيا وسياسياً بين داعش والقاعدة، وحالة الاستقطاب الواضحة للجماعات والمتعاطفين مع «تيار الجهاد» في مختلف دول العالم، فإلى أي مدى يمكن أن يؤثر «سقوط خلافة داعش» على هذا الصراع، بخاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار أنّ المؤتمر عقد في شهر حزيران، أي قبل قرابة 3 أشهر من سقوط كابول مرة أخرى بيد حركة طالبان مرة أخرى، وهي الحركة التي تحظى بعلاقة وطيدة مع قيادة القاعدة، وقد دخلت في صدام مع امتدادات داعش في أفغانسان (ولاية خراسان).

المؤتمر كان مغلقاً على مجموعة الباحثين والخبراء المشاركين فيه، والسبب في ذلك أنّ الهدف كان هو مناقشة وتطوير المناهج المتعلقة بدراسة «الظاهرة الجهادية» (والمقصود هنا للتوضيح الجماعات الراديكالية التي تتخذ العنف طريقاً بدعوى تطبيق الإسلام) وتعزيز الحوار وتبادل الأراء والخبرات والمعارف وتشاركها بين باحثين متخصصين في هذا الحقل العلمي، فهي مناقشات علمية متخصصة تهدف إلى بناء إطار مفاهيمي ومنهجي أعمق في دراسة الظاهرة وفهمها والوصول إلى خلاصات ونتائج بخصوصها.

ربما من المفيد هنا التأكيد على قناعة معهد السياسة والمجتمع الراسخة بأهمية الانتقال في الجهود البحثية في دراسة المتغيرات والظواهر المختلفة من الجهود الفردية إلى النسق الجماعي، وتشكيل جماعات من الباحثين والخبراء العاملين في حقل معين من حقول البحث لبناء تصورات أكثر علمية ودقة وتوافقية ومناقشة المنهج والأدوات والمفاهيم في الإطار النظري، لنتمكن من بناء مقاربات أكثر تحديداً وقرباً في فهم ما يجري من أحداث ومتغيرات وفي تفسير الظواهر والسياسات والمواقف.

هذا الكتاب، إذاً، يمثل نتاج أوراق ونقاشات وخلاصات «الحلقة العلمية» التي عقدت على مدار يومين من باحثين وخبراء متخصصين في فهم ودراسة «الظاهرة الجهادية»، ومن الضروري هنا أن نتوجه بالشكر لكل من كان له دور مهم ورئيسي في إنجاز هذا المشروع سواء بعقد المؤتمر أو بإخراج هذا الكتاب، ونخص بالذكر حسين الصرايرة، منسق المشروعات في معهد السياسة والمجتمع، وهو منسق المشروع الذي تولي إعداد البرنامج والتواصل مع الباحثين المشاركين والمشاركة في مراجعة الأوراق وتحريرها وإدارة الجلسات، وكذلك الأمر تيم بتشولات، مدير مكتب فريدريش أيبرت في عمان، ويوسف إبراهيم مدير البرامج في مكتب فريدريش أيبرت في عمان، كما نتوجه بالشكر لفريق معهد السياسة والمجتمع الذي عمل على تفريغ النقاشات وإعداد الكتاب وتحريره، ونخص بالذكر علاء عقل وعبدالله محمد الطائي وأنس الدباس وبشار أبو رمان.

محمد أبو رمان

عمان 20 أيلول 2021

الباحثون والخبراء المشاركون في الكتاب

شاركت مجموعة من الخبراء والباحثين المتخصصين في مجال الإرهاب والتطرف ومكافحتهما في أعمال هذا المؤتمر، وقد قدّم بعض الباحثين أوراقاً مشتركة مع باحثين وأكاديميين آخرين، لكنّنا سنعتمدفي القائمة التالية من شاركوا بصورة مباشرة في أعمال الورشة والنقاشات والتعقيبات.

1- الخبراء العرب

ماهر الفرغلي، خبير وباحث مصري متخصص في الحركات الجهادية.

د. خالد سليم، باحث فلسطيني يعمل على رسالة الدكتوراة في جامعة قرطاج في تونس، وهو متخصص في استراتيجيات وسياسات مكافحة التطرف والإرهاب، وخبير في مجال التقييم والتطوير المؤسسي، عمل لأكثر من 25 عاماً في مواقع تنفيذية وإشرافية عليا كخبير دولي في مجالات إصلاح قطاعات الأمن والعدالة وبناء السلم المجتمعي، وبناء القدرات للأفراد والمؤسسات الحكومية والأهلية.

د. علي طاهر الحمود، أستاذ علم الاجتماع السياسي في جامعة بغداد، باحث وخبير عراقي متخصص في قضايا التطرف والإرهاب والإسلام السياسي والتشيع.

د. وليد الراوي، عميد ركن في الجيش العراقي سابقاً، عسكري وكاتب وسياسي عراقي، شغل منصب سكرتير وزير الدفاع في العراق للفترة 1996-2003، له العديد من المؤلفات منها: المنهج السلمي في نشر الدعوة الإسلامية في صدر الإسلام. المقاومة العراقية والمأزق الأمريكي أضواء على الحركات والجماعات الإسلامية المعاصرة. العقيدة العسكرية لدولة الخلافة الإسلامية (داعش). دولة العراق الإسلامية.

د. مؤيد الونداوي، مستشار المركز العراقي للدراسات الاستراتيجية في العاصمة الأردنية عمان. عمل سابقًا مستشارًا سياسيًا في مكاتب عدد من منظمات الأمم المتحدة العاملة في منطقة الشرق الأوسط المقيمة في الأردن. درّس في العديد من الجامعات العراقية. حاصل على شهادة الدكتوراه في العلاقات الدولية من جامعة ريدنغ في المملكة المتحدة.

د. عباس محمد صالح، باحث سوداني وكاتب إعلامي متخصص في شؤون القارة الأفريقية.

2- الخبراء الغربيون

تشارلي وينتر Charlie Winter؛ زميل باحث أول في المركز الدولي لدراسة التطرف (ICSR). يدرس الإرهاب والتمرد، مع التركيز على الاتصال الاستراتيجي عبر الإنترنت. حصل على درجة الدكتوراه في دراسات الحرب في King's College London . وهو زميل مشارك في المركز الدولي لمكافحة الإرهاب في لاهاي.

براين غلين وليامز Brian Glyn Williams، أستاذ التاريخ في جامعة ماساتشوستس، وهو باحث متخصص في التاريخ العثماني وفي منطقة أوراسيا الإسلامية، وفي موضوعات الهوية والقومية في القوقاز وفي الجماعات المسلحة والقاعدة، وله موقع الكتروني خاص به Brian Glyn Williams Home Page

تشارلز لستر Charles Lister، باحث أميركي متخصص في قضايا الإرهاب والتطرف، في المركز الدولي لمكافحة التطرف، وهو زميل زائر سابق في مركز بروكنجز الدوحة، ركزت أبحاثه على الإرهاب والتمرد والتهديدات الأمنية على مستوى ما دون الدولة في منطقة الشرق الأوسط بشكلٍ عام، وبلاد الشام بشكلٍ خاص. في الآونة الأخيرة، ركّز عمله بشكلٍ شبه حصري على تقييم حالة الصراع في سوريا عموماً، وتشكيلة التمرد المناهض للحكومة ومختلف مكوناته الجهادية خصوصاً. وقد تتطلّب ذلك التواصل وجهاً لوجه مع قيادات أكثر من 100 مجموعة معارضة من كافة أطياف المجتمع السوري.

3- الخبراء الأردنيون

د. محمد العظامات، باحث أردني متخصص في الإرهاب والتطرف، عقيد متقاعد من القوات المسلحة الأردنية.

د. سعود الشرفات، باحث أردني متخصص في الإرهاب والتطرف، عقيدة متقاعد من المخابرات الأردنية، ومدير مركز «شرفات لدراسات الإرهاب والعولمة».

د. مروان شحادة، باحث أردني متخصص في قضايا الإرهاب والتطرف، وله العديد من المؤلفات والدراسات المعنية بالموضوع.

حسن أبو هنية، باحث أردني، من فريق معهد السياسة والمجتمع، متخصص في الإسلام السياسي وله العديد من المؤلفات والدراسات.

حسين الصرايرة، منسق المشروعات في معهد السياسة والمجتمع، ومنسق المؤتمر.

د. محمد أبو رمان، باحث في مركز الدراسات الاستراتيجية، وكبير الباحثين في معهد السياسة والمجتمع، متخصص في قضايا الإسلام السياسي.

المقدّمة

مستقبل داعش ما بعد «انهيار دولته»

في 27 تشرين الأول في العام 2019، أعلن الرئيس الأميركي دونالد ترامب عن مقتل زعيم تنظيم ما يسمى الخلافة الإسلامية (أبي بكر البغدادي) في محافظة إدلب بسورية، في عملية أميركية خاصة[1]، بعد أعوام من المتابعة الأمنية المكثّفة من أكبر وأعرق أجهزة الاستخبارات في العالم، تمكّن خلالها الرجل الأخطر عالمياً من الإفلات والاختباء بينما كان أتباعه في مئات الدول يقومون بتنفيذ أجندة التنظيم الذي يقوده، ويحدثون رعباً من أميركا إلى أوربا واستراليا وآسيا وأفريقيا، فضلاً عن العالم العربي.

اعترف التنظيم بمقتل البغدادي، وقد قتل في الوقت نفسه المتحدث باسم تنظيم الدولة، أبو حسن المهاجر، وفي غضون أيام قليلة أعلن التنظيم أنّ الزعيم الجديد هو أبو إبراهيم الهاشمي[2]، ما يؤكّد على أنّ خبرة التعامل مع الحركات الجهادية، ذات الطابع العالمي والإقليمي بالخصوص، مثل داعش والقاعدة، تؤكّد بأنّ استراتيجية «قطف الرؤوس» (قتل القيادات) لا تعني – بالضرورة- نهاية التنظيم أو الرسالة الأيديولوجية له، ما يعني – أيضاً- أنّ تحدي داعش أو تنظيم الدولة الإسلامية على صعيد الأمن الإقليمي أو العالمي، أو حتى الأزمات داخل العديد من الدول لم ينته بمقتل «الخليفة» أو نهاية دولة التنظيم وفقدانه للأراضي التي سيطر عليها.

بالعودة إلى الوراء قليلاً، فلقد شكل تنظيم الدولة الإسلامية – خلال الأعوام الماضية- تحدياً عسكرياً وأمنياً كبيراً لأنظمة الشرق الأوسط الهشة، وقلقاً بالغاً للمجتمع الدولي، ففرض سيطرة مكانية في مناطق عديدة، حيث تجاوز تنظيمات جهادية عالمية سابقة من الناحية الإيديولوجية والاستراتيجية وعمليات التجنيد والاستقطاب، وطرائق الدعاية والإعلام، فقد تجاوزت طموحاته عمليات النكاية والانتقام، إلى تحقيق السيطرة والتمكين، وتمكن من فرض «دولة خلافة الأمر الواقع» في غرب العراق وشرق سورية، وتعدى وجوده إلى دول عديدة بتأسيس ولايات ناشطة.

1 انظر: كلمة للرئيس الأميركي مصوّرة أعلن فيها مقتل أبو بكر البغدادي، على الرابط: https://tinyurl.com/yxz44ya3

2 انظر: ماذا نعرف عن «خليفة الدولة الإسلامية» الجديد أبو إبراهيم الهاشمي القرشي؟، موقع بي بي سي عربي، على الرابط: https://tinyurl.com/y44ps7em

وتتبدى حيوية التنظيم وقدرته على التكيف وإعادة التشكّل والتموضع كبيرة، فبالرغم من طرده من مناطق سيطرته وإنهاء خلافته بعد تشكيل تحالف دولي واسع، لا يزال التنظيم ناشطاً ويشن هجمات متفرقة، فنهاية المشروع السياسي للتنظيم وحكامته، يشير إلى نهاية مرحلة مشروع «الدولة» ونظام «الخلافة»، والعودة إلى حالة «المنظمة»، التي تعتمد على نهج حرب العصابات والاستنزاف، ونهج اللامركزية، فالهزيمة التي لحقت بمشروع الخلافة لم تقوض حالة المنظمة، فلا يزال التنظيم يتمتع بقدرات قتالية وتمويلية وإعلامية، ويشكل جاذبية في مناطق مختلفة.

السبب في أنّ الضربات المتتالية التي تلقّاها لم تنه وجوده ودوره يكمن في أنّ لا تزال العوامل الجذرية والظروف الموضوعية التي ساهمت بصعوده ما تزال قائمة من دون معالجة حقيقية، فالوضع السياسي والاقتصادي والأمني في منطقة الشرق الأوسط أكثر هشاشة، وتعاني المنطقة من ضعف الاستقرار، ففي معظم البلدان التي ينشط فيها التنظيم، وخصوصا في مركزه الرئيس في العراق وسورية تفتقر القوات الرسمية المحلية إلى الكفاءة والموارد اللازمة في ملاحقة عناصر تنظيم الدولة الإسلامية في إطار تحول التنظيم إلى نهج الاستنزاف وتكتيكات حرب العصابات. إذ يشكل ضعف الاستقرار وتراجع عمليات إعادة الإعمار، إلى جانب سوء الحوكمة وسيادة منظومة الفساد وشيوع الاستبداد، وتفشي الطائفية، الحاضنة الكافية لعودة تنظيم الدولة، في منطقة رخوة تعاني من التدخلات الخارجية وصراع القوى الإقليمية والعالمية.

لاحقاً شكلت جائحة «كورونا» هدية إضافية لعودة أنشطة تنظيم «الدولة الإسلامية»، وسط شكوك حول الدور المستقبلي لمهمة التحالف الدولي في الشرق الأوسط، فالجهود الدولية الرامية لمنع عودة تنظيم «الدولة الإسلامية» تبدو حيوية ومطلوبة بشكل أكبر خلال الفترة المقبلة، ويتفق الجميع حول ضرورة مواصلة الحرب على الإرهاب دون التأثر بأية ظروف سواء كانت تتمثل في ظهور فيروس كورونا أو أي ظرفٍ آخر، فتنظيم الدولة سوف يستثمر أي ثغرة تضمن عودته من جديد كما فعل في السابق[3].

3 انظر: حسن أبو هنيّة، تنظيم الدولة «وهدية جائحة «كورونا»، موقع عربي 21، على الرابط: https://tinyurl.com/y3o77pjj

إن الاستجابة السريعة التي أظهرها تنظيم «الدولة الإسلامية» في التعامل مع جائحة «كوفيد19-»، تشير إلى خبرة التنظيم الطويلة باستثمار اختلال الظروف الموضوعية السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وقد أضاف إليها خبرة جديدة بالتعامل الأوضاع الصحية الاستثنائية، فلطالما كان التنظيم انعكاسا لفشل سياسات «الدولة الوطنية» المحلية، وسوء تدبير الانقسامات المذهبية والإثنية والخلافات السياسية والإيديولوجية، وضعف الحوكمة، ووبؤس التدخلات الخارجية.

تلك الحيثيات مثّلت الفكرة الرئيسية لعقد ندوة «مستقبل تنظيم داعش فيما بعد الخلافة: تحدي الجهاديين في شرق أوسط غير مستقر»، التي عقدها معهد السياسة والمجتمع وشارك فيها نخبة من الباحثين والخبراء العرب والأجانب والأردنيين، وكانت بالتعاون مع مكتب مؤسسة فريدريش أيبرت في عمان.

هدفت الندوة إلى مناقشة العوامل والمتغيرات المؤثرة على مستقبل تنظيم داعش وتأثيره إقليمياً وعالمياً، والاحتمالات المترتبة على ذلك، وإلى بناء تصور واقعي حول مآلات تنظيم الدولة الإسلامية بعد نهاية مشروع «الخلافة»، وتحوله مرة أخرى إلى حالة «المنظمة»، من الناحية الإيديولوجية والاستراتيجية، ومعرفة حجم قدراته العسكرية والإعلامية، وحجم نفوذه وخريطة انتشاره وأعداد مقاتليه، واحتمالات عودته، والتعرف على الأسباب الجذرية لصموده والظروف الموضوعية التي تساهم في بقائه، وتقديم رؤى متنوعه للحد من جاذبيته والقضاء على أنشطته.

أمّا المقولة الرئيسية التي انطلقنا منها في عقد هذه الندوة تتمثل في أنّ نهاية دولة الخلافة لا تعني بالضرورة نهاية التنظيم ورسالته الأيديولوجية التي شكّلت مصدر الخطر الأكبر والمصدر الرئيس لإلهام عناصره على مستوى العالم، وبالتالي من الضروري البحث أولاً في العوامل المؤثرة على المراحل القادمة وعلى قوته وصعوده وخطره على الأمن العالمي والإقليمي، وثانياً في مراجعة الاستراتجيات الدولية والإقليمية المعتمدة في مواجهة الإرهاب والراديكالية.

1- خلفية تاريخية: صعود التنظيم و انحساره

استثمر تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) حالة الاضطراب التي عصفت في منطقة الشرق الأوسط التي أعقبت الانقلاب على ثورات الربيع العربي 2011 وإعادة بناء السلطوية وتأجج الصراعات الطائفية، بتأسيس «خلافة» ممتدة في المناطق الشاسعة التي سيطر عليها غرب العراق وشرق سورية عام 2014، وعمل على توسيع نطاق «الخلافة» بإنشاء ولايات خارجية عديدة في المنطقة، وقد عجزت القوات المحلية في العراق وسورية وحدها عن استعادة السيطرة على مناطق نفوذ خلافة داعش الميدانية، وتطلب إخراج داعش من مناطق سيطرته المكانية تشكيل تحالف عسكري دولي واسع بقيادة الولايات المتحدة الأميركية، أسفر عن خسائر بشرية ومادية كبيرة، فقد تطلب طرد داعش من مدينتي الموصل العراقية والرقة السورية تدمير المدينتين[4].

نجح التنظيم بالتمدد والانتشار في أكثر المناطق التي تجلت فيها مركبات تغوّل الدكتاتورية والصراعات الطائفية والإثنية والتدخلات الخارجية، حيث سرعان ما فرض تنظيم الدولة سيطرته المكانية بطريقة دراماتيكية مثيرة على مساحات شاسعة في العراق وسورية، وتمكن من خلق فضاء جيوسياسي ممتد بين البلدين، وبات يفرض حكامته المطلقة على أكثر من 7 ملايين من السكان، بعد أن توج عملياته العسكرية بالاستيلاء على مدينة الرقة السورية في كانون ثاني/ يناير 2014 وصولا إلى سيطرته على مدينة الموصل العراقية في حزيران/ يونيو 2014، وقد دفعت عمليات تمدد وتوسع التنظيم إلى الإعلان عن قيام دولة «الخلافة» في 29 حزيران/ يونيو 2014، ومبايعة أبو بكر البغدادي خليفة للمسلمين[5].

بحلول آذار/مارس 2019 خسر داعش آخر جيوب سيطرة الخلافة المكانية بطرده من قرية «الباغوز» شرق نهر الفرات،حيث أعلن الرئيس الأميركي دونالد ترامب في 22 آذار/مارس 2019، أنه تمكن من القضاء على تنظيم الدولة الإسلامية، وادعى ترامب أن داعش هزم بنسبة 100%، وقد تعززت الادعاءات بالقضاء على تنظيم داعش

4 انظر: نص البيان المشترك الصادر عن وزراء التحالف الدولي لهزيمة داعش. صادر عن مكتب المتحدث باسم وزارة الخارجية: الرابط التالي : https://tinyurl.com/yyz32smu

5 لمزيد من التفصيل حول مسار صعود تنظيم الدولة، والأسباب والظلروف التي رافقت نشأته، انظر: حسن أبو هنية ومحمد أبو رمّان، تنظيم الدولة الإسلامية: الأزمة السنية والصراع على الجهادية العالمية ، مؤسّسة فريدرش إيبرت، 2015.

عقب مقتل زعيمه أبو بكر البغدادي في 26 تشرين أول/ أكتوبر 2019، من خلال قوة أميركية خاصة في محافظة إدلب شمال غربي سورية، والذي تبعه في اليوم التالي مقتل المتحدث الرسمي باسم تنظيم الدولة أبو الحسن المهاجر، عبر عملية أخرى نفذتها القوات الأميركية في مدينة جرابلس بمحافظة حلب شمال سورية، البغدادي لكن ذلك النجاح لم يكن سوى انجاز تكتيكي ونصر معنوي، يشير إلى نهاية مرحلة وبداية أخرى في تاريخ المنظمة الجهادية الأوسع انتشارا والأكثر جاذبية والأشد خطورة في تاريخ الجهادية العالمية[6].

لم يتخلّ تنظيم الدولة الإسلامية عن مشروع الخلافة بفقدان سيطرته الميدانية الواقعية، فقد تحولت الخلافة الواقعية إلى «خلافة افتراضية» عبر شبكة الانترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، ويلاحظ أنّ داعش تعمل أيضاً على تصدير رؤيتها لمسألة الخلافة إلى فروع خارجية وتحويل أيديولوجيتها عن الخلافة من مجتمع مادي إلى مجتمع افتراضي منظم يعمل على نقل الأهداف الأيديولوجية بشكل مستقل عن المنظمة[7].

إنّ هزيمة داعش المفترضة في سورية والعراق قد لا تكون كافية لهزيمة تنظيم داعش العالمي، فعلى مدى سنوات كشف تنظيم «الدولة الإسلامية» عن إيديولوجيية تتمتع بقدرة لافتة في مجال الدعاية والحشد والتعبئة والاستقطاب والتجنيد، وسرعة التعامل مع التحولات الجيوسياسية في المنطقة.

لقد طوّر التنظيم خطاباً إعلامياً مبنياً على قضايا «ما قبل الدعاية»، من خلال تعزيز الأفكار والمفاهيم الشائعة أصلاً في المنطقة، فهو لا يخلقها، بل يتبناها ويوجهها، إذ ركز على قضايا ومسائل شائكة تعاني منها المنطقة، وقدم نفسه ممثلاً لإسلام سني ممتهن، ورأس حربة في مقاومة الاحتلال الأميركي للعراق و «الإمبريالية» العالمية في مرحلة مبكرة، ثم في مواجهة النفوذ الإيراني «الشيعي» والطائفية الإقليمية، وبعدها على مناهضة «الدكتاتورية» المحلية واستعادة «الخلافة» السنيّة[8]، وأخيراً قدم نفسه مدافعاً عن القضية الفلسطينية والتصدي للصهيونية.

6 انظر: حسن أبو هنية، الرمزي والتكتيكي في مقتل البغدادي، موقع تي آر تي عربي، على الرابط: https://tinyurl.com/yydgpots.

7 انظر: خبراء يحذرون من «خلافة افتراضية» لتنظيم الدولة، الجزيرة نت، على الرابط: https://tinyurl.com/y49zr2ue/

8 انظر: شارلي وينتر، الخلافة الافتراضية: فهم إستراتيجية بروباغندا الدولة الإسلامية، على الرابط: https://tinyurl.com/y5gpew48.

2- إعادة هيكلة الاستراتيجيات والتكتيكيات

سارع تنظيم الدولة بعد خمسة أيام على مقتل زعيمه السابق أبو بكر البغدادي إلى الإعلان عن قيادة جديدة في 31 تشرين أول/ أكتوبر 2019 عبر رسالة صوتية بثها جناحه الإعلامي (مؤسسة الفرقان)، للمتحدث الجديد أبو حمزة القرشي، وذلك بتعيين أبو إبراهيم الهاشمي القرشي)أمير محمد سعيد عبد الرحمن المولى(، «أميرا للمؤمنين وخليفة للمسلمين»[9]، فاستكمل التنظيم عملية إعادة الهيكلة التنظيمية - التي شرع بها بعد أن خسر كافة مناطق سيطرته المكانية- للعودة إلى العمل كمنظمة سرية تمتاز بمرونة شديدة بالتحول من نهج المركزية إلى حالة اللامركزية، إذ أعاد بناء هياكله العسكرية والأمنية والإدارية والمالية والشرعية والإعلامية، وشرع بإقرار الخطط العسكرية وفق مقتضيات «حرب استنزاف»، وتكتيكات «حرب العصابات»، ليس في العراق وسورية فقط، بل وفي بلدان عديدة أنشأ فيها فروعاً عاملة (أطلق عليها مصطلح ولايات)، في كل من: ليبيا ومصر واليمن والسعودية والجزائر وخراسان (منطقة أفغانستان وباكستان) و «القوقاز» و «شرق آسيا»، وينشط غالبا في الفلبين والصومال و «غرب أفريقيا»: وينشط غالبا في نيجيريا.

صورة عن نشاط التنظيم وفعاليته عالمياً

في العراق نشط تنظيم الدولة مجدد، فكثّف من هجماته، ويحاول الاستفادة من أزمات بغداد المتراكمة التي تشمل التصعيد بين الولايات المتحدة وإيران وانخفاض أسعار النفط والاحتجاجات التي تغطّي البلاد بأسرها، وسوء التفاعل بين القوات المسلحة العراقية في محاربة التنظيم؛ ووباء فيروس كورونا.

أمّا في سورية يتنامى باطراد، حيث شهدت هجمات التنظيم ارتفاعا واضحا، فقد نفذ التنظيم سلسلة من الهجمات زادت عن 34 هجوما خلال أقل من شهرين توزعت بين الشرق الفرات (مناطق سيطرة قسد) ,وغرب الفرات (مناطق سيطرة القوات الحكومية السورية وتحديدا في باديتي حمص الشرقية وديرالزور الجنوبية ومناطق جنوب محافظة الرقة، واستهدفت بشكل رئيسي طريق دمشق/ديرالزور الذي يعتبر من

9 انظر: صحيفة تكشف الهوية الحقيقية لخليفة أبو بكر البغدادي، موقع d w عربي، على الرابط: .https://tinyurl.com/yyae9dru

أهم خطوط إمداد قوات النظام في مناطق شرق سورية، كما طالت هجمات التنظيم الشريط الحدودي بين سورية والعراق بالقرب من مدينة البوكمال السورية ومدينة القائم العراقية.

وفي ظل تركز جهود الحكومة في مصر على مواجهة الوباء، مع تزايد حالات الإصابة بالفيروس بشكل ملحوظ، استثمر تنظيم «الدولة الإسلامية ولاية سيناء» الجائحة بتكثيف هجماته في سيناء، ففي 1 مايو الماضي استهدف آلية للجيش المصري أسفرت عن مصرع وإصابة 10 أفراد.وقال المتحدث العسكري المصري إن عبوة ناسفة انفجرت بإحدى المركبات المدرعة جنوب مدينة بئر العبد نتج عنها مقتل وإصابة ضابط وضابط صف و8 جنود.

وشكلت أفريقيا ساحة واعدة لتنظيم الدولة الإسلامية في زمن جائحة «كورونا»، فقد كثّف من هجماته في مناطق غرب أفريقيا ومنطقة الصحراء والساحل، وشرق القارة في الصومال، حيث نشطت فروعه الأكثر تطورا ونشاطا، فقد نفذ فرع التنظيم في ولاية غرب أفريقيا، سلسلة من الهجمات الدامية في ولاية «بورنو»، شمال شرقي نيجيريا، وحول بحيرة تشاد، أسفرت عن مقتل العشرات وإصابة المئات، وشن فرع التنظيم في ولاية وسط إفريقيا هجمات عنيفة ما بين النيجر ومالي وبوركينا فاسو وصولًا إلى خليج غينيا، وفي الصومال تنامت هجمات ولاية شرق إفريقيا، إلى جانب هجمات حركة الشباب.

وفي أفغانستان كثف «تنظيم «الدولة الإسلامية» .(ولاية خراسان) الذي يشكل مركز ثقل التنظيم في جنوب آسيا من هجماته، رغم مواجهته عاما صعبا عقب الاتفاق بين الولايات المتحدة وحركة طالبان، انتهى بالقضاء على قاعدته في ولاية ننكرهار، لكنه أعاد ترتيب قواته القتالية وشن عدة هجمات في العاصمة الأفغانية كابل، وتعرضت قاعدة باغرام الجوية، التي تعد أكبر قاعدة أميركية في أفغانستان، إلى قصف بالقذائف الصاروخية.

وفي ولاية جنوب شرق آسيا التابعة لتنظيم الدولة الإسلامية، شن التنظيم في 17 أبريل الماضي بعد شهر من فرض الرئيس الفلبيني، أوامر الحجر الصحي في جميع أنحاء البلد الواقع جنوب شرق آسيا، هجوما حين فتح مسلحون مرتبطون بتنظيم الدولة

النار على قافلة عسكرية في مقاطعة سولو النائية، وقتل في الكمين 11 جنديًا كانوا يحاولون تنفيذ عملية ضد زعيم التنظيم في الفلبين، وكان هذا الكمين واحداً فقط من عدة هجمات تبناها تنظيم الدولة، وأعلن تنظيم الدولة مسؤوليته عن إشعال النار في عدة قوارب في جزر المالديف.

3- هزيمة غير منجزة وعودة متوقعة

إذن لا يعدو إعلان الرئيس الأميركي دونالد ترامب القضاء على تنظيم الدولة الإسلامية، ونهاية عصر الإرهاب عن كونه دعاية سياسية، طالما كررها رؤساء سابقين، فمنذ أن دشنت الولايات المتحدة الأميركية سياسة «الحرب على الإرهاب» عقب هجمات تنظيم القاعدة على نيويورك وواشنطن في 11سبتمبر 2001، كان الهدف المعلن يتمثل بالقضاء على تنظيم القاعدة وهزيمة الحركات الجهادية العالمية المساندة العابرة للحدود، وكان الرئيس الأميركي الأسبق جورج بوش الإبن قد أعلن مراراً هزيمة الإرهاب والقضاء عليه، وكذلك فعل خلفه الرئيس الأميركي السابق باراك أوباما، وأصدرت الإدارت المتعاقبة شهادات وفاة عديدة للجهادية العالمية.

المفارقة أنّه سرعان ما كانت تتكشف نتائج الحرب على الإرهاب عن ظهور نسخ جهادية أكثر صلابة وأشد عنفاً وأوسع انتشاراً، فعلى مدى العقود الثلاثة الماضية برهنت الجهادية العالمية على قدرتها على التجدد والانبعاث رغم الجهود الدولية والإقليمية والمحلية العسكرية والأمنية في حرب الإرهاب، ويشير تاريخ تنظيم الدولة الإسلامية على قدرة عالية ومرونة كافية بالعودة والانتشار، فمقارنة ولادة تنظيم «الدولة» الأولى بالولادة الثانية، تظهر قدرة التنظيم على الانبعاث من جديد[10].

إن نظرة خاطفة على مسارات تشكل تنظيم «الدولة الإسلامية»، تؤكد على وجود منظمة بيروقراطية شديدة التعقيد ومتماسكة ومرنة، وتتمتع بقدرة كبيرة على

10 شهد تنظيم «دولة العراق الإسلامية» بداية عام 2009، تراجعاً واضحاً، وتعرض لهزيمة تكتيكية بعد اعتماد الولايات المتحدة على استراتيجية تقوم على زيادة عدد القوات ودعم الصحوات، حيث ضعف التنظيم وتقلصت أعداد مقاتليه في مناطق معزولة ونائية، ومع حلول العام 2010 أصدر تنظيم «دولة العراق الإسلامية» مراجعة تقويمية وتقديراً للموقف، وحددت رؤيته المستقبلية في العراق مع اقتراب موعد انسحاب القوات الأميركية، حيث أصدر وثيقة استراتيجية بعنوان «خطة إستراتيجية لتعزيز الموقف السياسي لدولة العراق الإسلامية»، وعقب خروج القوات الأميركية من العراق عام 2011، ، أعلن عن بدء خطة «هدم الأسوار» في تموز/يوليو 2012، ثم أعلن عن بدء خطة جديدة بعنوان «حصاد الأجناد»، في 29 تموز/يوليو 2013، انتهت بالسيطرة على الموصل في حزيران/يونيو 2014.

التطور والتكيّف، وتشير سرعة عملية الانتقال الأخيرة لقيادة جديدة، إلى هذا التطوّر التنظيمي[11].

كما استقطب تنظيم الدولة الإسلامية في ذروة نشاطه بين 2013 _ 2016 قرابة الـ 40 ألف مقاتلٍ أجنبيٍّ من 110 بلدانٍ مختلفة، بحسب تقرير مركز «مجموعة صوفان» الاستشاري للشؤون الأمنية الذي صدر في تشرين ثاني/ أكتوبر 2017 [12]، ويشير تقرير «فريق الرصد» التابع للأمم المتحدة، والذي أنجز في نهاية ديسمبر 2019 إلى تواصل الدول الأعضاء تقييمها بأن ما بين نصف وثلثيْ الأفراد الذين يتخطى عددهم 40 ألف مقاتل ممن انضموا إلى «الخلافة» لا يزالون على قيد الحياة، وقد أكدت الحكومة الأميركية والأمم المتحدة وأطراف أخرى أنه يوجد ما يصل إلى 25 ألف مقاتل في العراق وسورية مجتمعين: حوالي 11 ألف في العراق و 14 ألف في سورية، فضلا عن أكثر 25 ألف آخرين ينشطون في فروع التنظيم الأخرى المنتشرة في منطقة الشرق الأوسط[13].

وعلى الصعيد المالي؛ حذر الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش في 7 آب/ أغسطس الماضي، من أن تنظيم «الدولة» يمتلك مبالغ تصل إلى 300 مليون دولار، بقيت معه بعد زوال «الخلافة» في العراق وسورية، وذكر غوتيريش في تقرير قدمه إلى مجلس الأمن حول التهديد الذي يمثله التنظيم، إنّ انخفاض وتيرة الهجمات التي يشنها «قد يكون مؤقتا»، وأعرب عن ثقته بقدرة التنظيم على توجيه هذه الأموال لدعم أعمال إرهابية داخل العراق وسورية وخارجهما عبر شركات غير رسمية لتحويل الأموال، وتمتعه بالاكتفاء الذاتي المالي عبر شبكة من المؤيدين والجماعات التابعة له في أماكن أخرى بالشرق الأوسط وإفريقيا وآسيا[14].

11 إذ كانت عملية تعيين قيادة جديدة تتطلب وقتا أطول رغم وجوده في حيز جغرافي محدد بالعراق، فعندما قتل الزرقاوي (أحمد فضيل الخلايلة) في 6حزيران/ يونيو 2006، ترك لخلفائه منظمة متماسكة وقوية ونافذة، وقد تولى أبو عمر البغدادي (حامد داود الزاوي) وهو ضابط سابق في الجيش العراقي المنحل تأسيس «دولة العراق الإسلامية» في 15 تشرين الثاني/ أكتوبر 2006، وفي عهده تحول التنظيم إلى منظمة بيروقراطية أكثر مركزية، وعندما أعلن عن مقتل أبو عمر البغدادي في 19أبريل/نيسان 2010، إلى جانب أبي حمزه المهاجر، بادر تنظيم دولة العراق الإسلامية في 16 أيار/ مايو 2010، إلى بيعة أبي بكر البغدادي (إبراهيم عواد البدري السامرائي).

12 انظر: ريتشارد رابيت، ما بعد الخلافة: المقاتلون الأجانب وتهديد العائدين، مركز صوفان، ترجمة آمال وشنان، مركز إدراك للدراسات والاستشارات، على الرابط: https://tinyurl.com/y36699cr

13 انظر: ادموند فيتون براون، التهديد المستمر من تنظيمي «الدولة الإسلامية» و «القاعدة»: وجهة نظر الأمم المتحدة، معهد واشنطن، على الرابط: https://tinyurl.com/yy3t8r9r

14 انظر: بالأرقام.. الأمم المتحدة تكشف إجمالي «ثروة داعش»، سكاي نيوز عربي، على الرابط: https://tinyurl.com/y59sgfn8

قدرات التنظيم واحتمالات المستقبل

هذا وذاك يدفع إلى تعزيز إمكانية صعود التنظيم في المنطقة، بل وفي العالم مرّة أخرى، إذ تؤكد وزارة الخارجية الأميركية (في تقريرها السنوي عن الإرهاب، الذي صدر بعد مقتل البغدادي) على مرونة تنظيم الدولة وقدرته على التكيّف، فقد خلص التقرير إلى أن تنظيم «الدولة الإسلامية» لا يزال قادرا على المناورة، وحذر من أن الجماعات الإرهابية طوّرت من تكتيكاتها ومن طرق استخدامها للتكنولوجيا[15].

وتشير القدرات العسكرية والمالية والإعلامية لتنظيم «الدولة» في ظروف عودته الممكنة، إلى تفوق كبير عما كان عليه إبان حقبة «دولة العراق الإسلامية»، إذ تؤشر أرقام متطابقة صادرة عن الأمم المتحدة ووكالة الاستخبارات ووزارة الدفاع الأميركية في عام 2018 أن عدد مقاتلي التنظيم في العراق وسورية يبين 20 و30 ألف مقاتل[16]، ولا تزال شبكات التنظيم ومجاميعه المنسقة وخلاياه الفردية النائمة و «ذئابه المنفردة» تشكل خطرا على أميركا وأوروبا، ومع انتشار وتفشي فيروس كورونا فإن استغلال التنظيم للجائحة بتنفيذ هجمات في مناطف مختلفة، ومضاعفة جهود دعايته الالكترونية،

15 بحسب تقرير معهد «دراسات الحرب» في واشنطن، بعنوان «عودة داعش الثانية: تقييم تمرد داعش المقبل» الصادر نهاية يونيو/ حزيران 2019، فإن تنظيم «الدولة» اليوم أقوى مما كان عليه إبان حقبة «دولة العراق الإسلامية» التي ورثت «القاعدة في بلاد الرافدين»، فعندما انسحبت الولايات المتحدة الأميركية من العراق عام 2011 كان لدى التنظيم في العراق حوالي 700 إلى 1000 مقاتل، بينما بلغ عدد مقاتلي تنظيم «الدولة» وسورية في آب/أغسطس 2018 وفقًا لتقديرات وكالة الاستخبارات العسكرية 30،000 مقاتل في العراق، وقد استطاع تنظيم «الدولة» تأسيس جيش كبير من المجموعة الصغيرة التي تركت عام 2011 مكنته من استعادة الفلوجة والموصل ومدن أخرى في العراق والسيطرة على معظم شرق سورية خلال ثلاث سنوات فقط، وسوف يتعافى تنظيم «الدولة» بشكل أسرع بكثير مما حدث مع العودة الأولى، وسيصل إلى مستوى أكثر خطورة من القوة في ولادته الثانية. انظر التقرير على الرابط: https://tinyurl.com/y4mf69qm

16 حسب مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية، فإن هذا العدد لا يشمل مقاتلي التنظيم الموجودين في فروعه الأخرى، فخريطة نشاط التنظيم وانتشاره تتوسع في مناطق وبلدان عديدة، إذ يتمتع التنظيم بحضور كبير في أفغانستان، ولا يزال التنظيم يشن هجمات في شبه جزيرة سيناء المصرية، ويحافظ على قدرته التشغيلية في جنوب شرق آسيا، وكذلك وسط آسيا، وفي اليمن، وتعتبر القارة الإفريقية ساحة بديلة لتنظيم الدولة مع إصراره على تعدد الجبهات والملاذات، وخصوصا منطقة الساحل والصحراء الإفريقية، وغرب إفريقيا وشرقها، أنظر: جوزيف هينكس، مع انشغال العالم بمحاربة "كوفيد- 19، هل ينبعث "داعش" من جديد؟، ترجمة: علاء الدين أبو زينة، جريدة الغد، على الرابط: https://tinyurl.com/y3tgnmbw

وتكثيف عمليات التجنيد والاستقطاب تصبح خطرة[17]، إذ لم يقتصر تعامل تنظيم «الدولة الإسلامية» مع جائحة «كورونا» على التوجيهات الصحية والإيديولوجية والإعلامية، فقد باشر بتكثيف هجماته المتنوعة في مركز التنظيم في العراق وبقية فروعه المنتشرة في الشرق الأوسط وغيرها من المناطق[18].

17 حسب «مجموعة الأزمات الدولية» رغم الارتفاع المستمر في أعداد ضحايا كوفيد–19، ينبغي على العالم أن يحضر نفسه لهجمات يشنها تنظيم الدولة الإسلامية، الذي يعتقد أنه بوسعه استغلال الفوضى التي يسببها الوباء. إن هذا التهديد الجهادي المستمر يتطلب ذلك النوع من التعاون الدولي الذي يأمل المتشددون أن يستنزفه الفيروس، ففي حين جادل الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش بأن البشرية تواجه عدواً مشتركاً يتمثل في كوفيد–19، ومن ثم أطلق مناشدته للتوصل إلى «وقف إطلاق نار عالمي»، أوضح تنظيم الدولة الإسلامية بأنه يرى الأمور بشكل مختلف. في افتتاحية جديدة في نشرته الأسبوعية، أبلغ التنظيم أعضاءه بأن حربه الممتدة على نطاق العالم ستستمر، حتى مع انتشار الفيروس. علاوة على ذلك، أخبرهم أن الأنظمة الأمنية الوطنية والدولية التي تساعد في كبح جماح التنظيم على وشك مواجهة أعباء تفوق طاقتها، وأن أعضاءه ينبغي أن يستغلوا ذلك إلى أقصى درجة ممكنة، وقد أصدر تنظيم الدولة الإسلامية الأوامر لأعضائه في سائر أنحاء العالم بفعل ذلك تحديداً. انظر تقرير «مجموعة الأزمات الدولية» المعنون «التناقض مع داعش في زمن الكورونا»، على الرابط: https://tinyurl.com/spu4kzy

18 حذرت لجنة الأمن والدفاع في البرلمان العراقي في 2 أبريل الماضي من استثمار تنظيم «الدولة الإسلامية» لظروف الدولة وانشغال القوات الأمنية العراقية بمواجهة وباء كورونا المستجد، وقد أعلنت وزارة الدفاع العراقية أن التنظيم كثف من هجماته، وأعلنت القوات الأمنية العراقية في بيان بتاريخ 28 نيسان الماضي أن عشرة عناصر من قوات الحشد الشعبي قتلوا في هجوم شنه تنظيم «الدولة الإسلامية» بمحافظة صلاح الدين شمال العاصمة العراقية بغداد، وكان التنظيم قد تبنى تنفيذ عملية انتحارية استهدفت مديرية استخبارات كركوك في 28 نيسان الماضي، خلفت أربعة جرحى، وقد شن التنظيم عمليات منسقة عدة في مثلث «كركوك وديالى وصلاح الدين»، وكذلك في الأنبار ونينوى، وبات التنظيم قادرا على شن هجمات داخل احزمة المدن الريفية وفي عمق المدن الحضرية. انظر: قلق عراقي من استثمار تنظيم الدولة الإسلامية لأزمة كورونا، مونت كارلو الدولية، على الرابط: https://tinyurl.com/y4wstd6o

4- الأسئلة والمحاور المطروحة في الندوة

عملت الندوة على الإجابة عن مجموعة من التساؤلات والأسئلة الرئيسية، في الجلسات المتتالية، من خلال المحاور التالية:

أولاً- على الصعيد الأيديولوجي؛ شكّل التنظيم رؤية أيديولوجية مستقلة عن تنظيم القاعدة، تقوم على تأسيس الدولة والجهادية العالمية ودمج الأبعاد المحلية والدولية، وتأخذ صيغة أكثر شراسة في تبني مواقف فقهية وتكتيكات قتالية دموية. لذلك من الضروري طرح التساؤلات فيما إذا كان هنالك تحول على الصعيد الأيديولوجي والفقهي والفكري؟ وفيما إذا كانت الأحداث المتتالية قد أضعفت البنية الأيديولجية والفقهية أم العكس من ذلك؟. وهل انتهت فكرة الخلافة الواقعية لدى التنظيم في الوقت الحالي؟ وكيف يبرر التنظيم أيديولوجيا ما حدث معه؟ وما هي الوعودة التي يقدّمها لأتباعه في المرحلة القادمة؟

ثانياً- على صعيد التجنيد والتعبئة والدعاية الإعلامية؛ أحدث تنظيم داعش طفرة كبير في مجال التجنيد وتمكّن من استقطاب آلاف الشباب والشابات من عشرات الدول في العالم، سواء للوصول إلى «الأرض الموعودة» أو التحول إلى «ذئاب منفردة»، فهل يمكن القول أنّ هذه القدرة تراجعت وتبددت؟ أم أنّ هنالك مؤشرات مختلفة؟ وهل يمكن أن يستعيدها التنظيم مستقبلاً؟..

وعلى صعيد الدعاية الإعلامية والسياسية فقد شهدت هي الأخرى قفزة كبيرة مع التنظيم الذي خاطب العالم بلغات متعددة (العربية، الانجليزية، الفرنسية، الأوردية وغيرها) وقام بتطوير التقنيات المستخدمة في الفيديوهات والخطابات؛ فما هو مصير هذه الماكينة الكبيرة من الدعاية الإعلامية والسياسية؟ وهل تراجعت؟ وما هي المسارات المستقبلية المتوقعة؟

مع تنظيم داعش حدث تحول كبير في أسلوب التعبئة والتنظيم، إذ انتقل من الأسلوب النخبوي (القاعدة) إلى الأفقي، وبات امتلاك الشخص لتلفون محمول متصل بالانترنت كفيل بأن يكون عضواً مرتبطاً بالتنظيم، من خلال مفهوم «الذئاب المنفردة»، مما أدى إلى تحول التنظيم إلى ما يشبه «الفيروس» الذي ينتقل بسهولة من دون

عوائق، فما هو مصير هذه القدرات التجنيدية والتعبوية؟ وهل ستبقى صامدة بعد زوال الخلافة، فتتجدد إذا تغيرت الظروف وتشكل خطراً وتهديداً للعديد من المجتمعات والدول؟

ثالثاً- على صعيد الانتشار الإقليمي والعالمي: وصل تنظيم داعش إلى مرحلة غير مسبوقة أيضاً، حتى على صعيد الحركات الجهادية، من الانتشار في جميع قارات العالم، إمّا عبر إنشاء ولايات أو مجموعات أو خلايا أو ذئاب منفردة، فما هي حال هذه التنظيمات وهل تراجعت علاقتها بالتنظيم الأمّ، وما هو مستقبل العلاقة بين تنظيم داعش وتنظيم القاعدة وكلاهما يمثّلان اليوم الحاضنة الأيديولوجية والسياسية لأغلب «المنظمات الجهادية» العاملة في العالم.

رابعاً- على صعيد استراتيجيات مكافحة الإرهاب؛ فقد تعددت واتخذت أشكالاً متنوعة، منها الاستراتجيات العسكرية والأمنية، ومنها الاستراتيجيات الثقافية، والاستراتيجيات المالية، فكيف نقيّم تطور هذه الاستراتيجيات والجهود الدولية والإقليمية والمحلية في مكافحة التنظيم؟

خامساً- أسئلة عالقة بـ»تركة التنظيم»؛ ما تزال هنالك أسئلة مطروحة على صعيد التنظيم وتركة دولته لم تتضح إجاباتها؟ فما هو مصير المعتقلين والعائدين من أبنائه؟ وما هي اتجاهات الحكومات في التعامل معهم؟ وما هو مصير الأحداث والنساء الذين انخرطوا في التنظيم وانتقلوا إلى دياره؟

سادساً- التنظيم والسياسات الدولية والإقليمية والمحلية؛ تشكّل السياسات الدولية والإقليمية والمحلية والأزمات الداخلية في العديد من الدول متغيراً مهماً في تفسير صعود وتراجع تنظيم داعش والتنظيمات الجهادية المرتبطة به، بخاصة في منطقة الشرق الأوسط؟ فكيف نقيّم التحولات الاستراتيجية الراهنة ومدى تأثيرها على انتشار الراديكالية أو تراجعها؟

5- نظام الندوة والجلسات

وفقاً لما سبق فقد تمّ توزيع الندوة على مدار يومين متتالين عبر تقنية الزووم، وتمّ تخصيص كل جلسة لمناقسة محور من المحاور الرئيسية، وفي كل جلسة كانت هناك

ورقة بحثية أو ورقتان، يقدمها باحثون مشاركون في الحلقة البحثية، ويتم بعد ذلك مناقشتها من قبل «حلقة الخبراء» المشاركين، وكانت الجلسات على النحو التالي:

الجلسة الأولى تناولت مشروع داعش الأيديولوجي والنقاشات الفكرية والتنظيمية ما قبل وبعد انهيار تنظيم الدولة، وانعكاس ذلك على الدعاية الإعلامية والسياسية وقدرة التنظيم على التجنيد، وقد قدم تشارلي وينتر، من المركز الدولي لدراسة التطرف (بالاشتراك مع هارورو إنغرام، من برنامج جامعة جورج واشنطن حول التطرف وكريغ وايتساييد، المدرّس في كلية الحرب البحرية الأميركية في مونتري) الورقة الرئيسية الأولى في هذا الموضوع، ثم قدّم الباحث المصري ماهر الفرغلي الورقة الثانية التي تناولت النقاشات والجدالات الفقهية والفكرية في أوساط الجهادية العالمية وداعش، قبل وبعد سقوط دولته.

أما **الجلسة الثانية** فتناول الوضع الراهن؛ تقييم حالة التنظيم في العراق وسورية، وتركته الحالية والأرقام المتعلقة بأعداد المقاتلين في العراق وسورية، ونشاطه وعملياته وتموضعه الحالي. وقدّم الخبير الأردني في مجال مكافحة التطرف والإرهاب، د. محمد العظامات الورقة الرئيسية.

وتناولت **الجلسة الثالثة** فتناولت آليات التكيف العسكري والاستراتيجي لدى التنظيم مع المتغيرات والتطورات المحيطة، وتأثير مقتل القيادات على قدرات التنظيم المختلفة، وقد قدّم أستاذ التاريخ في جامعة ماساتشوستس، براين وليام، الورقة الرئيسية في هذا المحور.

وتناولت **الجلسة الرابعة** موضوع تركة داعش من ملفات المعتقلين والعائدين والأطفال والنساء وبرامج إعادة التأهيل وسياسات الدول المختلفة فيها، وقد قدّم الورقة الرئيسية د. علي طاهر الحمود، الخبير العراقي المتخصص في قضايا الإرهاب، وكانت ورقته مخصصة لحالة معسكر الهول لمعتقلي داعش في محافظة الحسكة في سورية.

أما **الجلسة الخامسة** فقد تخصصت في مراجعة وتقييم الاستراتيجيات والسياسات الدولية والإقليمية والمعنية بمكافحة التطرف العنيف والإرهاب، وما هو المطلوب في المرحلة القادمة على صعيد تقييم هذه الاستراتيجيات، وقد قدم د. سعود

الشرفات الورقة الرئيسية في هذه الجلسة عن النماذج العالمية في مكافحة التطرف والإرهاب، مع تسليط الضوء أكثر على الاستراتيجية الوطنيةا لأردنية في محاربة الإرهاب.

في **الجلسة الأخيرة** قدّم كلّ من حسن أبو هنية (الباحث الأردني في شؤون التطرف والإرهاب) وعباس صالح (الباحث السوداني في مجال التطرف والإرهاب) ورقتين رئيسيتين؛ تتناول الورقة الأولى المدارس والاتجاهات المستقلية في أوساط الجهادية العالمية، بينما تركز الورقة الثانية على الحالة الأفريقية وانتشار الجماعات الجهادية في هذه القارة في الأعوام الأخيرة.

الفصل الأول

مرحلة ما بعد الخلافة؛
الأيديولوجيا والدعاية والتجنيد

يتناول هذا الفصل سؤالاً محورياً يكمن في التساؤل عن تأثير انهيار دولة تنظيم داعش وزوال الخلافة الواقعية، على أبرز قدرات التنظيم، التي تتمثل في مجالات الدعاية الإعلامية والسياسية، والتجنيد السياسي، والبنية الأيديولوجية التي مكّنت التنظيم من استثمار الأزمات السنية وتوظيف الرموز والمصطلحات التاريخية والدينية مثل مصطلح الخلافة الإسلامية وغيرها من المصطلحات في استقطاب عشرات الآلاف التابعين الموالين للتنظيم على مستوى العالم باسره.

في الورقة الأولى يقدّم تشارلي وينتر، من المركز الدولي لدراسة التطرف (بالاشتراك مع هارورو إنغرام، من برنامج جامعة جورج واشنطن حول التطرف وكريغ وايتساید، المدرّس في كلية الحرب البحرية الأميركية في مونتري) قراءة كمية وتحليلية لمسارات تطور خطاب تنظيم داعش الأيديولوجي وتقنيات ذلك والتحولات التي مرّ بها الجهاز الإعلامي للتنظيم والشخصيات البارزة المؤثرة فيه، ثم التحولات التي حدثت على خطاب التنظيم والتقنيات التي يستخدمها بعد انهيار دولته وخسارته الأراضي التي كان يسيطر عليها.

أمّا د. ماهر فرغلي فيقدم، في الورقة الثانية، قراءة تحليلية لأبرز القضايا الأيديولوجية الخلافية بين التنظيم والجماعات الجهادية الأخرى، والمسارات التي تطورت فيها الرؤية الفقهية للتنظيم بالتوازي مع السياقات التنظيمية والسياسية والعسكرية، ثم يستعرض أبرز الأجنحة الفقهية والأيديولوجية داخل التنظيم، وتأثير سقوط وانهيار الدولة التي أقامها على وحدته الأيديولوجية والصراع بين الأجنحة الأيديولوجية المختلفة في أوساط التنظيم.

كما يتناول هذا الفصل أبرز النقاشات والتعليقات من الباحثين والخبراء المشاركين على ما قدمه الباحثون في أوراقهم، وتعقيبات الباحثين النهائية..

دراسة في تحولات «إعلام الخلافة» بعد خسارة الأراضي

تشارلي وينتر

(هذه الورقة بالاشتراك مع كل من هارورو إنغرام، من برنامج جامعة جورج واشنطن حول التطرف وكريغ وايتساييد، المدرّس في كلية الحرب البحرية الأميركية في مونتري)

مع خسارة تنظيم الدولة الإسلامية كامل السيطرة على مناطقه في العراق وسورية عام 2019، اضطرت وحدته الإعلامية المركزية إلى التكيّف مع هذه التغيرات من أجل الاستمرار في إنتاج المواد العالية الجودة التي اشتهرت بها. يقيّم هذا البحث عملية التحول هذه، ويقيس كلاً من المخرجات والمواضيع الإعلامية وجودة المواد المنتجة في السنوات التي تلت انهيار دولة الخلافة الجغرافية. وقد استخرجنا بعض العناصر التي استخدمها التنظيم لإنتاج المواد العائدة لأتباعه المستقوين في الخارج ونشرها بنجاح، كما عرضنا تأثير الوحدة الإعلامية المركزية على هذه الخلايا الإعلامية البعيدة. ومن خلال أبحاثنا حول عمليات التأثير التي تمارسها الجهات الفاعلة غير الحكومية، يمكن تكوين فكرة عن الطابع الشامل الأكبر لبيئة المعلومات الدائمة التطور.

المقدمة

انهارت خلافة تنظيم الدولة الإسلامية متحولةً إلى حركة تمرد موحدة في منطقتها الأساسية في العراق وسورية وفي ولاياتها القريبة والبعيدة. لكن ديوان الإعلام المركزي التابع للتنظيم، الذي بشّر بأول «خليفة» منذ قرابة القرن، ما زال يعمل بالرغم من خسارة أراضي التنظيم. فالقسم الإعلامي للدولة الإسلامية هو في جوهره مؤسسة سرية ولكن خصبة الإنتاج، وقد تعلّم منذ فترة طويلة كيفية إنتاج مواد عالية الجودة لأغراض

التواصل الاستراتيجي بطريقة آمنة ودقيقة، من أجل حماية موظفيه المتمرسين والقادة الذين يخدمونهم.

يحاول هذا البحث شرح مرونة القسم الإعلامي، باعتبارها سمةً نشأت عن مزيج الهيكليات والأشخاص والأفكار الذي ساند القسم منذ عام 2016 عندما تكبد خسائر فادحة في قياداته. وقد عاينّا الحملات الدعائية للدولة الإسلامية وغيرها من المصادر من أجل تكوين فكرة عن كيفية عمل هذه المؤسسة الحيوية لتأسيس مستوى دعم عالمي للتنظيم تسهيلاً لعودته إلى الصدارة وتحقيق «التمكين». (التوحيد الإقليمي والسياسي). نبدأ بملخص موجز عن تاريخ القسم الإعلامي، ونَصف تطوره الهيكلي حتى اليوم، ثم نتابع مع شرح للإنتاج الإعلامي الحالي. ونختتم البحث بتحليل نقاط ضعفه التي يمكن استغلالها، وما يمكننا عمومًا تعلّمه عن بيئة المعلومات الحالية من ممارسات وحدة الإعلام هذه.

الخلفية والتاريخ

لا يمكن فهم تأثير ديوان الإعلام المركزي لتنظيم الدولة الإسلامية من دون تقييم تاريخه والدروس التي استوعبها في تركيبته نفسها كوسيلة سرية ومبتكرة، في ظل الضغوط الكبيرة من قوى مكافحة الإرهاب، على مدى عقدين تقريبًا. فقد ضمنت الوحدة الإعلامية استمرارية التنظيم، حيث نظّمت صدور أول خطاب قيادي ألقاه أبو مصعب الزرقاوي في كانون الثاني/يناير 2004، ودأبت مذّاك على خدمة التنظيم مع تغيّر تسمياته وتحولاته السياسية. حتى الآن، يدّعي الناطق الحالي باسم التنظيم أنه عمل في القسم الإعلامي تحت إشراف المتحدث الرسمي الأول أبو ميسرة العراقي أثناء خدمته لجماعة التوحيد والجهاد ثم تنظيم القاعدة في العراق (دولة العراق الإسلامية، 2011).

شهدت الوحدة الإعلامية الأولى استهدافًا لا هوادة فيه من قبل قوات مكافحة الإرهاب الأميركية. فطوّرت بالنتيجة ممارسات أمنية قوية سمحت لها بخدمة القيادة بأمان، بينما كانت تنتج المواد باستمرار لمناصريها على الإنترنت والسُّنة العراقيين. وأدت هذه النجاحات الأولى والضوء الذي سلّطه التنظيم على منصب أبو ميسرة كناطق رسمي باسمه، إلى رفع القيمة السياسية للوحدة داخل المنظمة. بحلول الفترة ما بين

عامَي 2006 و2007، تولّت شخصيتان بارزتان، هما محارب الجبوري وخالد المشهداني، قيادة التنظيم. لكن هزيمة تنظيم دولة العراق الإسلامية عام 2007 خلال «الطفرة» العسكرية الأميركية دفعت الأمير أبو محمد الفرقان والمتحدث باسمه أبو محمد العدناني إلى تجديد القسم الإعلامي للتنظيم (وايتساید، 2016).

ويعود الفضل إلى الفرقان في تأسيس مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي عام 2006 (التي لا تزال تنتج مواد التواصل الاستراتيجي للتنظيم)، وهي الأولى من بين عدة وحدات متخصصة أنشأها خلال فترة ولايته الطويلة، هي مؤسسة الاعتصام (على وسائل التواصل الاجتماعي) ومركز الحياة للإعلام (ترجمات بلغات أجنبية ومجلات مثل دابق/روميّة)، ومؤسسة أجناد (للأناشيد الدينية) ومركز الفرات للإعلام (للحملات الدعائية غير العربية) وصحيفة النبأ (صحيفة أسبوعية مطبوعة وإلكترونية) وإذاعة البيان ووكالة أعماق الإخبارية غير الرسمية (رودجو، 2016؛ الدولة الإسلامية، 2016؛ وايتساید، 2016). وعلى مدى خمس سنوات، بقي شريك الفرقان، أبو محمد العدناني، الوجه العام والصوت الإعلامي للدولة الإسلامية، والمتحدث الرسمي باسم دولة العراق الإسلامية وتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام وأخيرًا الدولة الإسلامية (البنعلي، 2014). يزعم البعض أنه كان يتم إعداده ليحل محل الخليفة قبل مقتل العدناني والفرقان في العام 2016 إلى جانب نائب الفرقان، أبو الحارث اللامي (ماكانتس، 2016؛ وزارة الدفاع الأميركية، 2016). لكن ثلاثتهم قُتلوا خلال الأسبوع نفسه في ما شكّل حتمًا خرقًا أمنيًا كارثيًا للقسم الإعلامي.

أدى القضاء على القياديين الثلاثة إلى حدوث تحوّل في مجرى الأمور في فترة حرجة، حيث كان التحالف الدولي ضد داعش قد اكتسب الزخم وأصبحت نهاية الخلافة مسألة وقت. وللمرة الأولى، قاد وسائل الإعلام لفترة من الوقت ناطقون رسميون وقادة من خارج العراق وسورية، بدءًا بأبو حسن المهاجر وأبو حكيم الأردني على التوالي (التميمي، 2019). شغل الأردني منصبه لفترة قصيرة ومثيرة للجدل، وتدخّل مجلس قيادة التنظيم لاستبداله بأبي عبد الله الأسترالي في وقت ما من عام 2018 (التميمي، 2018؛ شليبس، 2018). وقُتلت معظم القيادات الإعلامية في المعركة الأخيرة للخلافة الجغرافية في الباغوز، بمن فيهم الأسترالي ومحرر اللغة الفرنسية أبو أنس الفرنسي ومحرر اللغة الروسية أبو جهاد الشيشاني. ولم ينجُ من سقوط الخلافة أعوان الفرقان الآخرون،

ومن بينهم مؤسس وكالة أعماق، رياض مشعل[19] وأبو ياسر البلجيكي وأبو مقاتل الأميركي ومحمد خليفة من كندا والأميركي أحمد أبو سمرة (فايس، 2019؛ مستر أورنج، 2019؛ أورتن، 2019؛ فان أوستاين، 2019؛ كاكي، 2019؛ كاليماتشي، 2019؛ الدولة الإسلامية، 2017). وفي حين نجا خليفة العدناني، أبو حسن المهاجر، من المعركة، توفي في وقت لاحق من الأسبوع نفسه الذي توفي فيه الخليفة أبو بكر البغدادي في أواخر العام 2019 (إنغرام ووايتساید ووينتر، 2019).

وتم تعيين ناطق جديد باسم التنظيم، هو أبو حمزة القرشي، في البيان نفسه الذي أُعلن فيه عن الخليفة الجديد، أبو ابراهيم القرشي، ما يدل مرة أخرى على أهمية هذا المنصب. وكما كانت عليه الحال مع الأمراء الجدد الذين يتم تعيينهم خلال الفترات السلبية من حياة التنظيم، اعتمد الخليفة الجديد على الناطق باسم التنظيم ليكون صوته الوحيد إلى حين حشد الزخم الكافي ليتحدث الخليفة الجديد بهيبةٍ وشرعية. وهذا نمط فرضه أبو بكر البغدادي خلال فترة عزلته الأولى –وعوّض عن غيابه رجل الواجهة الإعلامية طليق اللسان، العدناني، في عام -2010 وهو نمط نراه يتكرر اليوم (إنغرام ووايتساید، 2019). لا تُعرف حاليًا هوية أمير القسم الإعلامي، وقد يفسر فقدان المواهب الأجنبية سبب الاعتقاد بأن المتحدث الجديد أبو حمزة هو عراقي مرة أخرى، استنادًا إلى لكنته/لهجته (مشروع مكافحة التطرف، 2021).

الهيكلية الراهنة

منذ وقت مبكر يعود إلى العام 2007، شكلت الهيكلية الإعلامية انعكاسًا للتنظيم ككل، حيث كانت لها فروع في كل منطقة وقضاء ومحلّة، وكانت تُدار من خلال التسلسل الهرمي الموازي في المحافظات العراقية المختلفة. بناءً على هذا التصميم، كانت المكاتب الإعلامية المحلية تُدار من مكاتب أعلى مستوىً ومن القسم الإعلامي المركزي، وتدعم في الوقت نفسه القائد المحلي أو الإقليمي (وتتلقى الدعم منه). في ذلك الوقت، كان لدى القسم الإعلامي مكاتب للعلاقات العامة والإنترنت والتصوير الفوتوغرافي والإنتاجوالنشر والتوزيع والمحفوظات. وكانت لجنةٌ إعلامية عاملة لصالح أمير الإعلام تتولى التدقيق في

19 سردت سيرة ذاتية غير رسمية لتنظيم الدولة الإسلامية على تلغرام كيف كان الفرقان يدرّب مؤسّس وكالة الأعماق الإخبارية ويشجّعه على إنشاء الوسيلة الإعلامية المبتكرة التي استخدمت «السبق الصحفي» من المطّلعين لمدّ وسائل الإعلام الغربية، الباحثة عن مصادر» شرعية»، بالأخبار.

المواد المنتجة (كاتب مجهول، 2007 أ). حتى في مراحله الأولى، لم يكن القسم الإعلامي مجرد وسيلة إعلامية، بل كان أيضًا مكتبًا للعلاقات العامة، ومكتبة لذاكرة التنظيم، ومركز تواصل للقيادات والأقسام الأخرى في التنظيم (كاتب مجهول، 2007ب).

واليوم، على الرغم من تقليص جميع الأقسام الأخرى في هيكلية الخلافة وتوزيعها في ظل حكام العراق وسورية (الهاشمي، 2018)، لا يزال المكتب الإعلامي يسمى رسميًا «ديوان الإعلام المركزي» - وهذا مؤشر آخر على أهميته المركزية للتنظيم الأكبر. وبالرغم من تسميته، يعتبر قسم الإعلام مركزًا يربط الأجزاء البعيدة جغرافيًا. يتألف القسم من مجلس إعلامي (مجلس إدارة) ولجنة قضائية (مستشارون دينيون) ومكتب أمني ووكالات إعلامية، إضافة إلى مكاتب بعيدة وبنك معلومات (أرشيف) (ونتر والمحمد، 2019). وقد تم تحويل جزء كبير من العمل الذي يتجاوز إطار التواصل الاستراتيجي (تصريحات القيادات بالدرجة الكبرى) من القسم المركزي إلى الوكالات المتخصصة التي أنشأها الفرقان (المذكورة أعلاه). كما توسّع ديوان الإعلام المركزي إلى أبعد من العاملين الإعلاميين، فدمج خبراء دينيين وأمنين من أقسام الدولة الإسلامية الأخرى من أجل تنظيم المحتوى بشكل أفضل حرصًا على الجودة والنقاء الأيديولوجي، وكذلك ضمان نقل المواد الإعلامية الخام إلى فرق الإنتاج في وسائل الإعلام المركزية. ويخدم هذا الدعم المركزي الولايات القريبة والبعيدة. على سبيل المثال، تظهر الوثائق الإعلامية التي تم الاستحواذ عليها من ولاية خراسان التابعة لتنظيم الدولة الإسلامية دور وحدة الإعلام المركزية في العمل «كمركز تنسيق لتوزيع المحتوى الخارجي» (ملتون، 2018ب). وبالنسبة للولايات مثل خراسان وشرق آسيا وغرب أفريقيا، غالبًا ما يعني هذا المستوى من الدعم المركزي التحرير والإنتاج والنشر والتوزيع عن بُعد إلى مجموعة متنوعة من الوسائل الإعلامية الرسمية. وكانت إدارة الوسائل غير الرسمية على الإنترنت وقنوات التواصل الاجتماعي التي توسعت في مرحلة ما بعد سقوط أراضي الخلافة هي التحدي الأحدث لقسم لم يعد يعمل في منطقة متجاورة، لكنه لا يزال يرغب في التحكم بالسردية على مستوىً عالٍ.

إعلام الخلافة بعد خسارة الأراضي

منذ بلوغ تنظيم الدولة الإسلامية ذروة سيطرته على الأراضي في الفترة 2015-2016، تراجع إنتاجه الإعلامي بشكل كبير. ويتجلى هذا الاتجاه في المواد البصرية الواردة أدناه والمستندة إلى كامل أرشيف النتاج الإعلامي لتنظيم الدولة الإسلامية، الذي يعود تاريخه إلى عام 2015. تم جمع الأرشيف من قناته الرسمية المغلقة على منصة التواصل الاجتماعي المشفرة، تلغرام. وكل نقطة من نقاط بياناته التي يفوق عددها الخمسين ألفًا –أي كل هجوم متبنّى، وكل صورة فوتوغرافية ومقطع فيديو وبرنامج إذاعي وبيان للقيادة وما إلى ذلك- أُدخلت وعولجت بواسطة نظام إكستراك ExTrac لتحليل الصراعات، الذي يستخدم الذكاء الاصطناعي لتعزيز الخبرة البشرية بموضوع معين.[20]

إكستراك

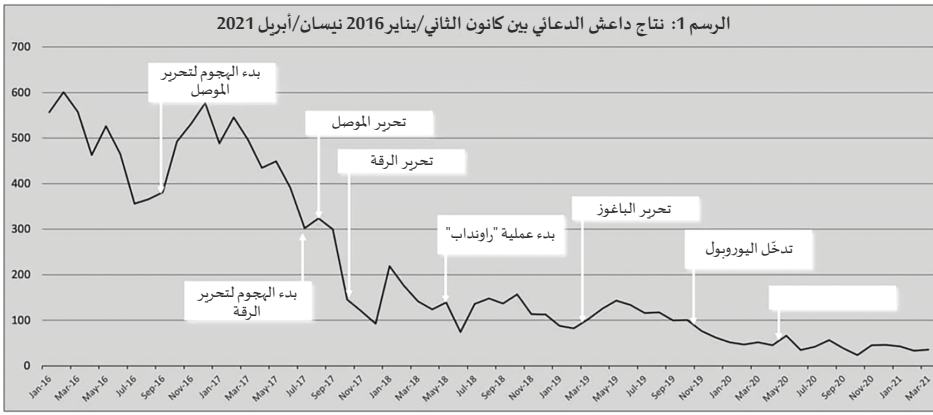

عند النظر في معدل الإنتاج بشكل طولي، كما في الرسم 1، يبدو بوضوح إلى أي مدى عانت المؤسسة الإعلامية لتنظيم الدولة الإسلامية بسبب خسارة الأراضي. إذ تقدم هذه البيانات دليلاً لا جدال فيه على أن إنتاجية هيئة التنظيم الإعلامية بلغت بمطلع العام 2021 نحو سبعة بالمائة من نسبتها في أوائل العام 2016. ويتطابق هذا الاستنتاج مع العمل الذي وضعه ميلتون وأشار فيه إلى تباطؤ الحملة الدعائية بشكل شامل خلال عامَي 2016 و2017 عندما أُجبرت الخلافة على تقليص رقعتها الجغرافية (ميلتون، 2016؛ ميلتون، 2018أ).

20 يرجى زيارة موقع extrac.io لمزيد من المعلومات

على النحو نفسه، تحولت تركيبة مواضيع علامة الدولة الإسلامية بشكل تام بين عامَي 2015 و2020، وهو ما تم تصويره في الرسم 2. في حين كان أكثر من خمسين في المئة من نتاجها اليومي عامَي 2016/2015 يدور حول الشؤون المدنية، تضاءلت هذه النسبة إلى اثنين في المئة فقط بحلول عام 2020. وفي إطار هذا التحول الهائل في أولويات مواضيعها، تحولت قصصها من نزعة المثالية إلى التركيز البسيط على قدراتها وأجندتها العسكرية[21]. وتم تتبّع التغيير في أهداف استراتيجيتها الشاملة للاتصالات حيث ابتعدت عن التوظيف واتجهت نحو الاستبقاء - أي الحفاظ على التماسك والانسجام في شبكات المناصرين الموجودة (ونتر، 2020ب).

EXTRAC

إكستراك

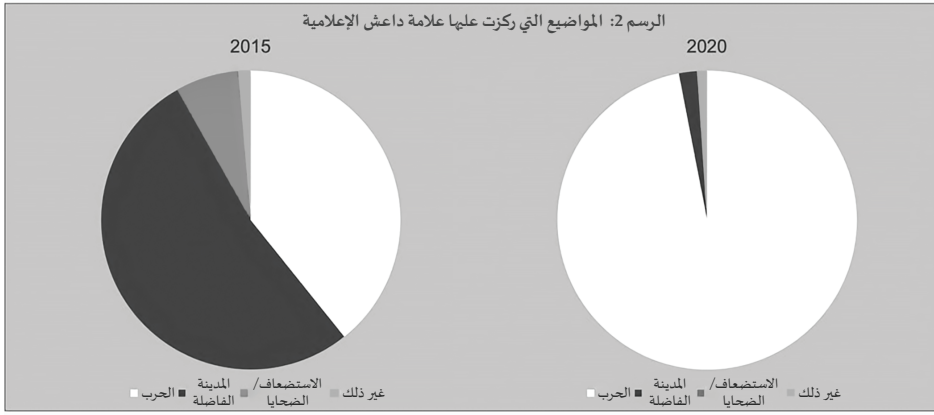

إكستراك 2021 ©

extrac.io

ومن المثير للاهتمام، من منظور جغرافي، أن البيانات تشير إلى أن العلامة المميزة لتنظيم الدولة الإسلامية أصبحت تعتمد أكثر على أرباح الاتصالات التي تجنيها من الفروع التابعة لها خارج قواعدها اللوجستية في سورية والعراق- أولها من نيجيريا- وولاية غرب أفريقيا في الساحل الأفريقي، ولكن أيضًا من أمثال ولاية سيناء في مصر وولاية وسط أفريقيا في جمهورية الكونغو الديمقراطية، أقله اعتبارًا من العام 2020. (خدمة الرصد الإعلامي في بي بي سي، 2019؛ مونوز، 2018). نظرًا إلى أن العكس كان

21 تم الكشف عن هذا التحول منذ عام 2017. انظر ونتر ش.، (2018). بعد نهاية العالم: دراسة طولية لعلامة الدولة الإسلامية Apocalypse later: A longitudinal study of the Islamic State brand. دراسات ناقدة في الاتصالات الإعلامية، 35(1)، 103-121.

صحيحًا في أوائل العام 2017 عندما تقلصت علامة تنظيم الدولة الإسلامية لتصبح أقل عالمية، يصبح توسّعها الأخير جديرًا أكثر بالملاحظة كما هو موضح في الرسم 3 (إنغرام ووايتساييد وونتر، 2021). وتبعاته واضحة: فمع تضاؤل أراضي الخلافة في سورية والعراق، سعى ديوان الإعلام المركزي لتنظيم الدولة الإسلامية بشكل منهجي إلى إلقاء المزيد من الضوء على مآثره في أماكن أخرى، ووضع التنظيم -من الناحية التشغيلية ومن حيث علامته المميزة ككل- في إطار أقرب إلى الجوانب الأدهوقراطية العالمية لتمرده، من نواته «التقليدية» في سورية والعراق.

إكستراك EXTRAC

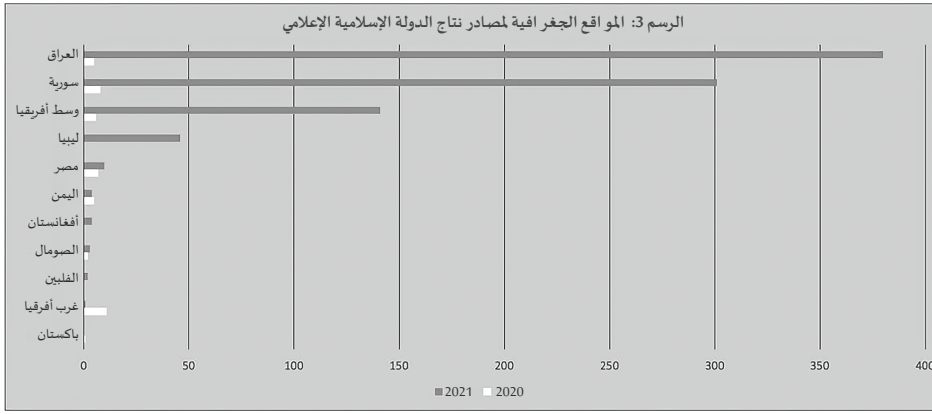

إكستراك 2021 ©

extrac.io

يمكننا القول بثقة شبه تامة أن منحى التراجع المرصود أعلاه لم يكن نتيجة خيار استراتيجي فحسب (مع أن السياسة الداخلية تركت تأثيرها عليه). ويمكن تتبع هذه الفكرة، التي مفادها أن مسار العمليات الإعلامية لتنظيم الدولة الإسلامية تغيّر بسبب الظروف الخارجية وليس لأنها نتاج عملية مركزية لصنع القرار، من خلال الإطار الزمني المبيّن في الرسم 1 والذي يسرد أبرز الحملات العسكرية المنفَّذة في العالم الحقيقي وعلى الإنترنت ضد تنظيم الدولة الإسلامية بين عام 2016 وعام 2021. بالرغم من الارتفاع الملحوظ في الإنتاجية خلال الأشهر القليلة الأولى من معركة الموصل في أواخر عام 2016 والتسارع الأصغر والأقل تأثيرًا في منتصف عام 2017 مع إطلاق حملة تحرير الرقة،

تظهر البيانات بوضوح أنه مع مرور الوقت وفيما كان تنظيم الدولة الإسلامية يخسر أراضيه (ومعها الموارد والقوة البشرية)، انهارت قدراته الإعلامية بشكل محتم.[22]

يمكن تفسير ديناميكية التراجع من خلال ثلاث مجموعات من العوامل المتداخلة التي تتعلق بالأراضي والخبرة والبيئة السيبرانية. في ما يتعلق بالمجموعة الأولى، من الواضح وضوح الشمس أن تنظيم الدولة الإسلامية، على الأقل استنادًا إلى هيكليته الحالية، بحاجة إلى أن يكون مسيطرًا على الأراضي -ومسؤولاً عن إدارة هذه الأراضي- من أجل إنتاج مواد دعائية على مستوى مماثل لذلك المنتج في فترة 2016/2015. وقد اتّضح هذا الشرط عند الاستنتاج أن التنظيم بحاجة إلى مساحات كبيرة من الأراضي، ليس لتكون مادة إعلامية يستعملها اختصاصيوه الدعائيون فحسب، بل أيضًا لإيواء مساحات آمنة لتجميع المنتجات الإعلامية وتحريرها (ونتر، 2018؛ ونتر والمحمد، 2019).

من ناحية المجموعة الثانية من العوامل، المتعلقة بالقوة البشرية والخبرة، من المؤكد أيضًا أن الضربات التي استهدفت كبار الشخصيات في ديوان الإعلام المركزي لعبت دورًا مهمًا للغاية، وهذا ما يتبين من نتاج الديوان بعد الخسائر الكارثية في قياداته، المدرجة في القسم الأول من هذا البحث (رايت، 2016). ونظرًا إلى أهمية الخبرة التقنية في حقل الإعلام، لا يمكن فعليًا التشكيك في أن استنزاف رأس المال البشري أثّر سلبًا على قدرة التنظيم على إنتاج المواد الدعائية.

أما المجموعة الأخيرة من العوامل فتتعلق ببيئات الإنترنت، أي المساحات التي يوزع فيها تنظيم الدولة الإسلامية محتواه. بسبب تكثيف جهود مكافحة البروباغندا، لم يعد النظام الإلكتروني على الإنترنت لتنظيم الدولة الإسلامية في مطلع العام 2021 كما كان عليه في الفترة 2015-2016. ومع أنه لا يزال قوة فعالة لا يمكن إنكارها، لم يعد عملاء التنظيم الافتراضيين متوفرين أو متواجدين في كل مكان كما كانوا في السابق. وعلى غرار ما تتبعته دراسات عديدة، أدى هذا التراجع في البنية التحتية والقدرات إلى تراجع شامل في نشاط التنظيم العلني عبر الإنترنت (كونواي ، وآخرون، 2019).

22 لمعرفة المزيد عن حملة الدولة الإسلامية في الموصل، انظر ش. ونتر (2020أ). تأطير الحرب: الدعايات البصرية، وتنظيم الدولة الإسلامية، ومعركة شرق الموصل. Framing war: Visual propaganda, the Islamic State, and the battle for east Mosul. مجلة كامبريدج للشؤون الدولية Cambridge Review of International Affairs, 33 العدد(5). 667-689.

التمرد الأدهوقراطي العالمي لتنظيم الدولة الإسلامية

بعد سرد تاريخ جهاز البروباغندا في تنظيم الدولة الإسلامية وتحديد الاتجاهات الرئيسية في استراتيجيته الإعلامية ونتاجه الإعلامي منذ عام 2016، من المهم فهم المبادئ الاستراتيجية والخصائص التنظيمية التي تميز تنظيم الدولة الإسلامية المعاصر. لم يتطور تنظيم الدولة الإسلامية إلا مؤخرًا إلى مؤسسة عابرة لحدود الأوطان مع امتداده الرسمي إلى سورية عام 2013.[23] لكن شبكة فروعه عبر الوطنية لم تنمُ بشكل كبير إلا في العام 2014 بعد أن أعلن التنظيم عن إنشاء خلافته، وبدأ بتصنيف الانضمام إلى صفوفه كفريضة على جميع المسلمين (العدناني، 2014). مع أن إدارة الدولة الإسلامية لشبكتها عبر الوطنية لم تكن متناسقة، وشهدت فروع التنظيم قدرًا كبيرًا من إعادة الهيكلة والترشيد عام 2018، إلا أنه كان يتوجب على أي فرع أن يستوفي مجموعة أساسية من المعايير ليقبل به التنظيم رسميًا، وهي مبايعة الخليفة وتبنّي عقيدة الدولة الإسلامية ومنهجها (مؤلف غير معروف، 2014؛ خدمة الرصد الإعلامي في بي بي سي، 2018). وكان لهذه الممارسة أهمية خاصة في تسهيل استراتيجية التنظيم الإعلامية خلال هذه الفترة الحالية من التراجع بطريقتين مهمتين.

أولاً، من خلال مطالبة التنظيمات التابعة له بتبني وتطبيق أيديولوجيته واستراتيجيته في ركنها الخاص من العالم، يوفر التنظيم لاختصاصييه الدعائيين إمدادًا متواصلاً بالمواد اللازمة لنتاجه الإعلامي. ولا عجب في أنه مع استمرار الضغوط في سورية والعراق، أخذ دعائيو التنظيم يستعرضون أكثر فأكثر أنشطة التنظيمات التابعة له، خصوصًا تلك الموجودة في أفريقيا.[24] لكن هذا التبدل في المحتوى لا يكتفي بإظهار أن الدولة الإسلامية مستمرة وناشطة في عشرات البلدان في جميع أنحاء الشرق الأوسط وأفريقيا وآسيا، بل يستعرض أيضًا الفعالية العملية لأسلوبه في الحرب والحكم. فادعاء التنظيم بأن أسلوبه في إقامة دولة إسلامية يعكس إرادة النبي، يكمن في جوهر مزاعمه بالتحلي بالمصداقية أكثر من مزاعم منافسيه من الجهاديين.

23 للاطلاع على تحليل مفصل لتاريخ الدولة الإسلامية منذ تأسيسها في التسعينيات وحتى وفاة البغدادي، انظر هـ. إنغرام وك. وايتسايد، وش. ونتر (2020). قارئ داعش The ISIS Reader. دار جامعة أكسفورد للنشر Oxford University Press.

24 انظر على سبيل المثال ت. كاندلاند وآخرون (2021). الدولة الإسلامية في الكونغو The Islamic State in Congo. برنامج دراسات التطرف في جامعة جورج واشنطن.

ثانيًا، إن النتاج الإعلامي المركزي لتنظيم الدولة الإسلامية هو بحد ذاته وسيلة لتنسيق الأعمال ومزامنتها عبر شبكة التنظيمات التابعة له. فالمتحدث الإعلامي باسم التنظيم أو الخليفة يدعو مثلاً بانتظام إلى حملة عالمية. وقد تشمل هذه الحملة ما يسميه «الحصاد»، وهو ينطوي على قتل المسؤولين الحكوميين وعناصر القوى الأمنية، أو «تحطيم الجدران»، وهذا يتضمن شن الهجمات على السجون. ولا يهم ما إذا كانت هذه الفروع تملك خططًا مسبقة أو أنها استجابت فعلاً لدعوة التنظيم، فهذا أمر ثانوي للانطباع الذي تخلقه: وهو أن سيمفونية عنف الدولة الإسلامية عالمية ومنسقة. إن تمكين هذه الديناميات الاستراتيجية لتمرد الدولة الإسلامية العالمي، لا بل تحفيزها، يدل على خصائص التنظيم الأدهوقراطية.

لقد أثبت تنظيم الدولة الإسلامية قدرته على خوض عمليات انتقال تنظيمية مع تغير الظروف الاستراتيجية. بينما عملت الدولة الإسلامية في الغالبية العظمى من تاريخها كحركة تمرد ما دون عتبة التمكين، قامت خلال فترات النجاح العابر بتهجين أنشطتها العسكرية مع قدر أكبر من التقليدية، حتى أنها اعتمدت البيروقراطية في مجال الحكم (كما حدث في فترة 2014-2016). وعلى مر تاريخها، تميّزت الدولة الإسلامية من الناحية التنظيمية بمركزية القيادة والتحكم[25] ولامركزية الإدارة والتنفيذ (مينتزبرغ، 1989). تميل المؤسسات الأدهوقراطية، على غرار الدولة الإسلامية، إلى الظهور في بيئات ديناميكية عالية المخاطر تتضمن «تركيبة من الفِرَق المتفاعلة»، تعمل جميعها لتحقيق هدف ما و/أو التعبير عن هوية مشتركة (مينتزبرغ، 1981). وبفعل تقلّب البيئة التي تميل فيها الأنظمة الأدهوقراطية إلى العمل، تكون عادةً عملية صنع القرار لامركزية من الناحيتين التشغيلية والتكتيكية مع اتجاه استراتيجي شامل، وغالبًا ما تنشأ من نواة قيادة هرمية (واترمان، 1990). تضفي هذه البنية التشغيلية المتأصلة على الأنظمة الأدهوقراطية القدرة على استغلال الفرص من الناحية التشغيلية والتكتيكية عند ظهورها في موقع العمل الفعلي. علاوة على ذلك، وباعتبار الدولة الإسلامية منظمة معدّة للاستجابة والتكيف، فإن خصائصها الأدهوقراطية تمكّنها من التحرك نحو هيكليات تنظيمية رسمية بيروقراطية إلى حدٍّ ما، اعتمادًا على الظروف الاستراتيجية الحالية أو المتوقعة (مينتزبرغ، 1981).

25 كما سبق وذكرنا آنفًا، إن الإنتاج الإعلامي المركزي لتنظيم الدولة الإسلامية هو أحد الوظائف الأساسية التي بقيت مركزية، حيث تقوم عادةً وحدات الإعلام الإقليمية بتوجيه محتواها إلى الوحدة المركزية قبل إصداره.

بما أن الدولة الإسلامية تتبع النظام الأدهوقراطي، فهي تتمتع بنقاط القوة ونقاط الضعف نفسها التي يتصف بها هذا النوع من الأنظمة. وصحيحٌ أن المرونة والابتكار والقدرة على التكيف هي نقاط قوة مهمة، ولكن في نقاط القوة هذه تكمن جذور نقاط ضعفها الرئيسية. وأحد الأسباب هو أن النظام الأدهوقراطي يعتمد على استخدام موظفي الاتصال /أو تكنولوجيات التواصل للتنسيق. فإذا تعطلت آليات التواصل هذه، تصبح هذه المرونة والقدرة على التكيف هشّتين، وتصبح المنظمة عرضةً للهلاك. ومن شأن المنافسة داخل النظام الأدهوقراطي أن تغذي الخصومات داخل المنظمة، ما يؤجج نقاط الضعف، فتدفع بها إلى التطرف الأيديولوجي والتشغيلي عند الأطراف (مينتزبرغ، 1981). من الممكن أيضًا أن تخطئ الأنظمة الأدهوقراطية في توقيت انتقالاتها التنظيمية، ما يؤدي، في أحسن الأحوال، إلى خسائر في الموظفين والموارد هي بغنى عنها، أو في أسوأ الأحوال، إلى الانهيار التنظيمي (مينتزبرغ، 1981).

والواقع أن الخصائص الاستراتيجية والتنظيمية لتنظيم الدولة الإسلامية، التي عرضناها هنا، لها تبعات كبيرة على السياسات. ولثلاثة منها أهمية خاصة. أولاً، من الضروري تقييم التنظيمات التابعة للدولة الإسلامية على أساس كل حالة على حدة، وضبط ردود الاستراتيجيات المضادة وفقًا لذلك. ما من نموذج عالمي يمكن تطبيقه، وثمة عثرات كبيرة سواء في المبالغة بتقدير تأثير الدولة الإسلامية على توابعها المحلية، أم في التقليل منه. ثانيًا، إن مواصلة الضغط على مؤسسة الدولة الإسلامية العابرة للحدود الوطنية، وبخاصة قدراتها في مجال التواصل، ستفاقم نقاط الضعف التنظيمية المتأصلة. ولا تقتصر أنواع الضغط هذه على عمليات مكافحة الإرهاب الرامية إلى الكشف عن موظفي الاتصال والقبض عليهم واعتراض شبكات التواصل، بل تشمل أيضًا، حيثما أمكن، تعطيل آلية نشر الأعمال الدعائية عبر الإنترنت من خلال عمليات إغلاق المواقع ونشر المعلومات المضللة لإحباط المزيد من جهود التنسيق. أخيرًا، إن أكثر فترة سيكون فيها تنظيم الدولة الإسلامية الأدهوقراطي سريع التأثر هي الفترات الانتقالية. وحيث أن التنظيم يواصل في العام 2021 انتقاله إلى إيقاعات معارك التمرد الطويل الأمد في معاقله في بلاد الشام، فهو يحرص على توجيه الأنظار إلى التنظيمات التابعة له في العالم. يؤكد هذا الميل على أهمية دعم الحلفاء في وقت واحد لمواجهة ولايات الدولة الإسلامية أينما ظهرت مع الاستمرار في ممارسة ضغوط متعددة الأبعاد على نواة الدولة الإسلامية.

الخلاصة

كان لفقدان الأراضي وكبار القياديين على مدى السنوات الخمس الماضية تأثيرٌ كبير على ديوان الإعلام المركزي لتنظيم الدولة الإسلامية، ولكن هذه الجهود لم تكسره. فعلى عكس التوقعات التي تنبأت بحلّ مركزية التمرد في المستقبل، إن البيروقراطية المتطورة والمتكاملة والمتعددة الطبقات، وتخصص وكالاته الإعلامية المختلفة، هما ما سمح لديوان الإعلام المركزي بمواصلة السيطرة على مناصريه عبر الإنترنت مع إنتاج مواد عالية الجودة، حتى وإن كان بمعدل أقل وبدون مواضيع الحكم التي كانت تهيمن على محتواه. وكان العامل الرئيسي في استمرار نتاجه هو الدور الذي لعبه المكتب المركزي في زيادة الكفاءة والجودة إلى أقصى حد، مع حماية حلقاته الرئيسية وخطوط البث التابعة له وكبار قياديه. واليوم، يجمع التنظيم الممارسات السرية مع حلقاته الموجهة للجمهور، مثلما فعل مع أكشاكه المحلية في الموصل خلال فترة الخلافة، ويبث رسائله على قنوات التواصل الاجتماعي الرسمية والمواقع الإلكترونية ومواقع المعجبين، بما في ذلك خطابات القيادة التي يدلي بها ناطقون رسميون وقياديون تم التحفظ بعناية عن هويتهم.[26] وطبيعة التنظيم الأدهوقراطية هي التي تسهّل عليه إجراء التجارب بصورة متكررة، وتحويل الموارد إلى التقنيات التي تسمح له بمواصلة نشر البروباغندا التي تتوافق مع عقيدته ونهجه، مع استغلال حركات التمرد المحلية المتأثرة بالسلفية لتعزيز العلامة والسردية العالميتين بهدف الربط على مهلٍ بين جُزر خلافته.

26 كان الخليفة الحالي مجهول الهوية إلى أن أصدرت الحكومة الأميركية سجلات استجوابه من العام 2008. انظر د. مليتون (أيلول/سبتمبر 2020). «سجلات التحقيق التكتيكية للمولى: مناقشة تحليلية مع كول بانزيل وهارورو إنغرام وجينا لايغون وكريغ وايتساید.»,The Al-Mawla TIRs: an analytical discussion with Cole Bunzel, Haroro Ingram, Gina Ligon, And Craig Whiteside. مرصد مركز مكافحة الإرهاب CTC Sentinel، عدد 13، ص. 14-23. بالنسبة للشبكة الخارجية، ظهر مؤخرًا مثال على طبيعتها وصلاتها السرية عند اعتقال بنيامين آلان كاربنتر من نوكسفيل في ولاية تينيسي، الذي كان يدير موقع أهل التوحيد الإلكتروني لصالح القسم الإعلامي للدولة الإسلامية، وهو موقع للمناصرين يترجم المواد الإعلامية الخاصة بالدولة الإسلامية إلى اللغة الإنجليزية بالنيابة عن التنظيم. انظر مكتب المدعي العام الأميركي لشرقي تينيسي. (5 نيسان/أبريل 2021). «رجل من نوكسفيل يُعتقل لمحاولته تقديم الدعم المادي لداعش» "Knoxville Man Arrested For Attempting To Provide Material Support To ISIS." .»https://cutt.ly/HRbmvJl

مصادر الدراسة

- العدناني، أ. 2014) .al-Adnani, A). هذا هو وعد الله This is the Promise of Allah، مركز الحياة للإعلام.
- البنعلي، ت. 1) .al-Binali, T) تشرين الثاني/نوفمبر 2014). السيرة الذتية للمتحدث باسم الدولة الإسلامية أبو محمد العدناني الشامي). A Biography of Islamic State Spokesman Abu Muhammad al-Adnani as-Shamiب. فان أوستاين P. Van Ostaeyen. تحرير وترجمة)
- الهاشمي، ح. al-Hashimi, H. (تشرين الأول/أكتوبر2018). داعش في العام 2018: العراق كنموذج ISIS in 2018: Iraq as a Model. مركز صنع السياسات للدراسات الدولية والاستراتيجية The Centre of Making Policy for International and Strategic Studies (اسطنبول).
- التميمي، أ. 21) .al-Tamimi, A) كانون الأول/ديسمبر 2018). النزاعات الداخلية في القسم الإعلامي للدولة الإسلامية: خطاب شكوى. Internal conflicts in the Islamic State›s media department: A letter of complaint. أيمن جواد التميمي. http:// www.aymennjawad.org/21906/internal-conflicts-in-the-islamic-state-media
- التميمي، أ. 14) .al-Tamimi, A) كانون الثاني/يناير 2019). انشقاق في الدولة الإسلامية: شهادة أبو عبد الملك الشامي. Dissent in the Islamic State: The testimony of Abu Abd al-Malek al-Shami. أيمن جواد التميمي .http://www.aymennjawad. org/22240/dissent-in-the-islamic-state-the-testimony-of-abu
- مجهول. (2007أ). الهيكلية الإدارية للمركز الإعلامي للمنطقة الغربية Administrative structure of the media center for the western region. الرقم المرجعي: NMEC-633658-2007. مركز مكافحة الإرهاب في ويست بوينت. https://ctc.usma.edu/ harmony-program/two-charts-displaying-the-administrative-structure-of-the-media-center-for-the-western-region-original-language/
- مجهول. (2007ب). موجز عن أهداف وخطة أقسام الإنتاج الإعلامي لمنظمة غير محددة الهوية An outline of goals and plan of the media production divisions

of an unidentified organization. الرقم المرجعي: 633857-NMEC-2007. مركز مكافحة الإرهاب في ويست بوينت. https://ctc.usma.edu/harmony-program/an-outline-of-goals-and-plan-of-the-media-production-divisions-of-an-unidentified-organization-original-language/

- خدمة الرصد الإعلامي في بي بي سي. (2018). تحليل: تنظيم الدولة الإسلامية يعيد هيكلة «ولاياته» بعد عام من هزيمة 2017. Analysis: Islamic State restructures its 'provinces' a year on from 2017 defeats. خدمة الرصد الإعلامي في بي بي سي. https://monitoring.bbc.co.uk/product/c200bdcn
- كاكي [@28] .[___Caki شباط/فبراير 2019). سلسلة تغريدات عن عضو داعش الإعلامي والاستخباراتي « أبو مقاتل الأميركي.» Thread on ISIS media operative «Abu Muqatil al-Amriki» and intelligence operative.» [تغريدة]. تويتر. https://twitter.com/_Caki__/status/1101210095579525120
- كاليماتشي. ر. 17) .R ، Callimachi شباط/فبراير 2019). صوت داعش الإنكليزي يخرج من الظلال The English voice of ISIS comes out of the shadows نيويورك تايمز. https://www.nytimes.com/2019/02/17/world/middleeast/isis-islamic-state-narrator.html
-
- كاندلاند ت. Candland, T. وآخرون (2021). الدولة الإسلامية في الكونغو The Islamic State in Congo. برنامج دراسات التطرف في جامعة جورج واشنطن.
- م. كونواي Conway, M. وم. خواجة Khawaja, M. وس. لاخاني Lakhani, S. وج. ريفين Reffin, J. وأ. روبرتسون Robertson, A. ود. واير 2018) .Weir, D). تعطيل داعش: قياس إزالة المواد الإرهابية على الإنترنت وتأثيراتها. Disrupting Daesh: Measuring takedown of online terrorist material and its impacts. دراسات في الصراع والإرهاب 1)42، Studies in Conflict & Terrorism-2), ص. 141-160.
- مشروع مكافحة التطرف Counter Extremism Project) 2021). أبو حمزة القرشي. مشروع مكافحة التطرف Counter Extremism Project. https://www.counterextremism.com/extremists/abu-hamza-al-qurashi

- هـ إنغرام Ingram, H. وك. وايتساید Whiteside, C. (2019) «الخليفة أبو مجهول: الخلافة والشرعية في الدولة الإسلامية.» Caliph Abu Unknown: Succession and legitimacy in the Islamic State.» وور أو ذا روكس War of the Rocks. https://caliph-abu-unknown-succession-and-/11/warontherocks.com/2019/legitimacy-in-the-islamic-state/
- هـ إنغرام Ingram, H. وك. وايتساید Whiteside, C.وش. وينتر Winter, C. (2021). تطبيق الروتينية على المؤسسة العالمية لتنظيم الدولة الإسلامية The routinization of the Islamic State's global enterprise. معهد هدسون. https://www.hudson.org/research/16798-the-routinization-of-the-islamic-state-s-global-enterprise
- هـ إنغرام Ingram, H. وك. وايتساید Whiteside, C.وش. وينتر Winter, C. (2019). خليفة الفدائية: الخطابات التي تحدد بداية ونهاية حقبة «خلافة» الدولة الإسلامية Guerilla caliph: Speeches that bookend the Islamic State's 'caliphate' era. مرصد مركز مكافحة الإرهاب CTC Sentinel)5), عدد 12 (5) ص 41-46. https://CTC-SENTINEL-052019.pdf/05/ctc.usma.edu/wp-content/uploads/2019
- هـ إنغرام Ingram, H. وك. وايتساید Whiteside, C. وش. وينتر Winter, C. (2019). قارئ داعش The ISIS Reader. دار جامعة أكسفورد للنشر Oxford University Press.
- الدولة الإسلامية. (2016). العدد 3. مجلة رومية، العدد الثالث. مركز الحياة للإعلام، متوفر على موقع علم الجهاد Jihadology لآرون زيلين Aaron Zelin: https://rome-magazine-3.pdf/11/jihadology.net/wp-content/uploads/_pda/2016
- الدولة الإسلامية. (2017). بين المؤمنين رجال: الشيخ أبو سليمان الشامي Among the believers are men: Shaykh Abu Sulayman Ash-Shami. رومية، العدد الثامن. مركز الحياة للإعلام.
- دولة العراق الإسلامية. (2011). «العدد 46 من السير الذاتية للشهداء البارزين: أبو ميسرة العراقي»، مؤسسة الفرقان.
- و. ماكانتس [@30] .[Will_mccants آب/أغسطس 2016). ادعاء داعش أن العدناني

متحدر من سلالة النبي محمد تؤكد نظرية مفضلة لدي هي أنه كان يجري إعداده... ISIS claim that Adnani is a descendant of Muhammad confirms a pet theory of mine that he was being groomed...[تغريدة]. تويتر. https://twitter.com/will_mccants/status/770689929168945152

- د. ميلتون (Milton, D. 2016). انهيار الاتصالات: تقويض الجهود الإعلامية لتنظيم الدولة الإسلامية Communication breakdown: Unraveling the Islamic State's media efforts. مركز مكافحة الإرهاب في ويست بوينت. https://ctc.usma.edu/communication-breakdown-unraveling-the-islamic-states-media-efforts/
- د. ميلتون (Milton, D. 2018أ). «تعطيل وليس اختفاء: معاينة محدَّثة للبروباغندا البصرية لتنظيم الدولة الإسلامية» Down but not out: an updated examination of The Islamic State›s visual propaganda,» Combating Terrorism Center at West Point. https://ctc.usma.edu/down-but-not-out-an-updated-examination-of-the-islamic-states-visual-propaganda/
- د. ميلتون (Milton, D. 2018ب). «رفع الستار: نظرة داخلية على المؤسسة الإعلامية لتنظيم الدولة الإسلامية» Pulling back the curtain: An inside look at the Islamic State's media organization. مركز مكافحة الإرهاب في ويست بوينت. https://ctc.usma.edu/wp-content/uploads/2018/08/Pulling-Back-the-Curtain.pdf
- د. ميلتون Milton, D. (أيلول/سبتمبر 2020). «سجلات التحقيق التكتيكية للمولى: مناقشة تحليلية مع كول بانزيل وهارورو إنغرام وجينا لايغون وكريغ وايتساید.» The Al-Mawla TIRs: an analytical discussion with Cole Bunzel, Haroro Ingram, Gina Ligon, And Craig Whiteside. مرصد مركز مكافحة الإرهاب CTC Sentinel، عدد 13، ص. 14-23.
- هـ. مينتزبرغ (Mintzberg, H. 1989) عن الإدارة Mintzberg on Management. دار الصحافة الحرة للنشر Free Press.
- هـ. مينتزبرغ (Mintzberg, H. 1981). تصميم المنظمة: موضة أو توفيق؟ Organization design: Fashion or fit? هارفارد بزنس ريفيو Harvard Business Review . https://hbr.org/1981/01/organization-design-fashion-or-fit

- مستر أورنج 29) .[@Mr0rangetracker] Mr. Orange نيسان/أبريل 2019). كانت الباغوز كارثة على إعلام #داعش Bâghûz was a catastrophe for #IS media. فقد رئيسه أبو عبد الله الأسترالي - الذي كان سابقًا الثاني في القيادة ومن المحتمل... It lost its head Abû ‹Abdullâh al-Austrâlî - previously second in command and likely...[تغريدة]. تويتر. https://twitter.com/Mr0rangetracker/status/1122991056944078848
- م. مونوز 2018) .Munoz, M) «التسويق للحرب الطويلة: بروباغندا الدولة الإسلامية بعد الخلافة» Selling the long war: Islamic State propaganda after the caliphate، مرصد مركز مكافحة الإرهاب 10)11 ,CTC Sentinel)، ص. 31-36. https://ctc.usma.edu/wp-content/uploads/2018/11/CTC-SENTINEL-112018.pdf
- ك. أورتن 6) .Orton, K نيسان/أبريل 2019). الدولة الإسلامية تحدد خصائص القيادة Islamic State profiles the leadership. مدونة كايل أورتن . Kyle Orton https://kyleorton1991.wordpress.com/2019/06/04/islamic-state-profiles-the-leadership/#more-6114
- ب. رودجيو 28) .Roggio, B تشرين الأول/أكتوبر 2007). الولايات المتحدة تستهدف جناح الفرقان الإعلامي التابع لتنظيم القاعدة في العراق US targets al Qaeda's Furqan media wing in Iraq. مجلة الحرب الطويلة Long War Journal. https://www.longwarjournal.org/archives/2007/10/us_targets_al_qaedas.php
- م. شليبس 28) .Schliebs, M أيلول/سبتمبر 2018). «الأمير» الأسترالي السري لإعلام الدولة الإسلامية Mystery Australian 'emir' of Islamic State media. ذي أستراليان The Australian. https://www.theaustralian.com.au/nation/mystery-australian-emir-of-islamic-state-media/news-story/bfda32b6fb0696e86babe765a619e420
- وزارة الدفاع الأميركية. (16 أيلول/سبتمبر 2016). «بيان من السكرتير الصحفي للبنتاغون بيتر كوك حول غارة جوية ضد أحد كبار قادة داعش» Statement from Pentagon press secretary Peter Cook on airstrike against ISIL senior leader https://dod.defense.gov/News/News-Releases/News-Release-View/

Article/946983/statement-from-pentagon-press-secretary-peter-cook-on-/airstrike-against-isil-se

- وزارة العدل الأميركية. (5 نيسان/أبريل 2021). «رجل نوكسفيل يُعتقل لمحاولته تقديم الدعم المادي لداعش» Knoxville Man Arrested For Attempting To Provide Material Support To ISIS. وزارة العدل الأميركية- https://www.justice.gov/usao-edtn/pr/knoxville-man-arrested-attempting-provide-material-support-isis
- مؤلف غير معروف. (2014). باقية وتتمدد. مجلة دابق، العدد 5. ص. 24.
- فان أوستاين 29) [@p_vanostaeyen] Van Ostaeyen, P. نيسان/أبريل 2019). في الفيديو، يأتي البغدادي على ذكر شخصٍ هو مسؤول إعلامي مهم (قُتل). لكنني لم أتمكن من تحديد هويته. In the video al-Baghdādī mentions oneas an important media official.Alas I haven't been able to identify him (killed). ثمة...[تغريدة]. تويتر. https://twitter.com/p_vanostaeyen/status/1122925723604353024
- ر. واترمان 1990) .Waterman, R). الأدهوقراطية. شركة و. و. نورتون W.W. Norton Company.
- م. فايس 16) .Weiss, M أيار/مايو 2019). «داعش: مرنة، متكيفة، لا مركزية»:ISIS: Resilient, adaptable, decentralized, «مجلة نيويورك لمراجعة الكتب New York Review of Books. https://www.nybooks.com/daily/2019/05/16/isis-resilient-adaptable-decentralized/
- ك. وايتسايد 2016) .Whiteside, C). إنارة الدرب: تطور المؤسسة الإعلامية لتنظيم الدولة الإسلامية (2003-2016) Lighting the path: The evolution of the Islamic State media enterprise (2003-2016). المركز الدولي لمكافحة الإرهاب - لاهاي International Centre for Counter-Terrorism-The Hague.
- انظر ش. ونتر 2018) .Winter, C). بعد نهاية العالم: دراسة طولية لعلامة الدولة الإسلامية Apocalypse later: A longitudinal study of the Islamic State brand. دراسات ناقدة في الاتصالات الإعلامية، Critical Studies in Media Communication 1)35), ص. 103-121.
- انظر ش. ونتر 2018) .Winter, C). تأطير الحرب: الدعايات البصرية، وتنظيم الدولة

الإسلامية، ومعركة شرق الموصل. Framing war: Visual propaganda, the Islamic State, and the battle for east Mosul. مجلة كامبريدج للشؤون الدولية Cambridge Review of International Affairs، العدد 33(5). ص. 667-689.

- ش. ونتر Winter, C. (2020ب) إعادة تعريف البروباغندا: الاستراتيجية الإعلامية لتنظيم الدولة الإسلامية Winter, C. (2020b) Redefining propaganda: the media strategy of The Islamic State. مجلة روسي RUSI Journal 165(1) ، ص 38-42.
- ش. ونتر Winter, C. وأ. المحمد Almohammad, A. (حزيران/يونيو 2019). من جبهة القتال إلى الفضاء الإلكتروني: إزالة الغموض عن الآلة الدعائية التابعة لتنظيم الدولة الإسلامية From battlefront to cyberspace: Demystifying the Islamic State's propaganda machine. مركز مكافحة الإرهاب في ويست بوينت. https://ctc.usma.edu/wp-content/uploads/2019/05./Battlefront-to-Cyberspace.pdf
- ر. رايت Wright, R. (2016). أبو محمد العدناني، صوت داعش، ميت Abu Muhammad al-Adnani, the voice of ISIS, is dead. النيويوركر http://www.newyorker.com/news/news-desk/abu-muhammad-al-adnani-the-voice-of-isis-is-dead

الأبنية الفكرية لداعش وتحولاتها إلى ما بعد التمكين

ماهر فرغلي

لم يتكون لتنظيم الدولة (داعش) شكل أيديولوجي محدد، أو بمعنى أدق (وحدة فكرية)، إذ اعتمد في نشأته الأولى على منهاج القاعدة وإنتاجات المنظرين الشوام أو المصريين، وحين أعلن الخلافة وفتحت الهجرة إليه على مصراعيها، أدى ذلك إلى إعادة طرح أسئلة للتمكين لم تكن في الأولوية، كبيعة الإمام، تطبيق الحدود، وتكفير العاذر.. ألخ، وهي التي ستؤدي لخلافات منهجية، وفي هذه الورقات سنطرح الأبنية الفكرية للتنظيم وتحولاتها، حتى حقبة أبي إبراهيم الهاشمي، ومدى تأثير ذلك، وذلك عبر عدة نقاط رئيسية: (1) روافد التصدّعات الأيديولوجية. 2) التمكين والتحولات المنهجية. 3) التفكّك وتشكّل الأجنحة. 4) السجالات وحراك الشرعيين. 5) ما بعد التمكين والقفز على الانشطارات. ومن خلال ذلك سنصل إلى إجابة عن فرضيتنا الأساسية، وهي أن التنظيم ليس له مركز ثقل أيديولوجي محدد، وأنه فكرياً مر بتحولات وإشكاليات بسبب التنظيرات المختلفة التي تم طرحها، وهذا سيؤثر عليه مستقبلياً، عقب انتقاله من مرحلة التمكين إلى الانتشار والشتات.

رو افد التصدّعات الأيديولوجية

سنرى في أغلب المصادر الفكرية لداعش مجموعة من الروافد الموروثة، هي القضايا التي ستتفرع منها أخرى ستساهم في بناء شكل عقدي متصدّع له منذ نشأته الأولى، لنصل في المحصلة النهائية إلى تحولات أيديولوجية لا نهائية، أهمها:

1- الحاكمية: عبر نقلها من المسائل الفقهية إلى العقدية، وبعدها اختلف المنظّرون هل الحكم بغير ما أنزل الله مخرج من الملة؟[27] ، وحول ماهية (نواقض الإسلام العشر)، خاصة النص الثالث (من لم يكفر الكافر فهو كافر)، الذي أفسح المجال للجهاديين

27 راجع أبو عبدالله المهاجر، الحاكمية، التحايا للإنتاج الإعلامي، عام 2014، صـ247.

لتكفير مخالفيهم. لكن المسألة الحادة هي التي ورثها التنظيم من الفرع المصري بالقاعدة، وأطلقها سيد إمام الشريف حول حكم (الملأ)[28]، وهي التي ورثها أبو عبدالله المهاجر، وأثّرت بشكل مباشر في بناء تصورات مبنية على تكفير أعوان الحاكم، وفكرة غير المقدور عليه وهل يكفر أم لا؟[29]. بعدها شملت مسألة الحاكمية الجدل حول القوات المعاونة للحكام، و «الشخص مجهول الحال» (أي الشخص الذي لا توجد أدلة على إسلامه أو كفره)، وهل يجوز الحكم عليه بالكفر أم الإسلام؟.

2- حكم الدار: أي حكم (الدولة) التي لا تعلوها أحكام الشريعة، وتعميم مصطلح (الكفر والطاغوت) ليشمل كل مؤسسات الدول أو قاطنيها، واستند ذلك كله إلى الموروثات العقدية لابن تيمية، وعلماء الوهابية النجديين، وأيضاً تلاميذ سيد قطب وأهمهم علي عبده إسماعيل، الذي طرح قاعدة «التوقف في الحكم على ساكني دار الكفر والحرب حتى التبين من كفرهم بالطاغوت»[30]، ثم تأسيس تلميذه شكري مصطفى جماعته (جماعة المسلمين – يطلق عليها إعلامياً التكفير والهجرة) على تلك القاعدة الأيديولوجية، وإضافة أحكام تتعلق بالهجرة من المجتمع الجاهلي، وحكم الإصرار على المعصية[31]. ورفض التنظيم إطلاق (الدار المختلطة) على الدول، مستنداً لتنظيرات الشرعي المصري حلمي هاشم، الذي ينزل أحكام الدار على ساكنها، واعتبر أنها إما (إسلام أو كفر)[32]، كما اقتبس من تنظيمات أخرى تكفير طقوس ومظاهر الديمقراطية والعلمانية[33].

الدار	دار كفر داعش – وبعض شرعيي القاعدة	دار حرب – غالبية تنظيم القاعدة	دار مختلطة – الجماعة الإسلامية المصرية وبعض التنظيمات السلفية التقليدية

28 الملأ هم أعوان الحاكم، ويختلف نوعهم ودرجتهم وتكفيرهم من مجموعة لأخرى، حسب قربهم من السلطة.

29 القيادي الجهادي هشام أباظة، حوار مباشر مع الكاتب، صيف عام 2013.

30 أسامة شحادة، حكاية جماعات العنف من الانحراف لفكر الخوارج، موقع الراصد، 22 يونيو 2017. https://cutt.ly/xRm8lpa

31 عبدالرحمن ابو الخير، ذكرياتي مع جماعة المسلمين، دار البحوث العلمية، 1980، صـ35.

32 حلمي هاشم، الدار والديار في أحكام الديار، صـ296، دار جمعية الأصول، القاهرة، 2009.

33 راجع (رسالة الإيمان) صالح سرية، من أوراق التحقيقات، قضية الفنية العسكرية، دون دار نشر، صـ27.

حكم القاطنين	دار كفر وقاطنوها كفّار – التوقف في قا طنيها	أعوان الحاكم مرتدون فقط	دار مختلطة وأهلها مسلمو ن
مؤسسات الدار	كافرة	مؤسسات الأعوان كا فرة	مسلمة

(1) جدول الاختلاف في حكم الدار

3- حكم الطائفة والجيوش: لم يختلف شرعيو التنظيم منذ نشأته الأولى حول قتال الطائفة، لكن ما طرحه أبو عبدالله المهاجر هي مسائل سيجري حولها جدل كبير، مثل: هل الجيوش مرتدة أم تقاتل كدفع صائل؟[34]، حكم من انتمى لجيوش الكفر مخادعة لهم، حكم الاستعانة في القتال بالكفار والمرتدين والطوائف الضالة[35]، حكم مناصرة المشركين ومظاهرتهم على المسلمين، مشروعية قتل المرتد وإن أظهر التوبة، حكم عوام الشيعة، تكفير المعيّن، قتل المرتدين، والتمييز بين المدني والعسكري[36].

4- تكفير الشيعة على العموم: بدا التصدّع والخلافات المنهجية في هذه المسألة واضحة في مناصحة أبو محمد المقدسي للزرقاوي[37]، وإمساك الأول بالنقطة المفصلية التي لا يرى فيها استحلال دماء عموم الطائفة الشيعية، ذاهباً للتفريق بين علماء طوائف الضلال وبين عوامهم وجهالهم[38]، بينما يرى الثاني تكفيرهم[39]، كان موقف الزرقاوي مختلفاً عن أيمن الظواهري الذي خلص إلى عدم استخدام مصطلح الروافض، وأن عقائد الشيعة الإمامية كفر بعد إقامة الحجة على المعين (فالزرقاوي كفرهم بينما الظواهري اشترط إقامة الحجة على من يراد تكفيرهم)[40]، ومن كان جاهلًا واعتقد

34 كان الزرقاوي يحكم على الجيش العراقي أنه جيش ردة وعمالة، ويقول «سنحاربه حرب الأمة للتتار»، راجع خطابات الزرقاوي، الخطاب السادس، الموقف الشرعي مِنْ حكومة كرزاي العراق، 23 يوليو/ تموز 2004م https://archive.org/details/15-1426

35 عبدالرحمن العلي، حكم الانتماء لجيوش الكفر مخادعة لهم،1 يوليو 2008، ص6.

36 المصدر السابق، الصفحة 42.

37 الأردني عصام برقاوي، من أكبر المنظرين، كتب في السجن كتابيه: «يا صاحبي السجن»، و «ملة إبراهيم»، وغيرها من الكتب التى ساهمت في تشكيل وعي السلفية الجهادية بالعالم.

38 أبو محمد المقدسي، لقاء قناة الجزيرة، 12 يوليو/ تموز 2005م. https://www.youtube.com/watch?v=ORT0MS4wrXA

39 أبو مصعب الزرقاوي، الخطاب التاسع والثلاثون (هل أتاك حديث الرافضة؟)، 1 يونيو 2006. https://archive.org/details/15-1426

40 المصدر السابق.

هذه الأصول الفاسدة بناء على أحاديث ظنها صحيحة، ولم يبلغه الحق فيها، أو كان عامياً جاهلاً فهو معذور بجهله، كما رأى الظواهري، و «لماذا الهجوم على عوام الشيعة، بينما يجب علينا مخاطبتهم بالدعوة والبيان والتبليغ لهدايتهم للحق»[41]. وهو ما يعني أن قائد القاعدة الحالي كفّر الشيعة الإثنى عشرية بأئمتهم وعمومهم تكفيراً حكماً فقط، ولم يسقط التكفير العيني على الطائفة في جملتها، وذلك عكس داعش الذي كفرهم على العموم[42]، لذا كان مطلب العدناني في كلمته (عذراً أمير القاعدة) واضحاً حيث قال (ندعوكَ لتصحيح منهجك لتكفير الروافض)[43].

كانت القضايا الأربع السابقة هي الروافد الأصلية لخلافات منهجية كبيرة ستحصل فيما بعد بين المنظّرين الشرعيين الذين اختلفوا في هذه المباحث العقدية وأثّروا في عناصر التنظيم[44]، فقد ظهر لأبي قتادة الفلسطيني كتاب «جؤنة المطيبين»، الذي ألفه رداً على كتاب ظهر في نهاية التسعينيات حمل عنوان "كشف شبهات المقاتلين تحت راية من أخل بأصل الدين" وهو الكتاب الذي يرى مؤلفه كفر حركة طالبان وحرمة القتال في صفوفها. وكتاب أبي محمد المقدسي "النكت اللوامع في ملحوظات الجامع" الذي استدرك فيه على تأصيلات سيد إمام في كتابه "الجامع في طلب العلم الشريف"، كما أن جماعة الجهاد المصرية عدّلت كثيراً في كتاب سيد إمام وأعادت نشره بعنوان "الهادي إلى سبيل الرشاد في معالم الجهاد والاعتقاد"، وكانت المباحث العقدية التي اختلف حولها هؤلاء المنظرون هي تقريبا نفسها التي استأنف شرعيو تنظيم الدولة الجدل حولها مجدداً[45]. ثم أصبحت المسائل أكثر تفرعّاً وتعقيداً في تنظيم الدولة في بداية عهد أبي بكر البغدادي حيث تم الانشغال بقضايا مثل جواز قتال الصحوات وحكمهم، وحكم الفصائل السورية، التي لم تبايع الدولة؟[46].

41 مريم بنت زيدون، قراءة في رسالة الظواهري إلى الزرقاوي، الجزيرة نت، 23 – 10 – 2005. https://cutt.us/GXnLe

42 راجع إخوان الروافض ينوحون من جديد!، افتتاحية صحيفة النبأ، العدد 271. https://cutt.ly/DRQ7HHJ

43 راجع التفريغ الصوتي، كلمة أبو محمد العدناني، عذراً أمير القاعدة، موقع سنا الإسلام. https://shineofislam.com/16889/

44 بمعسكر (خلدن في ولاية خوست أفغانستان) كان المسؤول الشرعي أبو عبدالله المهاجر يدرس في معسكر يشرف عليه أبو مصعب الزرقاوي، كتابه (مسائل من فقه الجهاد)، خاصة «مناط الحكم حول الأحكام الجارية في الدار»، وكفر و «ردة من انتمى لجيوش الكفر. راجع: من خفايا التاريخ، منتدى جلجلت السلفي، الثلاثاء 1 يوليو 2008. https://glglt.yoo7.com/t18-topic

45 جريان شناسي، الصراع والانقسام داخل تنظيم الدولة الإسلامية، مختارات فكرية، 25/2/1398. https://cutt.ly/xRm5rKL

46 مناظرة أبي يزن مع العدناني، موقع مكافحة الغلو، 6 يونيو 2015. https://cutt.us/0jZcJ

وتفرّعت من المسائل الرئيسية أخرى فرعية ستصبح مثار نقاشات واسعة، وهي: تعميم مصطلح (الكفر والطاغوت) ليشمل كل مؤسسات الدار أو قاطنيها، هل التكفير من أصول الدين؟، وهل أصل التوحيد يجوز الجهل به؟.

التمكين والتحولات المنهجية

طرح التمكين في الأرض وإعلان الخلافة في عهد أبي بكر البغدادي تصورات غلب على نسقها الغلو والتوسع في التكفير، كان أهمها:

1- بيعة الإمام الممكّن: أي انتصاب أبي بكر البغدادي كخليفة، ووجوب بيعته، ووطرح الشرعيون: (مد الأيادي في وجوب بيعة البغدادي)، لتركي البنعلي، الذي قال فيه: قد توافرت فيه كل شروط الإمامة في أبي بكر البغدادي، ولم يتخلف في حقه لا الشروط الواجبة ولا الشروط المستحبة[47]. وأبي الحسن الأزدي في (موجبات الانضمام للدولة) ووجوب بيعتها[48].

2- الكفر بالموالاة: أي توسيع أحكام الردة لتشمل فصائل متحالفة مع الجيش السوري الحر كمثال، بل وبالتعيين وليس العموم، وتركيب وصف (الصحوات) على الناقض الثامن من نواقض الإيمان (مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين)، وبناء تكفيرهم للمعينين على وصف العاملين بالديمقراطية على الناقض الرابع (من فضّل حكم الطواغيت على حكم الشرع)، وكراهة توسيع العذر ليشمل الجهل بأصل الدين[49]، وما أتبع ذلك من حكم مجالسة مؤيدي الديمقراطية، وطرح ذلك جدل ونقاشات واسعة مع الفصائل الأخرى بسورية[50]. ما استدعى ردوداً واسعة من مكتب البحوث والدراسات، أحد مؤسسات التنظيم[51].

3- التحاكم للقوانين الوضعية في بلاد الكفر: أي كفر من يتحاكم إلى القوانين الوضعية ولو كان مضطراً، «استتاب التنظيم أبي المنذر الحربي، لأنه يرى جواز التحاكم إلى المحاكم العراقية في بغداد لاسترداد الحقوق لمن كان مضطرا»[52].

47 تركي البنعلي، مد الأيادي في وجوب بيعة البغدادي، ص10.
48 أبو الحسن الأزدي، موجبات الانضمام للدولة الإسلامية، مؤسسة المأسدة الإعلامية، شبكة شموخ الإسلام، ص25.
49 مجلة دابق، العدد السادس، ربيع الأول، 1436هـ، ص21.
50 مناظرة أبي يزن مع العدناني، موقع مكافحة الغلو، 6 يونيو 2015. https://cutt.us/0jZcJ
51 راجع معنى الولاء والبراء، المجلد الأول، مكتب البحوث والدراسات.
52 لجنة الرقابة المنهجية، جلسة مع أبي المنذر الحربي، قناة النذير العربان، 22 / 03 / 2016. /https://t.me/107/hanefanmoslem13

4- إقامة الحدود في الأماكن المحررة: «أي الحكم على الدار تكون بالغلبة وما يجري فيها من الأحكام، وطالما أنهم يقيمون الحدود فإن مناطقهم هي دولة إسلامية»[53]. «ووجوب الحكم داخل الدولة بمقتضى الشرع في النظم والسياسات الداخلية، لأنها بناء إسلامي ينتهض من واقع جاهلي» [54]

5- تكفير العاذر: أي الحكم على من يتوقف في التكفير، وطرح مسائل العذر في مسائل التوحيد والشرك، والتسلسل في التكفير أي (من لم يكفر الكافر فهو كافر)، وما يعرف في أدبيات التيار الجهادي بالناقض الثالث (الكفر بالتسلسل). و «موانع التكفير، وهل من لا يرى ذلك كفرًا إلا بربطه بالقلب هو مرجئ، ومن يرى ذلك كفراً ولكن يعذره بمانع فذلك سنيّ يحاور، ومن يرى ذلك كفرًا ولا يرى أي مانع ثم يتوقف عن تكفيره فهو كافر، وما هية صفة الكفر بالطاغوت، وتصحيح إيمان المقلد الذين تلقوا إسلامهم ليس بالبرهنة والاستدلال بل بالتقليد، وكفر من ذهب لدار الكفر، والمعذور بالجهل، ومن لم يتلبس بالشرك، ولم يقع فيه»[55]. وامتحان العوام في أمور العقيدة، وما أعقب ذلك من مجزرة طالت حوالي 3 ألاف شخصاً لخلافات منهجية في مسألة العذر بالجهل، وتكفير العاذر[56]. وفي استدراك تركي البنعلي حول بيان اللجنة المفوضة، أن الدولة تجعل مسألة تكفير المشركين من أصول الدين الظاهرة.

العذر	بثبوت شروط وانتفاء موانع على العموم	لا عذر في أصول الدين والتوحيد	لا عذر مطلقاً
العاذر	العاذر لا يكفر	خلاف داخل التنظيم	يكفر العاذر
التسلسل في التكفير	لا يجوز التسلسل	جواز التسلسل	وجوب التسلسل

(2) جدول يوضح الفروق في أحكام العذر

53 راجع إتحاف البررة في إقامة الحدود في المناطق المحررة، منشورات شموخ الإسلام. http://justpaste.it/ere0

54 عثمان عبدالرحمن التميمي، إعلام الأنام بميلاد دولة الإسلام، وزارة الهيئات الشرعية، مؤسسة الفرقان، صـ45.

55 راجع أبو بكر القحطاني، التفريغ النصي لشح قاعدة من لم يكفر الكافر فهو كافر. https://archive.org/details/omar2017

56 رسالة شهادتي على قضية المستتابين، أبو جندل الحائلي، مؤسسة التراث العلمي. https://cutt.us/xuVor

6- أولوية قتال المرتدين: تم طرح مسألة قتال المرتد وأنه أولى من قتال الكافر الأصلي[57]، وطالت الفتاوى من لا يحكم على الجيوش بالكفر واعتباره خارجاً عن أهل السنة وهو مرجئ»[58]. كما انبرى الشرعيون للمناظرات في مسألة الاستعانة بالمرتد، وهل الاستعانة بالكافرين على المسلمين، أو الاستعانة بالكافرين على الكافرين، «لأن هناك فروقاً بين أن يستعان بهم مع غلبة الإسلام وظهور أحكامه، وأن يستعان بهم مع غلبة الكفر وظهور أحكامه»[59]، وطرحت مسألة الاستعانة بالبغاة على البغاة وجوازها، وإذا تمت بهم مع غلبة الكفر فهل هي صورة مكفرة؟، وتطور الأمر لحكم العمل في مفاصل دولة البغدادي، «اختلف البنعلي والقحطاني في العمل فيها، ورأى الأخير، أنه لا يجوز تركها للمبتدعة»[60].

7- تكفيّر أعيان المشركين: رأى شرعيون أنها لا تدخل في ركن الكفر بالطاغوت؛ لعدم ورود النص الشرعي الظاهر ، ورأى آخرون أن الحكم بالتكفيّر يكون بناءً على الأسباب[61]، ولا يكون بناءً على الأنواع، ومن هنا أطلق أبو بكر القحطاني فتواه حول (قاعدة من لم يكفر الكافر)، وأنه لا يجوز التسلسل بها في تكفير العامة، وهو ما رفضه شرعيو جناح الفرقان، واللجنة المفوضة[62]، كما وجه مكتب البحوث رسالة إلى اللجنة المفوضة فاستشعرت القيادة الخطر والحرج، وقررت حسم الجدل فشكّلت لجنة الرقابة المنهجية لحل تلك الإشكالات.

8- القتل للمصلحة: تم التوسع بالقتل للمصلحة والتعزير، ودفع ذلك معارضون لاستنكار الأمر علناً، ومنهم أبو عبدالبر الذي قال: هذان الأمران ينبغي على من اقتحم بابَهما أن يكون عالماً بها من ناحية ثبوت الدعوى فيهما أولاً، ثم التحري عن صحتها، ثم الحكم وفق المعطيات، ثم النظر في مصالح تطبيق الحكم ووقتِه وكيفيتِه[63].

57 بيان للمتحدث الإعلامي السابق، أبو محمد العدناني، بعنوان: الآن جاء القتال، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، الدقيقة 35، وإنَّ الذي أمرنا بقتال الكافر الأصلي أمرنا بقتال المرتد، بل وقدَّم قتال المرتد».

58 ورد ذلك في (دابق) في شهادة لأحد منسوبيه أن من الأخطاء الإرجائية عند بعض المدارس القتالية، ما كان يصدر عن بعض قيادته قديمًا بخصوص بعض الحُكّام المرتدين، خاصةً آل سعود، وعساكرهم، والتوقف في قتالهم رغم ردتهم. (راجع مجلة دابق، العدد السادس، ربيع الأول، 1436هـ، صـ40).

59 الإبانة في صور الاستعانة، مكتبة شموخ الإسلام، صـ15. https://cutt.us/tDcME

60 أبو عيسى المصري، أقوال أهلها فيها، مكتبة التراث العلمي، صـ13. https://cutt.us/kO0zy

61 رسالة اللجنة المفوضة لإدارة الولايات الداعشية في حكم المتوقف في التكفير، نسخة إلكترونية، ديسمبر 2015، بيان 175 الصادر عن المكتب المركزي لمتابعة الداواوين الشرعية، يونيو 2016. https://cutt.ly/1RQJISU

62 أبو بكر القحطاني، شرح قاعدة من لم يكفّر الكافر، أغسطس 2017، صـ54. https://cutt.us/cN76p

63 نصائح سرية أرسلت لأمراء الدولة، سبتمبر 2019، صـ18.

التفكّك وتشكّل الأجنحة

حول الأسس والقضايا السابقة تفكّك التنظيم إلى تيارات، يقول أبو عيسى المصري: «شهدت الساحة تطاحنًا فكريًا عنيفًا بين تيارات عديدة، وعُقِدَت بعد ذلك مناظرة بين طلبة العلمِ وغلاة الإعلام الذين يكفرون علماء الإسلام بحضور الحاج عبدالله[64]، وكانت أفكارهم المغالية هي: تكفير كل من يحمل السلاح ضد النظام وإن لم يكن ديمقراطيًّا ولا عَلمانيًّا ولا مظاهرًا على المسلمين، فقط لأنه ليس مع الدولة، وتكفير من يستخرج جواز سفر أو يحمل هوية في بلاد الطواغيت، وتكفير الموظفين بالعموم من غير تفصيل، وتكفير من يطلب الشفاعة من الاستشهادي ونعت الاستشهادي الذي تطلب منه الشفاعة بالطاغوت، وتكفير جملة من علماء المسلمين من الأموات والأحياء من الأحرار والأسرى، وتكفير جملة من قادات الجهاد السابقين، وتكفير الناس خارج نطاق الدولة الضيق بالعموم، أو التوقف في الناس خارج هذا الشريط، وغيرها من عقائد الغلو الفاسدة التي تتبنى الدولة بعضها»[65].

وتشكّلت أجنحة متصارعة هي:

أ- جناح أبو جعفر الحطّاب عضو اللجنة الشرعية[66]، وأحياناً يطلقون عليه (الحازمي[67])، طرح حكم المتوقف في تكفير المشركين[68]، وأن الحكم بتكفيره من أصول الدين وليس من لوازمه، وكفّر القاطنين في ديار الكفر، وآنذاك تم استئصال هذا التيار، وحكم بإعدام منظريه، وأخضع باقي عناصره للسجن والاستتابة، وأدى ذلك إلى مشكلة داخلية، دفعت الرجل الثاني فيه وهو أبو علاء العفري للانعزال بسبب قرب بعض الشرعيين منه[69].

بلغ عدد من أُعدِموا من تيار وجناح الخطاب الحازمي قرابة 700 المنحدرين من تونس وبلدان شمال إفريقيا[70]، خشية من انشطار التنظيم، وبسبب تخطيط بعض

64 أبو عيسى المصري، منهج الدولة صنم العجوة، مؤسَّسة التراث العلمي، 19 فبراير 2019م، من ص1 إلى ص10. https://cutt.us/0oshl

65 المصدر السابق.

66 شرعي تونسي، كان من قيادات أنصار الشريعة، تم إعدامه علناً لرفضه التراجع عن التكفير المتسلسل وفق الناقض الثالث لمحمد ابن عبدالوهاب..

67 أحمد بن علي الحازمي، من السعودية، له تأثير كبير في جماعة أنصار الشريعة، ومن خلاله انتقل إلى أبي جعفر الحطاب.

68 مناصرة الإخوة المأسورين في دولة الجهمية الكافرين، موقع الراصد، 2014/08/28. https://cutt.ly/0RQKvHv

69 رسالة الأمنيون والجهاز الأمني، موقع على بصيرة، 2017. https://alabasirah.com/node/664

70 أبو محمد الهاشمي، كفوا الأيادي عن بيعة البغدادي، ص44.

أتباع هذا التيار للانقلاب على البغدادي نفسه[71].

ب- جناح أبو محمد الفرقان، وتكفير العاذر: هو وائل حسين، مسؤول «ديوان الإعلام المركزي» وعبر صحيفة النبأ، وإصدارات مؤسسة الحياة طرح مسائل أقل حدة من جناح أبو جعفر الحطاب، في مسألة التوقف في الحكم على الساكنين دار الكفر، وعدم التسلسل في التكفير، بل التوقف والتبين، لكنه تبنى مواقف متشابهة معهم مثل: أنه لا عذر بالجهل في مسائل التوحيد والشرك، أو المسائل المعلومة من الدين بالضرورة، وأن التكفير أصل من أصول الدين الظاهرة[72]، وهذا كله استدعى الشرعيين العاملين في مكتب البحوث والإفتاء، وعلى رأسهم أبو بكر القحطاني وتركي بن علي، للرد عليه في إصدارات متتالية.

ج- جناح بن علي والقحطاني: هو التابع للقيادي الشرعي تركي البنعلي[73]، ومعه: أبو بكر القحطاني، وأبو محمد الهاشمي، وأبو محمد المصري، وأبو يعقوب المقدسي، وتتلخص أفكارهم في: 1) العذر بالجهل جائز في مسائل التوحيد والشرك وما دونها. 2) الأصل في ساكني ديار الكفر الطارئ هو الإسلام 3) التكفير ليس أصلا من أصول الدين[74].

التيارات والأفكار	الحازمي (أبو عمر الحطاب)	مكتب البحوث (البنعلي)	الفرقان (أبو محمد الفرقان)
أهم رموزها	أبو عمر الحطاب، أبو مصعب التونسي، أبو أسيد المغربي، أبو الحوراء الجزائري، أبو خالد الشرقي، أبو عبدالله المغربي	تركي البنعلي، أبو بكر القحطاني، أبو محمد الهاشمي، أبو محمد المصري، أبو يعقوب المقدسي، أبو عبدالرحمن الزرقاوي، أبو عبدالبر الصالحي، أبو حفص الهمداني	أبو محمد الفرقان، أبو ميسرة الشامي المشرف على قسم اللغات في ديوان الإعلام، أبو زيد العراقي (إسماعيل العيثاوي) نائب البغدادي السابق، شعبة المصري، أبو حفص الودعاني، أبو أحمد الفرنسي، أبو مرام الجزائري

71 خباب الجزراوي، تعليق حول مقتل أبي بكر القحطاني. http://cutt.us.com/bwalvp

72 بيان صار عن المكتب المركزي لمتابعة الدواوين الشرعية رقم 175، صحيفة النبأ العدد 76 بتاريخ 2016/05/29.

73 كان عضو «ديوان البحوث والإفتاء»، قبل أن يترأس «مكتب البحوث والدراسات»، و «المجلس العلمي».

74 عرض القحطاني آراءه العقدية في رسالة بعث بها إلى البغدادي ردا على بيانات تيار الفرقان، انظر: تركي البنعلي، شروط وموانع التكفير، 2017./01/11. https://archive.org/details/Torki_bannali

العذر	لا عذر بالجهل في مسائل التوحيد	يوجد عذر بالجهل والتأويل في مسائل ا لتو حيد	لا عذر بالجهل في مسائل التوحيد والشرك أو المسائل المعلومة من الدين بالضرورة
التكفير	التكفير من أصول الشريعة، وتكفير من أنكر معلوماً من الدين بالضرورة، والتسلسل في ا لتكفير	التكفير ليس أصلاً، وتكفير من أنكر معلوماً من الدين، ويجوز التسلسل لكن بإقامة الحجة	التكفير أصل من أصول الدين الظاهرة، ولا تسلسل في التكفير، بل التوقف والتبين
الدار والدولة	دار كفر وقاطنوها كفار	دار كفر وقاطنوها الأصل فيهم الإسلام، ويكفرون بإقامة الحجة، ويجوز قتلهم	حكم ساكني دار الكفر الطارئ هو التوقف فيهم، فلا يحكم له بكفر وإسلام حتى يتبين حالهم
الموالاة	تكفير من يوالي الكافرين وتكفير الفصائل السورية	تكفير من يوالي بعد إقامة الحجة، وتجوز الموالاة للضرورة	التوقف والتبين

(3) جدول المعالم الفكرية لتيارات داعش الفكرية[75]

السجالات وحراك الشرعيين

بدأ السجال يحتد ويتصاعد داخل أروقة التنظيم، بين الأجنحة الثلاث، وكان ذلك في خطوات ومراحل متسارعة ومتتالية:

أ- طرح مقالات «رموز أم أوثان»: وهي سلسلة من الجناح الإعلامي تضمن أحدها فقرات يمكن تأويلها على أنها تكفير للبغدادي نفسه[76].

ب- بيان المكتب المركزي لمتابعة الدواوين الشرعية: هو محاولة من اللجنة المفوضة لرأب الصدع، عن طريق البيان يوم 2017/05/17، معنوناً بالآية «ليهلك من هلك

75 دراسة سابقة للباحث، داعش من التمكين للانتشار، مركز تريندز للدراسات، 2020. https://cutt.us/VwO4S

76 رموز أم أوثان، صحيفة النبأ، العدد 85 الصادر بتاريخ 2017/06/15. https://archive.org/details/rumoz2mawthan/AnNaba115

عن بينة ويحيى من حي عن بينة»، أكد فيه أن التنظيم لا يرى إسلام قاطني ديار الكفر الطارئ، ولا يتبنى تأصيلات تعطل الناقض الثالث من نواقض الإسلام، ولا يتوقف في تكفير المنتخبين بدعوى جهلهم بحقيقة الانتخابات[77].

ج- حل اللجنة المفوضة: تم حل اللجنة عقب بيان المكتب المركزي، وأعاد البغدادي تشكيلها بتاريخ 2017/09/15 من تيار البنعلي والقحطاني، وتم تكليف أبو محمد المصري بوضع أيديولوجية واضحة وموحّدة للتنظيم.

د- صدور السلسلة الصوتية (ما كان هذا منهجنا ولن يكون): وهي إصدارات أطلقها الشرعي أبو محمد المصري، تم بثها في إذاعة البيان الرسمية. «أُصدرت «سلسلة علمية في بيان مسائل منهجية» على تسع حلقات، تم رفعها للخليفة فقبلها وأمر بتسجيلها، فتم التسجيل»[78]، و «كان من المقرر أن تنشر الحلقات الشارحة للمسائل: (مقدمة في تفنيد البيان البدعي المُلغى، في شرح مسألة أصل الدين، مسألة تكفير المشركين، الرد على شبهتين دخلتا على الغلاة، مراتب تكفير المشركين، حكم من كفَّر مسلمًا بغير حق، الطائفة الممتنعة، مسألة أحكام الديار»[79].

هـ- حل اللجنة المفوضة للمرة الثانية: رفض (الحاج عبدالله)[80] تتمة بث الحلقات، بحجة معرفة ردود الأفعال على الأولى منها، وبعدها بأيام تم حل اللجنة المفوضة من جديد واعتقال كوادر تيار البنعلي[81]. و «أعاد «الحاج عبد الله» الغلاة إلى مناصبهم؛ وطمس الحلقات المنهجية الموضِّحة للخلاف وتناسيها، والعمل على تهميشها، ومنع إعادة بثها على «إذاعة البيان»[82].

و- تشكيل «لجنة الرقابة المنهجية: تم تشكيلها عقب سيطرة الفرقان والحاج عبدالناصر والحاج عبدالله من جديد، وبدأ امتحان الشرعيين، وفي الأغلب كانت جلساتها تنتهي إما بسجن بعضهم، أو إعدامهم[83].

77 اللجنة المفوضة، تعميم بعنوان: «لهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة»، 2017/05/17، نقلًا عن بوابة الحركات الإسلامية. https://www.islamist-movements.com/40510

78 أبو محمد المصري، سلسلة علمية في بيان مسائل منهجية، سبتمبر 2017م. https://cutt.us/RRAFU

79 المصدر السابق.

80 ترجح مصادر كثيرة أنه عبدالله قرداش، نائب البغدادي، وهو أبو محمد الرحمن المولى الصلابي، زعيم داعش الجديد، أبو إبراهيم الهاشمي.

81 سلسلة علمية في مسائل منهجية، مؤسسة التراث العلمي، 2018. https://archive.org/details/Salsala_Almiya

82 المرجع السابق.

83 أبو محمد الهاشمي، النصيحة الهاشمية، لأمير الدولة الإسلامية، على بصيرة. https://alabasirah.com/node/731

ز- مذبحة المستتابين: وهم فريق ارتأوا أن يعذروا الناس بالجهل والتأويل، وآخرين ارتأوا تكفير الناس، فأرسلوا إلى الفريق الأول خطاباً بالحضور إلى ديوان المظالم، واستتابوهم، وبعد أيام جمعوهم في السجون وساموهم سوء العذاب ثم قتلوا 3 ألاف جملة واحدة[84].

ح- حراك المنشقين: بدأ الحراك عقب رفض جناحي الخطاب (الحازمي)، و(البنعلي – القحطاني) لسيطرة جناح (الفرقان)، وعقب إعدام الشرعي أبو يعقوب المقدسي، وقتل أبو محمد المصري، حيث بدأوا في التخطيط للانقلاب على البغدادي، وظهرت لهم كتابات كثيرة، منها: (أجوبة سؤالات أبي بكر البغدادي)، الصادر عن مؤسسة التراث العلمي 2019، ورسالة (نقد ونصيحة) لأبي عبدالرحمن الزرقاوي، عن مؤسسة معارج 2018، وكتاب (التنظيم الأجوف) عن مؤسسة الوفاء 2019، ورسالة (في ضيافة الفرار قاتل الأبرار) لابن جبير عن مؤسسة الوفاء 2019، ولنفس الكاتب رسالة (سقوط الخرافة) عن مؤسسة الوفاء 2019، وكتاب (كفوا الأيادي عن بيعة البغدادي) لأبي محمد الهاشمي، عام 2019.

سيطرة الأمنيين والقفز عن الخلافات الأيديولوجية

حين تم تنصيب أبو إبراهيم الهاشمي مكان البغدادي، سيطر العسكريون (الحجاجيون) على مفاصل التنظيم، الذين لا تشغلهم الأيديولوجيا إلا بالقدر الذي يساهم في سيطرتهم، وأطلق القائد الجديد عدة كلمات على لسان متحدثه أبي حمزة القرشي، بان منها أن التنظيم حاول القفز على انشطاراته الأيديولوجية، بالحديث عن الأعمال القتالية، والدعوة إلى زيادتها.

لم يبد على الجهاز الإعلامي تركيزه على الجانب الأيديولوجي بقدر حرصه على إظهار انتصاراته العسكرية، إلا في بعض الإصدارات، التي أطلقت من فرعه باليمن، مثل (وقفات مع بيان منشقي القاعدة)[85]، أو (الحوار مع أبي الوليد الصحراوي) التي وصف فيها انحرافات القاعدة العقدية، وكيف أنهم جماعة المسلمين، وأن القاعدة المرتدين

84 أبو عيسى المصري، مجزرة المستتابين، مكتبة التراث العلمي.
https://archive.org/details/20200211_20200211_1940

85 وقفات مع بيان منشقي القاعدة، صفحة التمكين، تليجرام.
https://web.telegram.org/#/im?p=c1453372323_9478585500003653913

حاربوهم، ومنهم الفصائل المرتدة، مثل جبهة تحرير ماسينا، التي طالبتهم بتسليم أسلحتهم[86].

كما أن قيادة التنظيم انشغلت في المقام الأول بإعادة السيطرة على مفاصل التنظيم، وإعادة هيكلته، لذا فقد طرح جهاز الإعلام الداعشي، الرسمي وغير الرسمي، أفكار التنظيم القديمة العامة، مثل الفروقات بينه وبين تنظيم "القاعدة"، حيث أصدر (معذرة إلى ربكم) لتسليط الضوء على الأزمة المنهجية بينه والقاعدة في اليمن. وبالرغم أن الفيلم لم يأت بجديد عن المسائل الخلافية بين الدولة الإسلامية والقاعدة، فقد سلط الضوء على مجموعة من الخلافات العقدية، ومنها مسألة الولاء والبراء، ورفض التحالفات المخالفة للشريعة، مثل بيعة طالبان، وحكمه بالردة على الموالين.

وأعاد التنظيم إصدار وتحديث وتطوير الإنتاج القديم ليواكب استراتيجياته الجديدة، سواء كانت مؤلفات مكتوبة أو سمعية أو بيانات أو تأصيلات علمية، وأخذ الخطاب خطاً موازياً، إذ لم يأت بجديد عن تلك المفاهيم الأيديولوجية التي انتهى إليها، وهي: قضايا عقدية: عدم جواز العذر بالجهل والتأويل، الحكم بالردة على المخالفين وعدم قبول توبتهم، تكفير الشيعة والصوفية على العموم، الحكم بتكفير الحكام وأعوانهم، عدم جواز العمل في الأنظمة الكفرية، الحكم بتكفير حامل البطاقة الشخصية أو كارنيه الجيش السوري والعراقي، الحكم بكفر الموالين للميليشيات والفصائل المخالفة، الحكم أن الدار والدولة كافرة لأنها ترفع راية الكفر ولا تطبق الشريعة، إسقاط أحكام الدار والدولة على ساكنيها.

أحكام تتعلق بالموالاة: عدم جواز تهنئة الأقباط بأعيادهم، عدم جواز تهنئة علم الدولة الكافرة، وجوب التضييق على الأقباط، جواز سرقة أهل الأديان والطوائف الأخرى واستحلال نسائهم وأموالهم، جواز سبي أهل الطوائف الأخرى، جواز بيع ركاز وآثار الأرض في الدولة المرتدة، عدم جواز العمل بالديمقراطية، تحريم العمل الحزبي واعتباره ردة، تكفير المتعاونين مع الأنظمة وإيجاب قتلهم.

أحكام تتعلق بالقتال: وجوب قتال الطوائف كالشرطة والجيش، وجوب تشكيل جماعات لمحاربة الأنظمة، تكفير الحاكم وإيجاب خلعه بالقوة، جواز التمثيل بجثث

86 حوار مع أبي الوليد الصحراوي، صحيفة النبأ العدد 260، الخميس 26 ربيع الأول 1442هـ.

المرتدين، جواز حرق أسرى المرتدين، جواز قتل المتترس بهم من العوام، وجوب الهجرة من الدول الكافرة وإن تعسرت فالعمل لتخريبها من الداخل، جواز الاستحلال للإنفاق على التنظيم، وجوب قتل الجواسيس، جواز حرق وتدمير المعابد والكنائس.

الاستمرار على منهجية جناح الفرقان

بان في خطابات أبي حمزة القرشي، التأكيد على تلك القضايا والأحكام السابقة، والاستمرار على المنهجية القديمة التي كانت عليها اللجنة المفوضة بقيادة حجي عبدالله، الذي تولى قيادة التنظيم بعد البغدادي، وفي كلمته التي عنونها برسالة إلى المرتدين (دمّر الله عليهم وللكافرين أمثالها)، أن نهج (جناح الفرقان) يسيطر على ذهنية القادة، فقال في كلمته: إن أهل الباطل سعوا لتشويه سمعة الدولة الإسلامية واتهامها بالغلو والخارجية، وحاولوا جهدهم أن يحصروا القتال بالصليبيين فقط، فأطلقوا على من يمتنع عن قتال المرتدين من الروافض والمنتسبين إلى أهل السنة لقب «المقاومة الشريفة»، وأنه لم يفتهم أن يبذلوا جهدهم في تحطيم فتنة العصر الكبرى المتمثلة بالديمقراطية والعلمانية، فهي دين كفري، ومن يؤمن به بالاعتقاد أو القول أو العمل فهو كافر بالله العظيم ولا كرامة، وأنهم حذروا الناس من المشاركة فيها بالانتخاب والترشح أو الاستفتاء على قوانينها ودساتيرها الكفرية، واتّبعوا القول بالعمل من خلال استهداف معابد هذا الدين الوثني المتمثلة بمراكز الانتخاب والترشيح وذلك في تدرج واضح طوال السنوات الماضية، وابتداءً بالدعوة والبيان وصولاً إلى السيف والسنان، في الوقت الذي كان المرتدون من أدعياء الإسلام ولا زالوا يستبيحون شرك الديمقراطية[87].

وفي فترة أبي إبراهيم الهاشمي برزت صحيفة النبأ كأهم الوسائل الإعلامية، ومن خلالها طرح نفس المنهجية الفكرية، من جواز قتل المدنيين، أولوية قتال المرتدين، ردة الفارين والعائدين إلى ديار الكفر[88].

و لم تظهر في حقبة أبو إبراهيم القرشي أية خلافات عقدية، سوى الانشقاق المحدود، الذي جرى في الفرع المصري (ولاية سيناء) حول بيعة مجهول الحال، وهي ذات القضية، التي تم طرحها في بداية تولي أبي بكر البغدادي، ودفعته للظهور مرات عديدة[89].

87 تفريغ كلمة أبو حمزة القرشي، منتدى الشامخات. https://pastethis.to/1uvvuejvS

88 راجع الكلمة الافتتاحية، صحيفة النبأ، العدد (154)، العدد (188)، العدد (240).

89 انشقاق ولاية سيناء حول مجهول الحال، برنامج من الداخل، 2020/10/19. https://cutt.us/6nXet

الخاتمة

اتضح مما سبق أن (داعش) كان يعاني قبل سقوط الباغوز من انشقاقات فكرية طالت مؤسساته وقواعده، وأن القيادة الجديدة ورثت تلك الخلافات، وبينما هي تدين بما حسمته اللجنة المفوضة من اختيارات في الفقه العقدي والسلطاني، اضطرت أن تركز جل جهودها في العودة للنهج الأول، وهو فقه (تنظيمات الخروج على الحكام المرتدين)، وهو نهج يجمع الخلايا على قضايا محددة مثل وجوب قتال المرتدين، وقتال الطوائف الممتنعة.. ألخ، إلا أن ذلك لم يمنع من وجود شرعية للمنشقين، الذين طرحوا ما حصل تفصيلياً، ونظّروا لعدم جواز القتال مع تنظيم منحرف عقدياً، وهو ما دفع للجدل مرة أخرى، وأدى إلى أن الجهاز الإعلامي للتنظيم يعيد التأكيد على القضايا محل الجدل، وهذا أبان أن القيادة المتمثلة في الهاشمي، هي من الجناح الأشد تطرفاً.

من هنا سيتبين لنا التالي:

- الاصطفاف الفكري لداعش مرشح دائماً للانشطار لأن القضايا هي نصوصية تراثية قديمة في المقام الأول، وتعبيراً عن أزمة سياسية داخل الدول التي نشأ بها التنظيم، ودائماً ما تتجدد على وقع اختلاف الاستراتيجيات.
- بدا من الخلافات المنهجية السابقة أن التنظيم ليس له مركز ثقل أيديولوجي محدد، وأن الشرعيين وطلاب العلم لهم ثقل كبير يوازي ثقل القيادة العسكرية، وهو ما يمكن أن يتجدد دائماً في صراعات جديدة.
- يعاني تسويق التنظيم فكرياً من إشكاليات كثيرة عقب تلك التنظيرات المختلفة، التي تم طرحها، وهذا سيؤثر مستقبلياً على عمليات التجنيد والاستقطاب.
- إن الصراعات المتداخلة بين التنظيم وذاته أيديولوجياً، وبينه وبين التنظيمات الأخرى هو أنجح شيء يسهل منه تفكيكه واختراقه.
- يواجه داعش خلال هذه الآونة معضلة أن الموجود على الأرض هو عدد من الخلايا المختلفة التوجهات الفكرية، ولو فشلت القيادة في جمعها على قضايا محددة سيصبح انتماؤها شكلياً أو تنفصل وتنهزم نهائياً، أو تقوم بتشكيل إطار آخر يمكن أن تعمل من خلاله، وهو ما يرجح بروز تنظيمات أخرى إما أقل حدة، أو أشد تطرفاً. أ.هـ

المناقشات

د. محمد أبو رمان:

صعد تنظيم داعش وبرز واستطاع أن يستقطب أعداداً كبيرة ويجند مجموعات من الأتباع من خلال دعاية إعلامية قوية في تلك الفترة. تحدث عن يوتوبيا الدولة الإسلامية، وتحدث عن رموز دينية مثل الخلافة. مثل الأرض الموعودة، كما تحدث عن مظالم السنة في العراق وسورية، كانت لديه أيديولوجية صلبة في المرحلة السابقة مبنية على منهج واضح واحد موحد. لكن الآن بعد انهيار الدولة، فإنّ هنالك العديد من الاسئلة والتساؤلات المهمة التي نطمح أن نناقشها في هذه الحلقة البحثية:

- ماهي أبرز معالم الدعاية السياسية والإعلامية للتنظيم؟
- كيف يبرر التنظيم المرحلة الحالية؟ وكيف يتعامل معها؟
- هل قدرة على التجنيد تراجعت أم وجد مساحات جديدة لتكون حاضنة لأفراده وهنالك اشارات في أن التنظيم بدأ يذهب إلى دول مثل أفغانستان، غرب إفريقيا؟
- هل الجانب الأيديولوجي مازال صلبا أم أنه تفكك وتفتت؟ وهنالك اليوم تسريبات عديدة عن الخلافات داخل داعش، وبعضهم هرب إلى تركيا وهرّب معه جزءاً كبيراً من الوثائق المتعلقة بالتنظيم ونقاشاته الداخلية؟

مروان شحادة

سأناقش السؤال الذي طرحه د. محمد أبو رمان: هل مازالت دعاية تنظيم الدولة الإسلامية بذات الفعالية قبل ثلاث أو أربع سنوات؟ فقد تضمنت محاضرة الأستاذ تشارلي ونتر أرقاماً ورسومات بيانية تشير إلى تراجع كبير وواضح في نشاطات المؤسسات الإعلامية بتنظيم الدولة الإسلامية، في الوقت الذي كان عندهم مكاتب في كل ولاية تصل إلى خمس وثلاثين مكتب إعلامي. الآن ربما انحصرت بين المكاتب الإعلامية الرئيسية الفرقان وخراسان، وربما في غرب أفريقيا والساحل وكذلك سورية. بعض المكاتب والإصدارات أيضا تراجعت بشكل فعال.

المناصرون لم يعد لهم حضور بذات الفاعلية، وبخاصة أن ونتر أشار في ورقته إلى مسألة في غاية الأهمية، وهي الجهود الاستخباراتية في قرصنة الحسابات. بالفعل،

شاهدنا خلال الأسابيع القليلة الماضية أن شركة تيليغرام بدأت بقرصنة أو بإلغاء الحسابات التي تحتوي على محتوى لنشر أي شيء يشير إلى الجماعات المسلحة، كما أنّ بعض المكاتب مثل صحيفة النبأ الأسبوعية حافظت على إصداراتها وعلى فاعلية وجودها أيضا، كذلك تصدر بشكل أسبوعي أيضا وكالة أعماق. أما غيرها من الحسابات أو المؤسسات الإعلامية الرسمية كمؤسسة الحياة وكذلك مكتبة الهمة وأجناد والصحف التي كانت تصدر باللغات الأجنبية، مثل دابق ودار الإسلام والقسطنطينية فإنّ نشاطات الترجمة في غالبها انتهت، وهذا دلالة على أن الهزيمة التي مني بها التنظيم على المستوى العسكري أيضا انعكست على المستوى الإعلامي بشكل واضح.

أشير، هنا، إلى محاضرة أستاذ ماهر فرغلي. فقد عاد إلى بداية التنظيم، وأنا باعتقادي من خلال متابعتنا للتنظيمات وخبرتنا عن قرب في التواصل مع بعض المؤيدين والمناصرين بالتنظيمات الجهادية أنه بالفعل في حال مني التنظيم أو أي جماعة بهزيمة، فإنّ ذلك أيضا ينعكس على بروز خلافات على مستوى النخب الفكرية والمراجع العلمية للتنظيم، وكذلك ينعكس على وجود خلافات تتعلق بمتابعة الأسرى أو المعتقلين داخل الدول وبخاصة العائلات والنساء.

بالفعل هناك خلافات حادة على مسائل فقهية كانت موجودة وكامنة داخل التنظيم، ولكن الخوف والتخوف الأمني من الاستهداف الجسدي والاغتيال، دفع بالكثير منهم إلى السكوت. وقد ذكر أبو عيسى المصري (من قيادات التنظيم سابقاً) في بعض كتاباته الأخيرة، التي صدرت قبل أسبوعين، إلى مسألة في غاية الخطورة تتمثل في أن تنظيم الدولة الإسلامية (الجهاز الأمني) كان قد حصل على بعض الشرائح الالكترونية المستخدمة من قبل الأميركيين للاغتيالات، من خلال بعض الجواسيس الذين اخترقوا التنظيم فأمسك بهم التنظيم وكان يصادر هذه الشرائح ويضعها للقيادات الفكرية للتنظيم الذين يريد التخلص منهم (فيقوم الطيران العسكري الأميركي باستهدافهم متتبعاً تلك الشرائح)، ومن ضمن هذه القصص عن الحالة الداخلية أنّ زوجة تركي البنعلي (وهو أحد أبرز المراجع الفكرية في التنظيم) تتهم قيادة التنظيم بأنه هو من قام عمليا بوضع شريحة في سيارته ليتم استهدافه من قبل قوات التحالف.

مثل هذه الشهادات الخطيرة تدلل على عمق التصدعات والخلافات الفكرية ما بين تيار حازم المتشدد (وهو التيار الفقهي المتشدد في أوساط تنظيم الدولة الإسلامية) وما بين أناس كانوا يتحفظون، بل ويعارضون مسألة العذر بالجهل أو القتل بالشبهة[90]. بالتالي هذه مسألة إشكالية مازالت حاضرة حتى ما بعد فشل المشروع السياسي لتنظيم الدولة الإسلامية، وأنا باعتقادي أنها ستولد كثيراً من الخلافات أو المؤلفات التي تبرز أو تروي قصة تلك الخلافات. حتى أنّ أبو أنس الصحابة (وهو أردني من قيادات جبهة النصرة سابقاً، من الزرقاء، وعلى الأغلب معتقل حالياً في سورية لدى الأكراد) كان يتحدث، ومعه سعد الحنيطي (وهو قيادي أردني أيضاً كان في التيار السلفي الجهادي، ثم انتقل ليكون قيادياً في جبهة النصرة، ثم بايع داعش وبعدها نشق عنها، ثم يهرب، ويعتقل لاحقاً وما يزال لدى هيئة تحرير الشام) عن خلافات عميقة مع قيادة التنظيم حول بعض المسائل المتعلقة بالتشدد والغلو وتأثير سيطرة التيار المتشدد بزعامة أبو محمد الفرقان (كان من القيادات البارزة المتشددة في التنظيم) حينذاك والتيار النجدي (تيار سلفي متشدد في أوساط التنظيم الفكرية) على مسار التنظيم.

وما تزال الخلافات الأيديولوجية والفقهية تعصف بالتنظيم إلى هذه اللحظة، ليس فقط في العراق وسورية، بل في فروع أخرى، ففيما يتعلق بما أشار إليه شارلي ونتر حول تنظيم بوكو حرام بالفعل كان هناك تحفظ من قبل قيادة تنظيم الدولة الإسلامية على زعامة أبو بكر شيكاو، وقد رأينا كيف أنّه قام (في شهر أيار 2021) وفي أثناء اجتماع لمناقشة موضوع الزعامة والإمارة والإمامة وتوحيد جماعة بوكو حرام التي شهدت انشقاقا بين جناحه المتشدد داخل الجماعة، و الجناح الآخر الذي بايع تنظيم الدولة ولاية غرب أفريقيا، ونجم عن عدم رضاه بهذا الاجتماع، ولأن هنالك قرارا باعتقاله من قبل الجناح الآخر فجر نفسه وقتل خمسة أشخاص من قيادات التنظيم بمن فيهم نفسه.

90 العذر بالجهل والقتل بالشبهة من القضايا الفقهية الخلافية في أوساط الجماعات الجهادية، فهنالك تيارات تتوسع بالقتل ولا تعذر الناس بالجهل ولا تقتل على الشبهة، وهنالك تيار أقل تطرفاً في أوساط التنظيم كان يتحفظ ويحاول الابتعاد عن هذا المنطق الأكثر تطرفاً، بخاصة من قبل ما سمي بالتيار الحازمي.

د. خالد سليم

تحدث الباحث ماهر فرغلي عن أربعة مجالات تساهم في عملية التفكك داخل تنظيم داعش. سؤالي من وجهة نظره ومعرفته: ما هي العوامل الأيديولوجية التي تساهم في وحدة داعش؟ كيف ينشؤون العوامل المشتركة، ويعزز من أهمية هذا التساؤل ما ذكره تشارلي ونتر فيما يتعلق بسيطرة الخطاب المرتبط بالنشاط العسكري على حساب النشاط الأيديولوجي، وما ذكره د. محمد أبو رمان من القول بأنّ التنظيم يعتمد على الرسالة الإعلامية والشبكات اللا مركزية ، فالتنظيم متواجد في عديد الدول، وهذه التنظيمات التي نسميها الولايات تسيطر على أجندتها القضايا السياسية الاقتصادية والاجتماعية المحلية. ففي ضوء هذه المؤشرات يبدو من الضروري أن نطرح التساؤل السابقة عن عوامل الوحدة في مقابل عوامل التفكك والاختلاف؟

حسن ابو هنية

يجب ان ننتبه الى تشكلات الدعاية والأيديولوجيا الداعشية فهي لا تنفصل عن الوقائع، وبالتالي فقدان السيطرة المكانية للتنظيم أدى إلى التحولات المذكورة في جلسة الباحث شارلي ونتر، الذي استخدم مصطلح ما قبل الدعاية، بمعنى أن تنظيم الدولة تستند دعايته بشكل أساسي إلى ما قبل الدعاية، أي أن هناك ظروف سياسية اقتصادية اجتماعية في هذه المناطق التي تحدث فيها أزمات وخلافات سواء كانت سياسية أو أيديولوجية أو عرقية، استطاع من خلالها التنظيم استغلال هذه الظروف بتقديم نفسه للناس كمخلص ونسج التحالفات للانتشار والصعود، كما حدث مؤخرا في ولاية وسط افريقيا، بتحول حزب التحالف الديمقراطي الى داعش في الكونغو، وكذلك مبايعة جزء من حركة تحرير مورو في الفلبين لتنظيم داعش، لذلك يجب أن نعلم أن للأيدلوجيا أبعادا مادية وتكمن في الخلافات على السيطرة المكانية، فإعلان الخلافة فرض مشكلات على الصعيد الفكري والأيديولوجي والعقدي، فالبنية الأساسية للخلافات بالأصل من المهاجرين، فقد سببت له مشكلة أدركتها قيادة داعش ا لاحقا. كانت هناك وظيفة لدعاية خلافة وأرض الهجرة، لكن أدركت القيادات القديمة حجم الكارثة التي كانت بسبب هؤلاء المتطوعين الذين جاؤوا إلى التنظيم، وغالبيتهم خلقوا هذه المشكلات والخلافات التي شاهدنا.

لقد تسببت تيارات المجاهدين المهاجرين القادمين من بلدان عديدة في آسيا وافريقيا وأوروبا بمشكلات في مركز تجمعها في سورية وانعكس على مركز التنظيم في العراق، ذلك أن أصل داعش في العراق تنظيم سياسي عسكري له رؤية إستراتيجية واضحة منذ تأسيسه من أبو مصعب الزرقاوي مرورا بـ أبو عمر البغدادي وأبو بكر البغدادي. فالتنظيم له مشروع ذو رؤية إستراتيجية يستند إلى البعد الهوياتي في مناهضة الشيعة، وله مواقف واضحة في موضوع المرتدين، وقتال العدو القريب، فالأيديولوجيا مبنية على الواقع العراقي لمرحلة ما بعد الاحتلال، وهو مالم يفهمه المهاجرين الذين جاءوا بخلافاتهم إلى سورية وانعكست على العراق.

ما أريد أن أخلص إليه هنا، هو أنّ الأيديولوجيا الداعشية لها شق مادي بمعنى أنها لا تستند بشكل مطلق على التوحيد النظري والإلهيات النظرية، فلا خلاف بين تنظيم القاعدة وبين داعش على الإلهيات النظرية المتعلقة بالذات والصفات ولكن الخلاف هو حول الإلهيات العملية المرتبطة بقضية الولاء والبراء وتكفير المعين وغيرها من المسائل الفقهية الدينية، فالخلافات بين داعش والقاعدة كانت مرتبطة بالاختلاف بين الواقع العراقي والمحددات الأخرى لعمل القاعدة، مما انعكس على المنظور الأيديولوجي لكل منهما لاحقاً.

داعش الآن، وبعد هزيمته العسكرية وانهيار دولته، أعاد ضبط هيكلة التنظيم والسيطرة على الخطاب الأيديولوجي بشكل أو بآخر، وبالتالي استفادة خلال الفترة الماضية من الانتهاء من كل المشكلات التي تسبب بها المهاجرون، ويحاول جاهدا اليوم ضبط الوافدين (المهاجرين) المقاتلين في التنظيم في ولاية وسط أفريقيا والكونغو وخراسان وشرق افريقيا والصحراء والساحل، فالخلافات - كما يؤكد الباحث ونتر- لم تكن في مركز التنظيم بالعراق وإنما كانت في الرقة، أي في مناطق المهاجرين التي كان التنظيم يحاول التعامل معها وبالتالي خلقت له إشكالات.

بقي أن أشير هنا إلى السيناريو الكارثي (الكابوس) الذي تنبأ به بروس هوفمان، ويتمثل في عودة الاتحاد بين القاعدة وتنظيم الدولة كما حدث إبان فترة الزرقاوي وبن لادن، فالمشتركات النظرية والقضايا الاستراتيجية ما زالت حاضرة.

التعقيبات

ماهر فرغلي

أرى أنه من ممكن القول بأنّ التنظيم حاليا تجاوز هذه الخلافات المنهجية بعد سيطرة أجهزة الأمن الداخلية على التنظيم وعملية إعادة الهيكلة، كذلك استخدامه مجموعات بالاستقطاب والقرصنة والتجنيد والمجموعات على الأرض للقتال. فقد عاد التنظيم لنظرية العمل (الخلايا) كما كانت عليه الحال في العام 2010.

هنالك سيطرة واضحة للجناح الأمني. والذين يطلق عليهم مصطلح الحجاجيين، وما نلحظه هو تراجع كل الإصدارات بعد مقتل أبو بكر البغدادي وتولي الهاشمي، لن تجد إلا القليل من الخطابات الإعلامية، وهي عبارة عن تكرار الخطاب الإعلامي القديم أو الدعوة للجهاد والقتال، لذلك أعتقد أن استراتيجية التنظيم تتمثل اليوم بـ»خلافة سيبرانية على الإنترنت» وعلى الأرض المجموعات الأمنية هي تقاتل. وأعتقد أن التنظيم نجح نوعا ما في تجاوز الخلافات.

الفصل الثاني

مستقبل داعش في سورية والعراق

يناقش هذا الفصل مستقبل تنظيم داعش في كل من العراق وسورية، أي في المناطق الرئيسية التي أسس عليها دولته السابقة، وأعلن منها قيام الخلافة، واستقطب آلاف الشباب من عشرات الدول في العالم ليقيموا هناك، ويشكلوا مع أنصار التنظيم في الداخل الكوادر البشرية للتنظيم. من هنا تبرز جملة من التساؤلات المهمة، بعد الإعلان عن انهيار دولة التنظيم، هل انتهى فعلاً، وفي الحدّ الأدنى لن يعود إلى الصعود مرة أخرى ويمسك بالأراضي ويهدد الأمن الإقليمي بل العالمي؟ أم أنّ احتمالات الصعود ما تزال قائمة، بخاصة أنّ التنظيم نفسه تعرّض لضربات قاسية في العام 2007 لكنه أعاد هيكلة بنيته الايديولوجية والتنظيمية، واستثمر في الظروف السياسية اللاحقة، بخاصة الأزمة السنية والربيع العربي ليؤسس «دولة» شكّلت تهديداً لمختلف دول وأنظمة المنطقة. ضمن هذا السياق من التساؤلات يقدّم د. محمد العظامات، العقيد المتقاعد والخبير العسكري والباحث الأردني في شؤون التطرف والإرهاب، تطرح رؤية استشرافيّة لمستقبل التَّنظيم في سورية والعراق، خصوصاً بعد مقتل زعيمه البغدادي، وهزيمته في آخر معاقله المأهولة في سورية، وانسحابه من مراكز المدن الرئيسية في العراق. كما تسعى الورقة إلى تقييم لنقاط القوة التي ما زال يتمتّع بها التنظيم، والخطر الذي ما زال يشكّله على دول المنطقة، والأسباب التي ترجّح عودته واستمراره، أو تلاشيه وانكماشه في المدى المتوسّط والبعيد.

كما يتضمن الفصل ما حدث من نقاشات وتعليقات وتساؤلات وتعقيبات من الباحثين والخبراء المشاركين في هذه الحلقة البحثية على ما طرحته الورقة من استنتاجات وخلاصات، وفي استنطاق العوامل والشروط الفاعلة في ترسيم مستقبل التنظيم في المنطقة.

مستقبل داعش في سورية والعراق.. التحولات والسيناريوهات

د. محمد العظامات

بالاعتماد على المنهج الوصفي التّحليلي بأسلوب دراسة الحالة، واستقراء المصادر المتاحة الأكثر موثوقية، للوصول إلى استنتاجات وتنبؤات مبنية على فهم شمولي ومتعمق حول مستقبل تنظيم داعش في سورية والعراق؛ حاولت هذه الورقة أن تستشرف مستقبل التنظيم، وطرحت عدة سيناريوهات محتملة الحدوث ضمن احتمالين، هما: احتمال إعادة داعش تنظيم نفسه والنُّهوض مجدداً، أو احتمال انكماشه وانتهاؤه وتلاشيه . من السيناريوهات التي تم نقاشها في إطار الاحتمال الأول؛ هو العودة إلى النُّسخة الأصليّة (العراقية) من التَّنظيم، وعلى النقيض منه، إدامة وجوده في سورية والانفتاح على الجناح السوري، وسيناريو ثالث لتأسيس مناطق نفوذ وتمركز على الحدود السورية – العراقية. في إطار احتمال انكماش التنظيم وتلاشيه، ناقشت الورقة عدة سيناريوهات محتملة، تجلت في إعادة تأسيس تنظيم جديد تحت مسمى آخر، أو استمرار التنظيم مع الانقلاب على القيادات الحاليّة، أو الانضمام إلى التَّنظيمات الجهاديّة الأخرى، أو تحول التنظيم للعمل كمنظمة سرية، وأخيراً، تلاشي شخصية التنظيم في سورية والعراق أمام فروع التنظيم وولاياته الخارجية. تم الاستنتاج أنه رغم التناقض مع توجهات التنظيم بتأسيس دولة الخلافة؛ إلا أن تأسيس داعش لمراكز انطلاق وقواعد لوجيستية في منطقة الحدود بين سورية والعراق؛ يبقى السيناريو الأكثر واقعية؛ خصوصاً أن التنظيم في العراق وسورية حالياً، بدأ بالعودة لأسلوب حرب العصابات بشكل مكثّف للحفاظ على معنويّات مقاتليه وزخم نشاطاته . كذلك، أن سيناريو تلاشي شخصية التنظيم في سورية والعراق أمام فروع التنظيم وولاياته الخارجية هو الأقرب في محاكاة احتمال تلاشي داعش من العراق وسورية .

تمهيد

لم يكن صعود تنظيم داعش محض مصادفة أو أمرًا خارج السياق التّاريخي أو الموضوعي، وإنما امتدّ على مدار عَقْد من الزَّمان تقريبًا ضمن خطٍّ تصاعديٍّ توالت فيه الأحداث تباعًا، فكان إعلانُ أبي مصعب الزَّرقاويّ تأسيس جماعة «التَّوحيد والجهاد في بلاد الرَّافدين» نقطة البداية الفعليّة لنشوء تنظيم داعش، واستمرّ التَّطوّر بمبايعته «أُسامة بن لادن» واندماجه مع «تنظيم القاعدة في بلاد الرَّافدين»، الذي ما لبث أن تحوَّل إلى تنظيم «دولة العراق الإسلاميّة»، ثم استغلّ التَّنظيم أحداث الثَّورة السُّوريّة ليغيّر من الواقع السِّياسيّ بإعلانه «الدّولة الإسلاميّة في العراق والشَّام» بقيادة «أبي بكرٍ البغدادي» الخليفة المفترض للمسلمين، والذي نادى المسلمين للهجرة إلى أرض «الدَّولة» في ولايتي العراق والشَّام وبيعته باعتباره الممثّل الشَّرعي «للإسلام والمسلمين»، لتبتدئ إثر ذلك مرحلة التوسُّع، والاقتتال مع أطراف متعدّدة.

كانت ولادة التنظيم ونشأته في بيئةٍ خصبة هيأت بشكل أو بآخر لنمو الفكر المتطرّف وانتشاره؛ فقد عانت المنطقة العربية من أزمة شرعيّة، وشحن طائفي مذهبي، وانقلاب على ثورات الرَّبيع العربي، وعودة الحكم الدِّيكتاتوري (البوليسي) في بعض البلدان العربيّة، وانتشار الحروب الطَّائفية، واضطهاد أهل السُّنّة والجماعة، والتّدخُّل الإيراني في المنطقة، والتَّحكّم بالقرارات السِّياديّة في بعض البلدان العربيّة، وما تعرض له مشروع الحداثة العربي من فشل وتراجع في عدة ميادين مثل: القضاء، والتَّنميّة، والعدالة الاجتماعيّة، وملف حقوق الإنسان، والملاحقة للدعاة وسجنهم وتعذيبهم .. الخ، بالإضافةً إلى ازدواجيّة المعايير للدُّول القائمة على مكافحة الإرهاب وأزمة الهويّة في تلك البلدان، ممَّا أوجد ووفر لتنظيم داعش الملاذ المناسب والملائم لفكر التَّنظيم والداعم لوجوده.

في ضوء إعلان غالبيّة الأطراف الإقليميّة والدَّوليّة بداية النهاية لتنظيم داعش، تطرح هذه الورقة رؤية استشرافيّة لمستقبل التَّنظيم في سورية والعراق، خصوصاً بعد مقتل زعيمه البغدادي، وهزيمته في آخر معاقله المأهولة في سورية، وانسحابه من مراكز المدن الرئيسية في العراق. كما تسعى الورقة إلى تقييم لنقاط القوة التي ما زال يتمتّع بها التنظيم، والخطر الذي ما زال يشكّله على دول المنطقة، والأسباب التي ترجّح عودته واستمراره، أو تلاشيه وانكماشه في المدى المتوسّط والبعيد.

اعتمدت الورقة على المنهج « الوصفي التّحليلي بأسلوب دراسة الحالة»، وتم اعتماد المصادر المتاحة الأكثر موثوقية، وتوفير أكبر قدر من البيانات والحقائق وتحليلها بطريقة علمية محايدة، في محاولة للوصول إلى استنتاجات وتنبؤات مبنية على فهم شمولي ومتعمق حول مستقبل التنظيم في سورية والعراق.

احتمالات إعادة التَّنظيم نفسه والنُّهوض مجدّدًا أو انكماشه وتلاشيه

ليس من السهل تحليل مستقبل تنظيم داعش في ظل الظروف الحالية التي تعيشها سورية والعراق وبقية المنطقة العربية، فالمعطيات على الأرض تتغير بشكل ومتسارع ومأزوم؛ ما يجعل من الصعب التنبؤ بمسار الأحداث ومستقبل الأطراف الفاعلة فيها. وما يزيد الأمر صعوبة هو التعقيد الدائم للمشهد، وتعارض أجندات الأطراف الداخلية والخارجية التي تؤثر فيه، فضلاً عن طبيعة التنظيم نفسه الذي يتصف بالانتهازية الذكية واستغلاله للأحداث الجارية بشكل متقن، وعدم وضوح بنيته التنظيمية في ظل قياداته الجديدة، وسرية تحالفاته الداخلية والخارجية. وبناءً على ذلك، فإن ما يمكن القيام به لتلمس مستقبل التنظيم في سورية والعراق لن يتعدى الاجتهادات النظرية، التي قد تتغير نتائجها بسبب حدث غير وارد في الحسبان. بالمجمل، يمكن حصر مستقبل التنظيم في احتمالات التَّمدّد والتوسع أو الانكماش والتلاشي في إطار احتمالين تتفرّع عنهما سيناريوهات مختلفة. يتمثّل الأوّل بإعادة التَّنظيم نفسه والنُّهوض مجدّدًا سواء من خلال بعث هويته السابقة أو نسج هوية أخرى أكثر ديناميكية، أمَّا الاحتمال الثَّاني فيتمثّل في انفراط عقد التَّنظيم بالكلّيَّة وانتهائه عمليًّا، والفقرات التَّالية توضِّح هذه الاحتمالات:

الاحتمال الأول : إعادة تنظيم داعش لنفسه والنُّهوض مجدداً

مّا يعزّز جديّة وواقعية هذا الاحتمال هو السِّياق التَّاريخيّ لمسيرة التَّنظيم، حيث إنّ تتبّع نشأة التَّنظيم وتحوُّله من جماعة «التَّوحيد والجهاد» إلى فرع رئيس وفاعل لتنظيم القاعدة، ولاعب أساسيّ على السَّاحة العراقيّة، ثم تطوّره إلى «الدّولة الإسلاميّة في العراق» وصولًا إلى محاربته من قبل قوات الصَّحوات المدعومة من الجيش الأميركي، التي كادت أن تقضي عليه، تشابه هذه الحالة إلى حدٍّ كبير ما وصلت إليه حالة التَّنظيم اليوم؛ إلّا أنّه استوعب بمرونة فائقة هذه المرحلة، واختفى في صحراء الأنبار وعمل على

الانتظار وإعادة الانتشار واستغلال الأحوال السِّياسيّة التي هيَّأتها ثورات الرَّبيع العربيّ، وأخرجته من جديد باسم «تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشَّام» الطَّامح والسَّاعي لإعادة «دولة الخلافة» بقوة السِّلاح والجهاد.[91] كما أن الكثير من المراقبين يتّفقون على أن قوّة داعش العسكريّة ما زالت قائمة، ولا يزال التّنظيم يحتفظ بكم لا يستهان به من الأسلحة، كما أن أيديولوجيّة التّنظيم- المهمة في وجوده واستمراره - لا تزال بعيدة عن الهزيمة، ولا تزال خلاياه تنشط في مناطق عديدة من سورية والعراق، مع احتمالات التخطيط لهجمات عنيفة في بعض الدول خارج الإقليم؛ فلا تعني الهزيمة العسكريّة الكثير لمستقبل تنظيم داعش ووجوده على المدى القريب.

يتضمّن هذا الاحتمال العديد من السيناريوهات، أبرزها:

السِّيناريو الأول: بعث الشَّبكة الجهاديّة والعودة إلى الجذور العراقيّة

من السيناريوهات المتوقّعة هو العودة إلى النُّسخة الأصليّة من التَّنظيم؛ بمعنى عودة التَّنظيم «تنظيمًا عراقيًّا» ذا خطاب عالميّ؛ من خلال إعادة بناء شبكته على أرض المنشأ (العراق) دون غيرها؛ فقد شهد العراق بِذْرَتَه الأولى، وتضخّم قوّته لاحقًا، ثمّ انهياره أمام ضربات الصَّحوات، ثم انطلاقته من جديد نحو سورية، بغية تحقيق مكاسب إستراتيجيّة. وعلى الرَّغم من القضاء على قدرة التَّنظيم في السَّيطرة على الأرض في العراق، إلّا أنّ أسباب عودته إلى العراق ما تزال حاضرة؛ إذ إنَّ «الحاضنة السنيّة» فيه ما تزال تعاني المظالم ذاتها، التي كانت سببًا في النَّشأة الأولى للتَّنظيم، كما أنَّ الشَّبكات الاجتماعيّة التي دعمته في الماضي ما تزال موجودة الآن مع واقع أشدّ ألمًا وأقسى تأثيرًا، وما لم تتغيّر السِّياقات التي أدّت لظهور التَّنظيم فإن احتمال عودته إلى الميدان العراقي سوف تصبح قائمة.

ما يعزز وجاهة هذا الرأي، هو عودة التنظيم إلى واجهة الأحداث الأمنية والسياسية في العراق، بعد الانفجار الانتحاري المزدوج الذي ضرب سوقًا شعبية وسط بغداد بتاريخ 21 يناير 2021، والذي بات يُعرف بـ«تفجير ساحة الطيران» وأوقع عشرات القتلى والجرحى من المدنيين. فقد مثلت هذه العملية التي اشرف على تنفيذها

91 أبو هنيّة، حسن، أبو رمان، محمد. (2015).تنظيم «الدّولة الإسلاميّة»، الأزمة السُّنّية والصراع على الجهادية العالميّة، عمان، مؤسسة فريدرش إيبرت، الأردن - عمان.

القيادي العراقي في التنظيم جبار علي فياض المُكنى بـ «أبو حسن الغريباوي» والذي يشغل منصب والي جنوب العراق في والعسكري العام لقاطع جنوبي العراق، والمسؤول عن تجنيد الانتحاريين، طورًا لافتًا في الخط البياني للعمليات التي استأنفها داعش بعد ثلاث سنوات من الإعلان عن هزيمته وانتهاء سيطرته على مناطق شاسعة في العراق.[92] إذ ترافق استئناف عمليات التنظيم مع تصاعد حدة الخلافات والتجاذبات السياسية، وتردٍّ واسع للوضع الاقتصادي والاجتماعي والصحي، ما أدى بدوره إلى انطلاق حراك شعبي طالب بتغيير الطبقة السياسية، وخروج النفوذ الإيراني من العراق. كما يظهر أن داعش يراهن على الاستفادة من الثغرات الأمنية، وحالة التراخي الناجمة عن تعدد الأجهزة الأمنية والعسكرية دون التنسيق بينها، وتراجع الدور العسكري المسانِد للتحالف الدولي لاسيما القوات الأميركية، بعدما تصاعد التوتر بين واشنطن من جهة، وبين طهران والميليشيات المؤيدة لها في العراق من جهة أخرى . يؤكد هذا التفجير احتمالية عودة نشاط داعش وأن شبكته العراقية لا تزال تشكِّل تهديداً واضحاً، خصوصًا مع انشغال المجتمع الدولي بمكافحة جائحة «كورونا»؛ حيث قال الناطق باسم «قوة المهام المشتركة- عملية العزم الصلب» في بغداد: إن «داعش» لم يعد يسيطر على أي أرض حاليًّا، لكن احتمال عودته «احتمال حقيقي جدًّا» إذا تم تخفيف الضغط عليه»، فيما أكدت صحيفة «نيويورك تايمز الأميركية» أن التنظيم يستعيد قوته في العراق وسورية، وكشفت أيضًا أنه «يعيد تجهيز شبكاته المالية ويجنِّد عناصر جديدة».[93] من جهته ذكر قائد القيادة المركزية للجيش الأميركي الجنرال كينيث ماكينزي في فبراير 2021 إن التنظيم «يتوارى حاليا، لكن مشروعه هو الإبقاء على تمرده في العراق وسورية وعلى حضور سيبراني عالمي عبر هيكلية تنقسم إلى خلايا وتخوله تنفيذ هجمات إرهابية»، مشددا على أن الجماعة المتطرفة «لن تختفي بمجرد تجاهلها». [94]

عملياً، يمكن أن يتحقق هذا السيناريو من خلال إعادة تشكيل وتنظيم القيادات والخبرات العراقية المعنيّة بتطوير إستراتيجيّات العمل الميدانيّ والتَّكتيكيّ للتَّنظيم، لكن

92 موقع المركز اللبناني للأبحاث والاستشارات (2021). الكاظمي: قتلنا الغريباوي المسؤول عن تجنيد الانتحاريين في العراق...، http://www.center-lcrc.com/news/23924

93 الفلاحي، حاتم (2021). تصاعد نشاط تنظيم الدولة : المخاطر وفرص المواجهة، مركز الجزيرة للدراسات، https://studies.aljazeera.net/ar/article/4911

94 موقع يورو نيوز (2021). داعش» التنظيم الأكثر وحشية في التاريخ الحديث لا يزال نشطا وخطرا، https://cutt.ly/xRWubnM

ما يقف ضد هذا السيناريو هو أن انكفاء التنظيم وتقوقعه على نفسه في العراق وبين العراقيين فقط؛ يخالف طبيعة التنظيم وسمته البارزة في الرغبة المستمرة للتوسع والانتشار وضم الجنسيات المختلفة، وإظهار نفسه أمام خصومه كمشروع دولة «باقية وتتمدد»؛ لذا فإن احتمال أن يذيب داعش نفسه من جديد في قالب التنظيمات السرية التقليدية المحلية، يبقى احتمال مرحلي وقتي تفرضه الظروف التي يعيشها التنظيم أكثر من أن يكون استراتيجية بعيدة يتبناه في المستقبل.

السيناريو الثَّاني : المحافظة على وجوده في سورية وإدامة علاقته التنظيمية

من المفيد للتنظيم أن يحافظ على وجود له في سورية التي تشهد حالة من الانفلات الأمني وغياب تام لسيطرة قوات الجيش السوري في مناطق كبيرة شرق الفرات حيث يسيطر التنظيم على بعض الجيوب الهامة فيها، كما أن الكوادر السورية المبايعة والموالية لداعش ليست بالعدد القليل الذي يمكن تجاهله من قبل قيادة التنظيم أو الاستغناء عنهم في هذه المرحلة . ما يعزز هذا السيناريو أن داعش يمتلك القدرة على تصعيد وتيرة هجماته على قوات النظام السوري، وهو ما يعكس وفق محللين صعوبة القضاء نهائياً على خلاياه التي تنشط في البادية السورية الممتدة من شرق محافظتي حماة وحمص وسط سورية وصولاً إلى أقصى شرق محافظة دير الزور شرقاً، فمنذ سقوط الباغوز (شرق سورية) في 23 مارس 2019 حتى 19 مارس 2020، أعلن داعش مسؤوليته عن أكثر من 2000 هجوم في العراق وسورية مجتمعة، وفي سورية ادّعى قيامه بـ 973 هجوماً. [95]

يتركز تواجد داعش في سورية في منطقة البادية والتي تبلغ مساحتها نحو 80 ألف كيلومتر مربع، وتتوزع على محافظات: دير الزور، الرقة، حلب، حماة، حمص، ريف دمشق، والسويداء، وحسب مراقبين فإن نشاط خلايا «داعش» في البادية يأتي ضمن استراتيجية مختلفة بشكل جذري عن استراتيجياته السابقة في القتال، خاصة من ناحية تنقّل المقاتلين أو أساليب الاستهداف المحددة. [96]

95 زيلين، هارون. ي (2020). بعد عام على باغوز، لم يُهزم تنظيم «الدولة الإسلامية» ولم يعاود الظهور (بعد)، موقع معهد واشنطن، https://cutt.ly/2RWuPNW

96 عودة ، ضياء (2020). حرب استنزاف جديدة».. هجمات «داعش» تتصاعد في 5 محافظات سورية، موقع الحرة، https://www.alhurra.com/syria/2020/12/23

من حيث قدراته القتالية، يشير حسن أبو هنية إلى أن تنظيم «داعش» يعمل حاليا في سورية ضمن مجاميع صغيرة ومتوزعة في مناطق متفرقة، بالإضافة إلى الخلايا الموجودة في المدن، التي تعرف باسم «الخلايا النائمة». ويقول أبو هنية إن «التنظيم ليس في عجلة من أمره ولا يعتمد الآن على ردّات الفعل، بل يعمل وفق خطة وضعت فيها الأهداف بشكل واضح، من قبل القيادة المركزية»، مضيفا أن داعش وفي إطار عودته الجديدة الآن، فقد تحول من حالة المركزية إلى حالة اللامركزية، والتي تسري على رأس الهرم مما يسمى بـ»أمير الولاية» ومن ثم «القواطع والمفارز، والخلايا». ومن حيث القدرة اللوجيستية والمالية يؤكد أبو هنية أن داعش «لديه على الصعيد المالي، وبحسب استخبارات الدول حوالي 100 مليون دولار، لكن بتقديري يمتلك أكثر من 300 مليون دولار، ولديه استثمارات بأسماء وهمية»، مضيفا: «لا يوجد لديه مصاريف كبيرة سوى المقاتلين وبعض العائلات، وقبل انسحابه الأخير من الباغوز كان قد ترك في مناطق شاسعة مخابئ للأسلحة والأموال». [97]

يبدو أن هذا السيناريو يتلائم أكثر مع طبيعة التنظيم وطموحه من السيناريو السابق؛ خصوصاً أنه استطاع خلال السنوات السابقة أن يستوعب بدقة مفاصل البيئة السورية كجغرافيا وحواضن اجتماعية، بالإضافة إلى أن السيناريو اللاحق - الذي نرجحه - يعتمد بشكل أساسي على وجود موطئ قدم داعشية على الأراضي السورية.

السيناريو الثَّالث : تأسيس مناطق نفوذ على الحدود السورية - العر اقية

يستند هذا السيناريو على قراءة التواجد الجغرافي لداعش في سورية والعراق بشكل أساسي ؛ ففي سورية ومنذ انهيار التنظيم وخسارة مدينة الرقة وآخر جيوبه في مدن محافظة دير الزور ومعركة الباغوز في مارس 2019، اتّخذت مجموعة من مقاتلي تنظيم داعش من بادية الرَّقّة ودير الزور أماكن للاختباء بعد أن سيطرت قوات النِّظام على مناطق غرب الفرات؛ حيث تركّزت مجموعات التنظيم في ثلاث مناطق في عمق الصحراء هي: منطقة جبل بشري في الجزء الجنوبي الشَّرقي من الرَّقَّة، ومنطقة الدّفينة في جنوب غرب دير الزُّور، والمنطقة الصَّحراوية بين تدمر والسَّخنة من الغرب، والمنطقة 55 من الجنوب، ومحطَّة «التي تو» (T2) من الشَّرق، ومنطقة فيضة ابن مونع من

97 موقع الحرة (2020). «حرب استنزاف جديدة».. هجمات «داعش» تتصاعد في 5 محافظات سورية، https://www.alhurra.com/syria/2020/12/23

الشَّمال؛ إذ تتميّز هذه المناطق بتضاريس مواتية للتَّخفّي مثل الجبال والوديان والكهوف الجيرية الطَّبيعية شديدة العمق، بالإضافة إلى اتساع حجم المنطقة والعواصف التُّرابية اليومية التي تحجب الرُّؤية الجوية وتزيلُ آثار التَّحركات بسرعة. وفي الليل يتنقَّل عناصر التَّنظيم بحرية تامّة ضمن مجموعات ويُسَيِّرُوا الدَّوريات التي ترفع رايته كما يتمّ نقل الذَّخيرة والإمدادات في المركبات وفي وضح النَّهار، وعادةً ما يتحرّك أعضاء داعش عندما يحتاجون إلى ذلك متظاهرين بأنهم أفراد من قوَّات النِّظام أو من سكان البادية المدنيّين . ومن حيث نشاطه، فأنه يتركز في منطقة البادية السورية التي تشكل بمجملها قرابة نصف مساحة سورية، وتزخر هذه المنطقة الشاسعة بالمغاور والجبال والكهوف والرمال المتحركة، أي أنها تشكل بيئة جغرافية خصبة للاختباء، والقيام بهجمات الكر والفر، إذ إن تنفيذ هجمات في هذه البقعة الجغرافية لا يحتاج سوى إلى عدد قليل من العناصر وأسلحة هجومية قاذفة، وهو ما يصعب محاربة التنظيم في هذه الظروف. [98]

وفي العراق لا زال التنظيم يتواجد في عدة جيوب تشمل المناطق التالية: [99]

- المثلث الجغرافي الذي يشمل محافظة الأنبار، ونينوى، وصلاح الدين، وهو يضم مناطق واسعة يتخللها الكثير من الوديان، مثل: وادي حوران والقذف والأبيض، كما تشمل جزيرة البعاج، والحضر، وسلسلة جبال عطشانة، ومرتفعات بادوش، يضاف إليها بحيرة ووادي الثرثار وصولًا إلى راوه غربًا وتلول البعاج شمالًا، وهذا المثلث امتداد للبادية السورية، ويوجد بهذا القاطع ما يقارب (800) مقاتل.
- المثلث الجغرافي الذي يشمل شرق محافظة صلاح الدين، وشمال شرق ديالى، وجنوب كركوك، ويشمل سلسلة جبال مكحول، وحمرين، والغرة، ويتخلله الكثير من الوديان مثل الكرحه، والشاي، وزغيتون وهما يلتقيان بوادي أبو خناجر، ويشمل هذا المثلث قاطع الكاطون في ديالى، ويمتد في الشمال الشرقي نحو مناطق المقدادية، وقره تبة، وجلولاء، وأم الحنطة، وقرية الإصلاح، وهي منطقة بساتين وغابات كثيفة تصلح لعمل الكمائن ويصعب على القوات الأمنية اقتحامها، بالإضافة إلى بحيرة ديالى. يعتبر التنظيم هذه المناطق أرض (التمكين والانطلاق)، وله فيها نحو 400 عنصر، يوصفون بالشراسة والتنظيم.

98 دلي، خورشيد (2021). عن مخاطر عودة داعش إلى البادية السورية، موقع العين الإخبارية، https://cutt.ly/DRWu0ko

99 الفلاحي، حاتم (2021)، مرجع سابق.

- المثلث الجغرافي الذي يشمل جنوب شرق محافظة نينوى، وشمال صلاح الدين، وجنوب غرب كركوك، ويشمل المنطقة المحصورة بين مخمور، والشرقاط، ويوجد بهذا القاطع ما يقارب (350) مقاتلًا.
- قاطع شمال وجنوب غرب بغداد ويشمل الطارمية، وأبو غريب، (حزام بغداد) ويوجد بهذا القاطع ما يقارب (350) مقاتلًا.

من خلال إسقاط مواقع التنظيم سالفة الذكر على خارطة سورية والعراق؛ نجد أنه يسعى للتمركز في خاصرة الدولتين ضمن شريط حدودي يشمل الكثير من المواقع الحيوية (نسبياً) التي توفر له الكثير من الملاذات الآمنة والمواقع المحمية، وسهولة الولوج إلى مراكز المدن العراقية والسورية والانغماس مجدّدًا في مجتمعات لا زال يسودها الإحباط من سياسات أنظمتها السياسية التي تزداد سوءًا، وتجنب المواجهات المفتوحة مع القوات السورية والعراقية وقوات سورية الديموقراطية (قسد)، كما يمكنه من خلال تواجده في هذه المواقع الفقيرة استراتيجياً أن يصرف انتباه القوات الدولية عنه، وبنفس الوقت يحافظ على وجود وتماسك ما تبقى من مقاتليه وكوادره، ويؤسس القواعد اللوجستية التي توفر له الكثير من مزايا (التمكين والانطلاق) التي ينتهجها التنظيم، ويفرض واقعاً حتمياً على منطقة حدودية واسعة يمكن أن تدر العائدات المالية من تجارة التهريب عبر الحدود للمواد غير المشروعة. من جهة أخرى، أكدت صفحات تاريخ المنظمات الإرهابية وحركات التمرد وعصابات الإجرام المنظمة؛ أن المناطق الحدودية والمائعة بين عدة دول تطيل من عمر هذه المكونات وتقدم لها الكثير من التسهيلات التي كانت سبباً في استمرار بقاءها.

سبب آخر يعزز واقعية هذا السيناريو، يتمثل بـ«مسار عمليات مكافحة الإرهاب» التي تشير إلى حشر التّنظيم وإجباره على نقل مجمل ثقله العسكري والبشري إلى باديّة سورية والعراق، وهذا قد يفضي إلى نتيجة عكسيّة سببها تجمع التّنظيم مجدّدًا واتّحاده في منطقة واحدة ممتدّة على حدود الدولتين، مما يكسبه مجالًا حيويًّا أوسع وهامش أكبر من الحركة تمكّنه من شنّ هجمات منظمة على أهداف داخل سورية والعراق وليس فقط هجمات عشوائيّة بأسلوب الذئاب المنفردة. [100]

100 بن ميلاد، بسمة (2019). دراسات جديدة تثبت عودة تنظيم الدّولة إلى ساحة سورية والعراق، موقع عربي 21، https://arabi21.com/story/

ربما يتناقض هذا السيناريو مع توجهات التنظيم بتأسيس دولة الخلافة الكبيرة وحكم السكان والسيطرة على الأرض؛ إلا أنه يبقى – في تقديرنا – السيناريو الأكثر واقعية؛ إذ أن واقع التنظيم الحالي يفرض عليه التضحية بالكثير من طموحاته في مقابل إعادة تنظيم نفسه وصموده واستمرار إدارته للولايات التابعة له والمنتشرة خارج الشرق الأوسط في أفريقيا وآسيا، وبذات الوقت، يديم وجوده كلاعب رئيسي ومنافس في ساحة المنظمات الإرهابية .

الاحتمال الثاني: انكماش التَّنظيم و انتهاؤه.

لا بدّ من الإشارة في مستهلّ تقديم هذا الخيار إلى ضعف احتمال حدوثه عمليًّا، فقد كان ظهور داعش ناتجاً عن تحوّلٍ جذري في بنية المنظومة الإرهابية بعد أن استطاع أن يقدم نفسه ويروج لوجوده؛ كنموذج لدولة الخلافة المتخيّلة والمغيّبة في آن معًا، وكممثل مفترَض للإسلام السُني المهدد من قبل أنظمة ومذهبيات عديدة، من خلال دعاية احترافية مكثّفة وغير اعتياديّة؛ ولذا فإنّ التهديد الذي يجسده داعش لا يتأتى من كونه تنظيمًا متطرّفًا وإنّما لتمثيله إيديولوجيّة تسعى بشكل عملي إلى إعادة الاعتبار للهوية السنّيّة المهمّشة في العراق وسورية على وجه الخصوص، وتحظى بالقبول في زمنٍ تكاثرت فيه الانتكاسات والانكسارات، وآخرها الغارات الإسرائيلية الغاشمة على قطاع غزة ومحاولة توحيد كامل القدس تحت الإدارة الإسرائيلية . من جهة أخرى، من الصعب جداً تعديل الذهنية الداعشية المترسخة لدى الجيل الثَّالث من منسوبي التنظيم وهم أشبال الخلافة وأبناء قتلى التَّنظيم ومعتقلوه - على اعتبار أنّ الجيل الأول هم جيل تنظيم القاعدة الأوائل والجيل الثاني هم من نقل فكر وإستراتيجيّة القاعدة من أفغانستان إلى خارجها - ولذا فإنّ احتمال انفكاك هذا الجيل عن إيديولوجيّة الخلافة أمر أقرب إلى الاستحالة ذهنًا ومنطقًا، ولا تعني خسارته للأرض انتهاء مجتمعه الحاضن للتطرف خاصة مع الأطفال الباحثين عن انتقام آبائهم والنساء الثكالى اللواتي فقدن أبنائهنّ وأزواجهنّ ، وبالتالي فإنّ «فكر داعش» سيبقى موجوداً بخلاياه وأفكاره وتأييد المتعاطفين مع قضية الهوية المسحوقة على الرغم من خسارته أرض الميدان .

بالمجمل، يتمحور خيار انكماش التَّنظيم وانتهاؤه حول سيناريوهات عديدة، من أبرزها:

السيناريو الأول: إعادة تأسيس تنظيم جديد تحت مسمى آخر.

يشترط نجاح هذا السيناريو؛ الحصول على دعم الحاضنة الشَّعبيّة في العراق وسورية، لكن ذلك يصعب تحقيقه لسببين: أوّلهما: معاناة المجتمع الحاضن من وحشيّة التَّنظيم، والآلام المختزنة في الذاكرة السورية والعراقية التي خلفتها سيطرته المطلقة، والتي ستشكل بدورها حاجزًا أمام دعم إعادة تشكيل التَّنظيم باسمه السَّابق أو باسم آخر. ثانيهما: يتعلق بطبيعة التَّنظيم ذاته التي يرفضها السُّوريون والعراقيون؛ حيث لا زال التَّنظيم في الوعي الشعبي السوري أنه السَّبب الأهم في إنحراف مسار الثورة وعودة تغوُّل النِّظام وسيطرته كسابق عهدها؛ جراء نزاعاته العنيفة والجذريّة مع بقيّة الفصائل الثائرة ضدّ النِّظام؛ وفي العراق، يبوح الخاطر العراقي بأن التنظيم مسؤول عن حالة الإقصاء والتهميش للمكون السني التي ازدادت وتيرتها بعد تجريمه من قبل المكونات الأخرى، واتهامه أنه لبنة بناء داعش الأولى وسبب صعوده.

مع ذلك، إن عودة التنظيم بأشكال ومسميّات جديدة لا يزال أمر محتملٌ ولا يمكن الجزم باستبعاده، لأن صوت المظالم المتزايدة يبقى أقوى من صوت العقل والذاكرة السورية والعراقية التي ترحب بأي مدافع عنها.

السيناريو الثَّاني: بقاء التنظيم مع الانقلاب على القيادات الحاليّة

وهذا السيناريو يرتبط بمدى قدرة الأجنحة القويّة داخل التَّنظيم على تحقيق ذلك، كالتيّار الحازمي العنيف في تطرّفه ونزعته التَّكفيريّة، حيث يمكن لهذا التَّيار قلب الأمور رأسًا على عقب، ولا سيّما أن رؤوس هذا التَّيّار كانوا من ذوي التَّأثير في مجلس الشُّورى والقضاء داخل التَّنظيم ويحظون بالتأييد بين صفوف المقاتلين. أو أن يتغلب التيار القاعدي الداعي للعمل التنظيمي السري المرجيء لمشروع دولة الخلافة في الوقت الراهن، خصوصاً أن قسماً ليس بالقليل من اتباع داعش يتمتعون بخلفية قاعدية وشهدوا المرحلة الأفغانية وما تلاها.

في كلا الحالتين، الانقلاب على القيادات الحالية وظهور نسخ داعشية مخففة أو مشددّة، سيضفي على المشهد انعكاسات سلبيّة على التَّنظيم قد تؤدي في نهاية المطاف إلى تسريع انقسامه بين مؤيّد ورافض له، ومن المحتمل انشقاق الكثير منهم عن النسخة الجديدة من التنظيم .

السيناريو الثَّالث: الانضمام إلى التَّنظيمات الجهاديّة الأخرى.

من السيناريوهات المقدّمة، هو انضمام أفراد التَّنظيم فرادى أو جماعات محدودة العدد، إلى التَّنظيمات الجهاديّة الأخرى المحليّة، والمرشح الأقوى في هذه الحالة هو تنظيم القاعدة وفروعه، كونَه الرَّحِم الأولى التي ظهر منها تنظيم الدَّولة، ولا سيّما أن الكثير من مقاتلي تنظيم الدَّولة العراقيين والسُّوريين أو الأجانب لا يستطيعون العودة إلى حياتهم السَّابقة؛ بسبب الملاحقات الأمنيّة التي ستطالهم في بلدانهم من جهة، كما أن بقيّة التَّنظيمات القائمة في العراق وسورية لن تسمح لمقاتلي تنظيم الدَّولة بحريّة الحركة ضمن مناطق نفوذهم وإن كانوا قد انشقوا عن داعش من جهة أخرى .

ما يعزز هذا السيناريو، أن فكر داعش لم يخرج عن منظومة الفكر الجهادي العالمي، التي انبثقت جميعًا من رحم السَّلفيّة الجهاديّة التي يمثلها تنظيم القاعدة، وقد انبثق عن تنظيم القاعدة وانشقّ عنه، ويعتمد التَّنظيم أدبيَّات السَّلفيّة الجهاديَّة، وطروحات كبار منظّري التَّنظيم، أهمّها: كتب أبي عبدالله المهاجر ورسائله، وكتاب «مسائل من فقه الجهاد» ويسمّى أحيانًا «فقه الدِّماء» ، وأطروحات أبي بكر ناجي في كتابه «إدارة التَّوحّش، كما تأثّر بكتابات منظّري السَّلفيّة وبعض المنظّرين التّجديديّين كالمودودي وسيّد قطب. [101]

السيناريو الرابع: تلاشي شخصية التنظيم أمام فروع التنظيم الخارجية.

في ظل مؤشرات تؤكد اكتساب فروع وولايات داعش في مناطق كثيرة من العالم مقدرة على الاستقلالية عن التنظيم المركزي بسبب حالة الضعف التي تشهدها قيادة التنظيم بالمقارنة بقوة نفوذ قادة بعض الفروع ؛ يتجسّد هذا السيناريو في احتمالين: أولهما، إعلان بعض الفروع فك الارتباط به والتمرد عليه، وهذ حدث فعلاً في بعض الفروع التي استعادت شخصيتها المستقلة بعد تحدي أوامر البغدادي مثل فصيل أبو بكر شيكاو في حركة «بوكو حرام» الذي رفض التنازل عن منصب أمير التنظيم لصالح أبو مصعب البرناوي[102]. وثانيهما، وهو الأكثر واقعيةً ويتمثل بانتقال قيادة التَّنظيم من

101 حسن، حسن (2016). طائفيّة تنظيم الدّولة الإسلاميّة: الجذور الايديولوجيّة والسياق السياسي، مركز كارنيغي، https://carnegie-mec.org/2016/06/13/ar-pub-63756/ar

102 أنووها، فريدوم (2016). انقسام «بوكو حرام»: صراع الزعامة وتأثير أيديولوجيا «الدولة الإسلامية»، مركز الجزيرة للدراسات، http://studies.aljazeera.net/ar/reports/2016/10/161026101055391.html

سورية والعراق إلى مواقع جديدة ضمن إستراتيجيّة الولايات وبناء الشَّبكات المحليّة فيها لبعث مرحلة دَّولة الخلافة مجدَّدًا، وبجميع الأحوال سيتلاشى التنظيم في سورية والعراق.

ما يعزز مصداقية هذا السيناريو؛ أن تركيز التنظيم على الولايات والفروع يحقق عدد من الأهداف المرحليّة، من أهمّها:

- تحقيق سياسة الهروب إلى الأمام، وتدشين خطوط مواجهة على جبهات جديدة، وإعادة تجميع شتات عناصره التي هربت عقب هزيمة التَّنظيم في سورية والعراق؛ من خلال تأسيس ملاذات آمنة وقواعد لوجيستيّة أكثر أمناً من العراق وسورية، لا سيما أن التّنظيم يتمتّع بمرونة شديدة تمكّنه بسهولة من التحوّل من نهج المركزيّة إلى حالة اللامركزية، إذ تمكّن من إجراء إعادة هيكلة تنظيميّة على الصعيد العسكري والأمني والإداري والشرعي والإعلام، كما سيضمن الوجود التَّنظيمي بالدول الجديدة سهولة تنفيذ ضربات انتقاميّة ضد بعض الدُّول الكبرى ومصالحها، وهو الأمر الذي طرحه التنظيم خلال إعلان إستراتيجيّة الولايات الجديدة.
- إبهار عناصر جديدة لاستقطاب المزيد من المقاتلين الأجانب بعد الإيحاء بأنَّ التَّنظيم ما زال قادرًا على فرض مشروعه، خاصةً إذا تمكن من استغلال التَّوتّرات الدينيّة أو العِرْقيّة في مجتمعات الولايات، وعمل على توحيد الجماعات والميليشيات الإسلامية المحليّة المتمردة فيها. فقد حرص تنظيم داعش منذ بدايّة ظهوره على الاستثمار في المقاتلين الأجانب، وإن كانت أهدافه آنذاك تختلف عن أهدافه في هذه المرحلة، إذ احتاج إلى مقاتلين أجانب في بدايّة تأسيسه بهدف خلق شخصيّات جذابة تظهر التّنوّع العرقي لتنظيمه، وتضفي الشرعيّة على وجوده، وتزيد من فرص جذب المقاتلين الأجانب، ومن ثمّ فإن انتقاله إلى الولايات لن يكون بالأمر الصعب على قيادة التنظيم حال استغلال علاقاته السابقة مع مقاتليه الأجانب لتأسيس قواعد للتنظيم في بلدانهم.

السيناريو الخامس: تحول التنظيم للعمل كمنظمة سرية

لا يقصد بهذا التحول هو التواري عن الأنظار وتجنب المواجهات المفتوحة فقط، بل المقصود هنا هو ضمور قيمة ومنطق السيطرة على الأرض أو تجميع القوات أو تطويع

المجتمعات في فكر التنظيم، والاستعاظة عن ذلك، بالتحول إلى منظمةً وشبكة سريّة مختفية على الأرض لكن تهديدها مستمر وحقيقي، ويظهر بعدة أشكال مختلفة كالجهاد الإلكتروني، والذئاب المنفردة، وحرب العصابات والمفخخات، والخلايا النائمة .. وغيرها من أشكال الإرهاب. في هذه الحالة، يمكن القول أن التنظيم غير موجود في سورية أو العراق أو غيرهما، وفي الحقيقة، لا يهم مكان وجوده بقدر أهمية فعاليته وخطورته.

أن هذا الخيار سوف يساهم بفاعليّة في حفاظ التنظيم على هياكله التّنظيميّة وفاعليته الأيديولوجيّة ورسالته الدعائيّة ومصادره التمويليّة، وأيضاً يُبقيّ على قياداته العسكريّة، وبنفس الوقت، يتمكن من الانتقام من الدول المستهدَفة التي حاربته أو سهّلت الحرب ضدّه .

الخلاصة والاستنتاجات

كانت ولادة تنظيم داعش نتيجة جملة من الظروف الموضوعيّة، ابتداءً من حالة الجهاد الأفغاني التي كانت ملتقى قيادات ونخب ورموز «الحركات الجهاديّة»، والذين شجعتهم النجاحات العملية للمجاهدين الأفغان والعرب على تنامي طموح استنساخ التّجربة الأفغانية في بيئات أخرى، كان أكثرها جاهزية البيئة العراقية عقب الغزو الأميركي في العام 2003، حيث شكل هذا الغزو الاشتراط الموضوعي الأهم في ولادة وتمدد وانتشار تنظيم داعش، وذلك على وقع الفراغ الأمني وتهميش المكون السُّني وتصاعدٍ غير مسبوق للدور الإيراني في تحديد خيارات الشّعب العراقي.

يعدّ فشل تجربة الرّبيع العربي في سورية من أوضح الأمثلة على خلق البيئة الملائمة لانتشار التّنظيمات الإرهابية ومنها تنظيم داعش؛ فقد حرص النظام السوري ومنذ اليوم الأول للحراك الشّعبي السلمي في سورية على مواجهة هذا الحراك بالعنف والاعتقال والتصفية والتعذيب. كما اتبع النظام السوري سياسة تدمير المناطق الثائرة، وقصفها بالطائرات والمدفعيّة، أمام هذا الواقع تحول الحراك السلمي إلى عمل مسلح، ووجد تنظيم داعش الفرصة للتمدد في الأراضي السورية حيث استطاع السيطرة على كامل محافظة الرّقة التي شكلت نقطة ارتكاز التَّنظيم في التّمدد في سورية والعراق، كما نجح في السيطرة على أجزاء من محافظتي دير الزور والحسكة.

لا تزال تتفق التقارير والدراسات مع عودة القدرة العسكريّة والقتاليّة والتسليحيّة لتنظيم الدّولة؛ فقد حذّرت أربعة تقارير صدرت عام 2019 عن الأمم المتحدة والبنتاغون ومراكز البحث والتحليل من خطر استمرار وعودة ظهور تنظيم الدّولة في العراق وسورية، بالرغم من اختلاف النّهج في كل دراسة، لكنّها توصّلت جميعها إلى استنتاج واحد، وهو تعافي تنظيم داعش، وعدم انهزامه، لأن الظروف التي أدّت إلى ظهوره ما زالت موجودة حتّى الآن. ووفقًا للمفتش العام في البنتاغون، الذي حلّل أنشطة التّنظيم خلال الفترة من أبريل إلى يونيو عام 2019، فإن سديم الإرهاب»قد عاود الظهور في سورية» و «عزز قدرته على التمرد في العراق»، فقد ظل حوالي 18 ألف مقاتل في كلا البلدين، بما في ذلك ثلاثة آلاف «أجنبي»، منظمين وفقا لمبدأ «الخلايا النائمة» والمستقل، وهذه الخلايا قد تكون في الواقع مدججة بالسلاح، بما أنها حملت معها بعض المعدات التي قامت بتجميعها خلال فترة الخلافة، من سنة 2015 إلى سنة 2018، وذلك لم يكن بفضل عمليات الاستيلاء التي نفذتها على الجيوش فقط العراقيّة والكرديّة بشكل رئيسي، بل بفضل إنتاج مستقل أيضًا يمثل أحد طموحات التّنظيم .

تستنتج الورقة أن مستقبل داعش في العراق وسورية يمكن قراءته بمعزل عن مستقبله في الولايات والفروع، ففي كل البلدان التي شهدت صعود تنظيم داعش وتراجعه عمومًا، وفي العراق وسورية خصوصًا، لا يزال الاستقرار الأمني هشًّا؛ إلا أن جهود مكافحة الإرهاب في سورية والعراق حظيت باهتمام وإرادة دولية وأقليمية أكثر من غيرها، لذا فإن سقوط التنظيم في سورية والعراق لا يعني بالمطلق تلاشيه في دول أخرى، بل ربما تكون الغلبة في المستقبل لفروع وولايات التنظيم الآسيوية والأفريقية التي قد تحقق نتائج أكثر أهميةً مما حققه التنظيم في سورية والعراق.

ضمن احتمالين التمدد والتلاشي لوجود التنظيم في سورية والعراق، تم طرح عدة سيناريوهات محتملة لعل أبرزها وأقربها لمحاكاة واقع التنظيم ومستقبله؛ تلك المتعلقة بتأسيس مناطق نفوذ وتمركز على الحدود السورية – العراقية بالنسبة لاحتمال بقاء التنظيم في سورية والعراق . وسيناريو تلاشي شخصية التنظيم أمام فروع التنظيم وولاياته الخارجية بالنسبة لاحتمال تلاشي التنظيم في سورية والعراق.

الخاتمة

مع نهايّة مشروع «دولة خلافة» عام 2017، لا تزال الظروف الأمنيّة في العراق وسورية تشجع على ولادة ثانيّة لقدرات تنظيم داعش القتالية؛ لذا من المتوقع أن تتجسد نسخة التّنظيم المستقبلية في العراق وسورية في العودة إلى حالة المنظّمة، وتراجع تمركز قواته إلى مناطق الفراغ والعجز الأمني، وتعديل تكتيكاته القتاليّة وتحوّل إستراتيجيته وعقيدته القتالية إلى الاعتماد على نهج الاستنزاف ومنطق حرب العصابات بالاعتماد على مجاميع صغيرة تنتشر عبر مساحات غير مأهولة، إضافة إلى التموضع كخلايا نائمة داخل المدن لتنفيذ العمليات الانتحاريّة والانغماسيّة المتنوّعة والمركبة.

المناقشات

جودور جاليت

أتساءل حول الإجراءات العسكرية المتخذة من قبل القوات العسكرية العراقية والسورية لمنع ظهور تنظيم الدولة مجددا، وما هي التكتيكات والاستراتيجيات المطبقة من قبل القوات السورية والعراقية لهزيمة تنظيم الدولة نهائيا؟ وهل هذه الخطط قادرة على استئصال التنظيم نهائيا؟

د. محمد أبورمان

إن تنظيم «داعش» شكّل في مسار السلفية الجهادية العالمية طفرة، طفرة على مستوى التجنيد، الدعاية، البروباغاندا، وطفرة على قدرته احتلال أراضٍ كبيرة. والآن التنظيم المركزي الذي تشكّل خلال تلك الفترة عاد وتقوقع في مناطق محدودة.

النقطة المهمة التي ذكرها الباحث العظامات أنّ التنظيم ظاهرة مركبة ليست بسيطة، تتشكل أكثر من عامل، هنالك بُعد إيديولوجي، وبُعد مرتبط بالبُعد الجيوستراتيجي على أرض الواقع، بمعنى لا يمكن التنبؤ بمصير داعش دون معرفة ما يحدث في العراق وسورية؛ لأنّ التنظيم قوته وضعفه مرتبطة بما يحدث على أرض الواقع من السياسات الدولية والاقليمية عندما كانت مفككة في العراق وسورية التنظيم شهد صعوداً، ولكن عندما أُغلقت البوابة التركية وتوحد الحشد الشعبي على الأرض مع الطيران الأميركي في السماء وأصبح هنالك تحالف دولي أُضعف التنظيم، كما ذكر الباحث العظامات، السياسات الدوليّة والاقليمية تراجعت، (المظالم السنية) تصاعدت، وبالتالي نحن أمام انفراجة جديدة بالنسبة للتنظيم على أرض الواقع.

بناء على ما تقدم فإنّ هنالك جملة من التساؤلات تمثل مفاتيح مهمة لفهم مؤشرات المرحلة القادمة:

- في حال اليوم ازدادت الازمة السياسية في العراق وسورية، هل ذلك يعني أن التنظيم في طريقه إلى الصعود رغم أنّ التنظيم خسر الحاضنة السنية إلى الأبد، كذلك فإنّ السنة لن يغامروا مجددا بعد اليوم باتباع داعش بعد أن ذاقوا الويلات من هذا

التنظيم، خاصة ما حدث في الأنبار والموصل؟

- هل من الممكن اليوم في ظل أزمة القاعدة وأزمة داعش أن يصبح هنالك نوع من الفكر الموحد بين القاعدة والتنظيم بعد أن انشقت هيئة تحرير الشام في أدلب وأصبحت القاعدة ضعيفة والتنظيم ضعيفاً؟
- هل يمكن أن يكون هنالك تنظيم آخر غير تنظيم داعش يمثل السنة في المرحلة القادمة ويعبر عنهم وعن آرائهم وقضاياهم؟
- هل نتحدث اليوم عن تنظيم سوري أو عراقي وبالتالي، يتخلص من عبئ القادمين من الخارج الذي أعطاه عبئ إيديولوجي كبير؟
- كان هنالك استقطاب لآلاف القادمين من أوروبا والعالم العربي، اليوم هل هذه الظاهرة انتهت؟ غداً هل سيغرر تنظيم آخر بهؤلاء الآلاف من الراغبين بالقدوم من الخارج؟
- هل ثقل التنظيم انتقل من العراق وسورية إلى افريقيا وخراسان في افغانستان؟

د. مؤيد الونداوي:

هنالك الكثير من المشروعية في الأسئلة التي طرحت، على قدر تعلّق الأمر بالساحة العراقية. نعلم أنه بعد 2003 وما جرى من غزو واحتلال ظهرت العشرات من المسميات لجماعات المقاومة المسلحة التي انصبت اولاً لمقاومة الغزاة، وكلنا نعلم أن هذه الجماعات المسلحة توزعت بين اليسار واليمين، ما بين القوميين وما بين الاسلاميين. الذي حصل أن في عصر القاعدة وأبو مصعب الزرقاوي لم يكن هنالك تقاطعات كثيرة بين القاعدة والجماعات المسلحة العراقية الأخرى سواء كانت إسلامية أو عروبية الطابع.

عند دخول داعش الموصل، كانت لاتزال هنالك جماعات مسلحة مهمة تقاوم الأميركان والنظام السياسي الجديد وقد باشرت فعلاً بعمليات مقاومة لتواجد الحرس الثوري والنفوذ الايراني في العراق. نعلم أن داعش كانت قد قضت على جميع اشكال المقاومة هذه. واليوم المشهد العراقي يؤكد لكل متتبع لحركة التاريخ أنّ هنالك مقاومة جديدة ستظهر إن لم تكن بداياتها قد انطلقت، وهذه إحدى إجابة لإحدى أسئلة الزميل أبو رمان.

الحراك السياسي في العراق سواء داخل الأوساط السنيّة أو الشيعية، يقول أنّ بالإمكان مواجهة على أقل تقدير النفوذ الايراني المتمثل بالجماعات الولائية لطهران ليست الباسيج أو الحشد شعبي.

المشكلة الفنية المتبقية والتي ينبغي أن ينتبه لها الإخوة الباحثون أنّ طبيعة التحالف الدولي لم يسمح لأي فئات أخرى أن تعبر عن مقاومتها لغزاة جدد، والنظام السياسي في بغداد ولربما قريباً في سورية أيضاً سيطلق وصف الارهاب وداعش على خصومه ومعارضيه، وبالتالي، يجب الحذر حول متى نفصل وكيف؟ وأنّ هذا التحالف الدولي مادام قادماً لمحاربة الارهاب، فالإرهاب واحد، سواء متمثل بداعش أو القاعدة أو الجماعات المسلحة التي تعبث بأمن واستقرار العراق تحديداً الجماعات الولائية الممولة والمجهزة والتي تدار من قبل إيران. ذات هذه الجماعات تدعم نشاطات إرهابية في العراق، هذه الجماعات تتعاون مع حزب العمال الكردستاني (PKK) في صراعه مع تركيا، وتتعاون مع عناصر تابعة لجماعات مسلحة في سورية. هذه الظواهر الغريبة يجب أن نعطي لها وقتها لفهمها أكثر لأنها ستتطور وستزداد مادام انعدام العدل والمساواة في الحقوق والواجبات بين المواطنين، مادام هنالك تدخلات إقليمية ودولية في الشؤون الداخلية لدول الإقليم تحديداً الدول العربية.

قد يقول البعض أنّ هنالك تدخل إيراني وتدخل تركي وربما آخر، على الباحثين دوماً إعطاء مساحة لهذه الجماعات وإبعادها عن توصيفات داعش وما يتبعها من عناصر أخرى؛ مثل هذا التوصيف يساعد القوى الوطنية المحلية سواء في العراق وسورية أو في عموم المنطقة العربية حتى في فلسطين أنّ تعبر عن نفسها بوسائل مختلفة، إحداها ربما ستكون اللجوء إلى السلاح مادام الخصوم يلجؤون إلى السلاح بأنفسهم.

المعلوم أنّ أعداد القتلى منذ ثورة الشباب من المناطق الشيعية وسيشهدون تنظيمات مسلحة ضد قادتهم العاملين على استمرار الفساد والتبعية لدول اقليمية. لذا يجب أخذ هذا الأمر بعين الاعتبار كي لا نخطئ في الفرز، وبيان الصحيح من الخطأ، بين ما هو داعش وما هو وطني، بين ما هو ارهابي وما هو مشؤوم.

د. علي طاهر:

تجيب الورقة عن احتمالية نشوء جماعات مسلحة أخرى غير داعش. فيرى أنه بالعودة قليلاً إلى الوراء والحديث عن مرحلة ما قبل تحرير المناطق بعد احتلال داعش لها داخل العراق. كان هنالك انفصال نفسي حقيقي بمناطق جغرافية بمجتمعاتها، باقتصادها، بوضعها السياسي، انفصال كامل عن الجسد العراقي. وكان هناك رفض في بغداد لهذا الانفصال باعتبارها مناطق مشكوك بارتباطها بالنظام البعثي بعدما احتلت داعش مناطق واسعة من العراق، حدثت عملية التحرير، من المهم الذكر دور الشيعة أبناء الجنوب من خلال الحشد الشعبي وإصدار الفتوى من المؤسسات الدينية وبمعية القوات الأمنية العراقية الرسمية، تحولوا إلى تحرير هذه المناطق. هذا أعطى انطباع جديد حقيقة. بالإضافة إلى هجرة 5 مليون نازح سني من المناطق السنية إلى المناطق الشيعية والكردية. أعادت هذه العملية الارتباط النفسي بين الناس سواء تحرير المناطق من قبل القوات الأمنية والحشد الشعبي، أو في عمليات النزوح المشار إليها. إضافة إلى مشاركة التحالف الدولي في عمليات التحرير. داعش بالنهاية أضر كثيراً بالمناطق السنية قبل غيرها، هذا كله أعاد حسابات المجتمع السني في هذه المناطق وظهرت في أكثر من دراسة ميدانية أجريت، هذه النقطة الأولى.

النقطة الثانية، داعش كان يحتمي بإيديولوجيا محددة أشار لها الباحثون، إحدى هذه الايديولوجيات الحس ضد الاحتلال، هذه الإيديولوجية ما عادت محصورة بفئة معينة؛ الآن الفصائل المسلحة -المليشيات الشيعية- تحمل هذه الايديولوجيا، لذلك لا يوجد ميزة لأي جماعة مسلحة إن رفعت مثل هذا الشعار داخل العراق. كذلك الروح العروبية التي كانت لدى تنظيم داعش، الآن الشباب العراقي في الوسط والجنوب بعد مظاهرات تشرين -كما أشار دكتور مؤيد- يحملون هذا النفس المناهض للسياسة الايرانية بصورة واضحة جدًّا، لذلك، المبررات الإيديولوجية والنفسية غير متوفرة في هذه المناطق لظهور جماعات ذات تنظيم وذات خطورة توازي داعش.

أمر واحد فقط حسب الدراسات الميدانية التي أجريناها ممكن أن يؤدي إلى ظهور مثل هذه المواجهات المسلحة أو التنظيمات المناهضة للدولة، تعتمد على عنصرين:

- العنصر الأول، هو تواجد الحشد في المناطق السكنية. الحشد الشيعي أقصد في

المناطق السنية السكنية، هناك حساسية شديدة للناس في محافظات، مثل صلاح الدين، والموصل تحديداً، والأنبار بدرجة أقل بخصوص هذا الموضوع، وكانوا يحذرون أن تواجد مثل هذه القوات ممكن أن تكون قنبلة موقوتة.

- أما العنصر الثاني موضوع التنمية، لدينا مشكلة اقتصادية حقيقة بسبب حجم الفساد الموجود والتخطيط غير المتوازن وهنالك مناطق واسعة مازالت مدمرة، فرص العمل غير متوفرة والبطالة وغيرها.

نفس العوامل الموجودة التي أدت إلى احتجاجات تشرين الأول عام 2019 حتى الآن مستمرة في بعض مناطق الوسط والجنوب، نفس العوامل وأكثر موجودة في المناطق السنية ممكن أن تفجر الوضع في أي وقت. لكن امتداد لجماعات داعش يبدو أن الوضع الرسمي العراقي والقوات الأمنية العراقية وحتى الوضع السياسي العراقي بات يتعامل مع الزعماء السنة بطريقة أخرى ولا يجد الباحث هذا المبرر لظهور مثل هذه الجماعات مرة أخرى.

حسن أبو هنية:

دائماً هناك مشكلة في القدرة على التنبؤ، خاصة فيما يتعلق بالإرهاب والجماعات. المعلوم أيضا أنّ هنالك إجماع بين الخبراء بأنه على مدى عشرين سنة منذ 11/سبتمبر حتى الآن أنّ التنبؤات كانت تفشل. دائماً كان يعلن عن هزيمة الجهادية العالمية، بالمقابل نشاهد هنالك حالة من الصعود بشكل كبير لا يمكن القارنة بين تنظيم القاعدة في أفغانستان بعد 11 سبتمبر بما عليه القاعدة وتنظيم الدولة الآن. كان عبارة عن مجموعة من تنظيم نخبوي -القاعدة- موجود تحت رعاية الإمارة الاسلامية لطالبان، ونفذت هجمات خارجية ثم تشتت، لكن نعلم القصة كيف أصبحت لاحقاً.

أصبحت الآن الجهادية العالمية منتشرة وتوزعت بين مدارس عديدة، مدرسة يقودها تنظيم القاعدة ومدرسة يقودها تنظيم الدولة، وهنالك مدارس جهادية محلية متعددة منها حركة طالبان وهيئة تحرير الشام وغيرها من الحركات. وبالتالي، المشكلة دائماً من البداية كما أتفق والصديق محمد أبورمان، حيث كتبنا كتب ومقالات مرات عديدة حول الأسباب والشروط والظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تؤدي دائماً إلى بروز هذا التنظيم؛ لأنّ هذه التنظيمات في النهاية تحتاج إلى ايديولوجيا،

هذه الايديولوجيا تستند إلى وقائع مادية مرتبطة بالمظالم السياسية والاجتماعية والاقتصادية وهنالك البُعد المالي (التمويل) وهنالك بُعد القيادات وهذه كلها مازالت متوفرة للتنظيمات. والرهانات المتغيرة دائماً، رأينا الطفرة التي أحدثها تنظيم الدولة عام 2014 في السيطرة بسهولة على مناطق واسعة في العراق وسورية، ولكن كان هنالك فشل في الأنظمة المحلية في التصدي حتى على الصعيد الأمني والعسكري، وكانت هنالك المساعدات الخارجية بقيادة الولايات المتحدة الأميركية كان عاملاً حاسماً. نرى أنّ هنالك توجهات استراتيجية لدى الولايات المتحدة الأميركية وكذلك أوروبا باتجاه التنافس، يعني تغيرت الأولويات. بايدن ومن قبله يتحدثون عن نهاية الحروب الأبدية لأنه بعد 11/سبتمبر طرحت مسألة الحروب المفتوحة في الزمان والمكان وما أطلق عنها حروب لا نهاية ومنها حروب الإرهاب فبالتالي ستستمر. كذلك فإنّ بلينكن تحدث في الكونغرس عن عصر انتهاء الحروب الأبدية وطرح بايدن هذه الفكرة وبالتالي أعلن انسحابه من افغانستان، وهذا الانسحاب وصف داخل الولايات المتحدة بالكارثي لأنه في النهاية ستعود حركة طالبان وبالتالي بقية المنظمات الموجودة.

استراتيجية الدفاع الوطني 2018 واستراتيجية الأمن القومي تقول بأن الأولوية الآن للنزاعات الدولية والتفرغ للتنافس مع الصين وروسيا، ثانياً مواجهة تداعيات الجائحة اقتصاديًّا وصحيًّا، ثالثًا الإرهاب. وبالتالي، انسحاب الولايات المتحدة الأميركية لها دور حاسم بانكفاء التنظيم في معظم المناطق سيتراجع، وهذا ما سيطرح فسحة.

الأمور الكارثية تحديدا في العراق، كما ذكر الضيوف عن الوضع العراقي كمركز لتنظيم الدولة، فالوضع الآن أسوأ. كانت إحدى الحجج الكبيرة عندما تمكن الجنرال ديفيد باتريوس عندما وضع استراتيجية مكافحة التمرد واستطاع أن يجند ما يسمى الصحوات سواء صحوات الفصائل أو صحوات العشائر، إذ كانت إحدى الذرائع الأساسية لتشكيلها أن يُعطى دور للسنة في النظام السياسي وبالتالي في مواجهة إيران.

الآن بعد كل ما حدث فإنّ إيران تتمدد والمليشيات التي تسمى بالولائية (تدين بالولاء لولاية الفقيه) التابعة للحشد الشعبي، تعد القسم الأكبر والأكثر نشاطاً، وهذا يتمدد بالتالي بشكل أو بآخر وملاحظ في ممارسته الكارثية داخل العراق لدرجة أنّ هنالك انتفاضات من قبل المكوّن الشيعي على هذا التغول للمليشيات وغياب الدولة. والأهم

بأنّ الحاضنة السنية نتحدث عنها أنها تعلمت، كيف ستتعلم إذا كان مليون ونصف لايزالون نازحين في أماكن كارثية، إذا ما رجعنا لكل التقارير الدولية مثل هيومن رايتس ووتش ومنظمة العفو الدولية، فضلاً عن أكثر من 100 ألف ما يسمى عوائل داعش، أو فضلاً عن 40 ألف في السجون؟ لا يوجد هنالك أية برامج حقيقة لإعادة الاعمار أو إعادة إدماجهم. ثم إنّ المكون السني قد تهدم، يعني حتى بالفترة السابقة كان يوجد بعض الهياكل والأحزاب سنية قوية، الآن تراجعت هذه الاحزاب، فالمعلوم منذ البداية أنّ هذا التنظيم انعكاس للأزمة السنية التي تولدت منذ الاحتلال الأميركي وتغولت هذه المشكلة بالإضافة إلى تراجع مدخولات النفط وقضية الفساد والمشكلات الاقتصادية والظرف الاستراتيجي والتداخلات الاقليمية. أنّ مصدر قوة تنظيم داعش ليست قدراته الذاتية، بل قدراته الموضوعية، أنّ هنالك ظرف موضوعي كان دائماً يخلق لهذا التنظيم ظروفا وبالتالي تمكنه من عملية الاستقطاب والتجنيد والعودة بقوة. هذه الظروف تزداد في سورية تحديدا وبالنظر إلى نشاط التنظيم في أفريقيا سنجد ظروف متعددة كثيرة، نفس المظالم والمشكلات الايديولوجية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، لكنّ المعضلة الأساسية أنّ هذه الأنظمة لا توجد لديها الكفاءة وتتمتع بحالة من الفساد وتقع في قائمة الحد الأدنى من مؤشرات الفساد، وبالتالي كل الظروف ترشح عودة التنظيم، بمعنى كل الخبراء يذكرون بأنّ ما حُقق ضد تنظيم الدولة والجهادية العالمية بأنه نجاح تكتيكي وليس انتصار استراتيجي. هذه هي النقطة المفتاح في فهم هذه الجماعات لأنّ هذه الجماعات في النهاية تعيش –ما قبل الدعاية- على قضايا متجذرة في هذه المجتمعات وخصوصاً العربية التي تعاني من غياب العدالة والديمقراطية وتغوّل السلطوية وعلى الفشل المستدام وبالتالي كانت دائماً تعتمد حتى في مواجهة هذه التنظيمات على القوى الخارجية وخصوصاً الولايات المتحدة الأميركية في حال كما نرى الآن الأولويات الاستراتيجية والجيوسياسية تتبدل، فبطبيعة الحال باعتقادي أن تنظيم الدولة سوف يجد له مكاناً جيداً في المنطقة.

يوسف إبراهيم:

لا أتحدث هنا كباحث، ولكن كشخص عمل في العراق، أود أن التركيز على موضوع الحاضنة العراقية. إنّ الموضوع أعمق من فكرة المظلمة؛ التغلغل الإيراني الموجود الآن في المناطق السنية أعتقد بأنه بموازاة التغلغل الشيعي، وحتى أيضا الأمور العشائرية

في المناطق السنية تلعب دوراً كبيراً جدًّا في موضوع الولاءات والمنافع، لذلك أتوقع أنّ الحاضنة السنية في العراق تحتاج بحد ذاتها دراسة معمقة حتى نصل إلى نتيجة هل لداعش وأخواتها دور في المستقبل أم لا؟

ماهر فرغلي

يجب أن نتذكر موضوع السجناء والموجودين في المخيمات كمخيم الهول والأطفال ونساء التنظيم الذين مازالوا محتجزين في أماكن ومعسكرات الاحتجاز، وتأثير أهوال فترة الحرب وفترة تمكن التنظيم على هؤلاء وعودتهم في حال اخلاء سبيلهم وتأثير ذلك على مدى قدرة التنظيم، هذا من الناحية الاولى. من الناحية الثانية، ذكر المتحدث موضوع أفرع التنظيم وزيادة حجمها، فعلاً تأثير حلحلة بعض الأمور في بعض المناطق في ليبيا ما هو تأثيرها على التنظيم في الوقت الحالي؟

يجب أن ندرس ذلك، لأن هذا سيؤثر على مستقبل التنظيم، خاصة مع العائدين من أماكن التوتر كالعراق وسورية وهم يحملون نفس الافكار، فما تأثير ذلك فيما بعد؟

تعقيبات

د محمد العظامات

بالنسبة لسؤال الباحث الأرجنتيني جودور حول جهود مكافحة الارهاب سواء من قبل الجيش العراقي أو الجيش السوري، فبالتأكيد حاليًا ظروف الجيش العراقي أو الجيش السوري لا تسمح بالتنسيق المطلق بينهما.

برأيي أنه من المرجح إذا أخذنا مثلاً سيناريو تواجد داعش واتخاذه مواقع في المنطقة الحدودية ما بين سورية والعراق، فمن الممكن أنّ لكلا الجيشين أن ينفذ العمليات العسكرية المحدودة، خصوصاً الجيش العراقي والمليشيات المساندة للجيش العراقي. أما بالنسبة للجيش السوري فيبقى الاحتمال بعيد قليلاً؛ لأنه منشغل الآن في المناطق الأكثر استراتيجية في شمال سورية ومناطق ادلب والحدود مع تركيا، وما إلى ذلك. المشكلة الحقيقية تكمن في أننا لو قمنا بالذهاب خطوة إلى المستقبل وتحسنت الأوضاع في العراق أو سورية فإنّ هزيمة التنظيم لن تعتمد فقط على قوة الجيشين العراقي أو السوري ومقدرتهما، بقدر ما أنها مسألة تنسيق مطلق ومحترف، بحيث أنّ مقاتلين داعش فيما لو تواجدوا في الأراضي العراقية وتعرضوا لضغط عسكري، من السهل العبور إلى الأراضي السورية والعكس صحيح. فلا بد حتى يستطيع كلا الجيشين القضاء على آخر جيوب داعش في هذه المناطق الحدودية أن يكون هنالك تنسيق أمني وعسكري احترافي، فهذه المناطق كبيرة وشاسعة جدًّا وتؤمّن التخفي والتستر والكثير من الظروف التي تساعد على حروب الكر والفر، بمعنى هذه المساحات أكثر ملائمة لتنظيم داعش من الجيوش النظامية.

أما المداخلات التي تحدث بها الزملاء الباحثون العراقيون، كلّ من الدكتور مؤيد والدكتور علي الطاهر، فقد فهمنا منهم أن الاحتمال مازال موجود لظهور نسخ جديدة من التنظيمات خاصة التنظيمات السنيّة لمقاومة الوضع الحالي، بمعنى الأعداء كثر في العراق وسورية، لا نتحدث عن غزو أميركي الآن يعني هنالك قوى سياسية وقوى أخرى يمكن أن تكون عدو محتمل ويضطهد المكون السني.

ردًّا على مداخلة الدكتور ابو رمان، وفرضيته التي تقوم على أنّه من المستحيل أن يقوم المكون السني بتأسيس حركات على غرار تنظيم داعش، وهنا أيضا أعود للسياق

التاريخي فحركات الصحوات السنية والمدعومة من العشائر السنية، واستنادا إلى تحليلات الباحثين أبورمان وأبوهنية، بأنّ التنظيم وصل إلى حينها إلى مرحلة التلاشي، كاد تنظيم الدولة الإسلامية في العراق بعد حلف (المطيبين) وما بعد مجلس الشورى أن يتلاشى نهائيًّا وكان نصراً، لكن لا أقول أنهم صعدوا مرة اخرى بقوة ايديولوجيتهم وفهم الاوضاع الجيوسياسية لكن سياسات المالكي التي تلت الانتصار على هذه الجماعات الجهادية في المثلث السني العراقي في التعامل مع الصحوات ورفضه تجنيدهم بشكل نظامي في القوات المسلحة العراقية وبشكل أو بآخر أدار لهم ظهره ومنع أن يكون لهم أي وجود، على الفور تحول المقاتلون -الذين كانت تسميهم داعش التائبين- من صفوف الصحوات لمقاتلة داعش إلى صالح التنظيم، وبالتالي ظهر التنظيم بشكل أكبر وأكثر. حقيقة أنا اتفق معكم في وجوب فهم السياق الاقتصادي والاجتماعي والجيوسياسي في المنطقة السنية السورية والعراقية حتى نفهم جدية وواقعية احتمال أن يظهر التنظيم مرة أخرى أو ظهور نسخ اخرى.

د محمد أبورمان

هناك فرضية مهمة مرتبطة بحالة تنظيم داعش في العراق تحديداً -وممكن الحديث عن سورية لاحقا-. والسؤال هو حول العلاقة مع الحاضنة السنية، ذهب دكتور علي طاهر إلى القول إن الحاضنة السنية لم تعد قائمة، وأنّ الفجوات التي كانت قائمة نفسيًّا بين المكون السني والشيعي لم تعد قائمة، المبررات الايديولوجية للتنظيم بأنه يدافع عن السنة لم تعد مبررة، وبالتالي توقعات د. علي أن الافاق القادمة للتنظيم محدودة في علاقته بالحاضنة السنية.

أما دكتور مؤيد، قال نعم الحاضنة السنية لم تعد متاحة للتنظيم، ولكن الظروف السياسية لم تتغير وبالتالي الحاضنة السنية ممكن أن تتوافر لتنظيم آخر غير تنظيم داعش ويمكن لمنظمات أخرى تستثمر لما يسمى بـ (المظلمة السنية). الأستاذ حسن ابو هنية يرى بأنّ الحاضنة السنية ماتزال ممكنة للتنظيم في المرحلة المقبلة، وطرح نقاطاً مهمة من بين هذه النقاط، أنّ المجتمع السني قد تكسّر في العراق، هنالك آلاف المهجرين والمعتقلين ومظالم عديدة وبالتالي هذه بحد ذاتها كفيلة بأن تخلق حاضنة سنية للتنظيم، حتى لو كانت هذه الحاضنة من المهمشين، ولكن التنظيم يستطيع أن

يخاطب المهمشين عادةً. يعرف جيداً كيف يعزف على لحن المهمشين.

أرى أنّ ما ذكره دكتور محمد العظامات فترة من ضعف التنظيم 2007 و2008 وعودته لاحقاً هذا بتقديري لن يتكرر؛ لأنّ المجتمع السني أعطى التنظيم فرصة أخرى ولاحظنا كيف في الربيع العربي أتاح المجتمع السني المجال للتنظيم، حتى العديد من السنّة هنالك عملوا على تسهيل الطريق وتعبيدها للتنظيم. لكن أرى أنّ ايديولوجيا التنظيم تحمل جذور فنائها في ذاتها، ولا يمكن للمجتمع السني أن يغامر مرة أخرى بالتعامل مع هذا التنظيم أو اعطاؤه نفس الرصيد، من الممكن أن يعطي السنة للتنظيم نفس القوة ويتغذى على أزمة المجتمع السني، نعم. لكن أن يجد حاضنة سنية بالمعنى الذي وجده في المرحلة السابقة، لا أتصور أنّ السنة سيقومون بذلك، إلا إذا وصلوا الى مرحلة عدمية ولا يوجد لهم أي أمل في المستقبل وبالتالي قالوا ما لنا الا التنظيم في مواجهة النفوذ الايراني.

أعود لأقول أنّ هذه السيناريوهات أو هذه الفرضية ترتبط بدرجة رئيسية بالوضع السياسي، يعني إذا كان السيناريو الذي توقعه حسن ابو هنية بأنّ النفوذ الايراني سيزداد بقوة في الفترة القادمة وسنصل إلى مرحلة مشابهة لحزب الله في لبنان يمسك بكل مقاليد الأمور ونفوذه المحلي مع نفوذه الإقليمي بالتالي لن يترك إلا للطرف الآخر العمل العسكري. لكن طالما أن هنالك عملية سياسية، طالما هنالك محاولات، أنا أعتقد أن السنة إذا بقيت لهم آمال في المستقبل فلن يسلموا رقبتهم لتنظيم داعش مرة أخرى.

الوضع في سورية يختلف، في سورية المسألة ليست تنظيم داعش، هو في شرق الفرات قوي لأنه لا يوجد نظام سوري لأنّ هنالك حالة فراغ استراتيجي. الطرف القوي في سورية اليوم هو هيئة تحرير الشام النسخة التي انفصلت عن القاعدة وارتبطت أيضا بإدلب وبالتوازنات الجيوستراتيجية، فبالتالي ما أريد أن أقوله إن الظروف الداخل لكل دولة دائماً تخلق وتحدد مدى قوة وضعف أي تنظيم، في العراق تعرقل تنظيم داعش وطبيعة قيادته عراقية، في سورية جبهة النصرة أو هيئة تحرير الشام نتيجة الظروف المحلية والاقليمية اضطرت لتنفصل عن تنظيم القاعدة وتستقل، ولكنها اليوم تقوم على حالة ادلب والتي تخضع لتوازنات اقليمية ودولية. حراس الدين الذي يمثل القاعدة في سورية اعتقد انه ضعيف ولا امل له في المستقبل في ضوء المحددات الحالة، وأنجزت

مع حسن كتاباً عن صعود وأفول القاعدة في بلاد المشرق العربي وركزنا فيه عن تنظيم حراس الدين، فقط هذه الملاحظات التي أحببت أن أشير إليها.

الفصل الثالث

داعش آليات التكيّف العسكري والاستراتيجي في مرحلة «ما بعد الخلافة»

يناقش هذا الفصل التحولات الاستراتيجية والفكرية والعسكرية التي حدثت مع تنظيم داعش في مرحلة ما بعد سقوط دولته في العراق وسورية وتأثير ذلك على باقي فروع التنظيم في مختلف مناطق العالم، ويطرح السؤال: فيما إذا كان انهيار التنظيم عسكرياً في عاصمته وموطنه سيؤدي إلى نهايته عالمياً؟! وفي ضعف الفروع والجماعات المحلية المنتشرة هنا وهناك التي أعلنت البيعة له وتسير على نهجه؟ ويبحث الخبراء – هنا- أيضاً في الآليات التي يستخدمها التنظيم في التكيف مع المرحلة الراهنة؟ ويتجادلون في مآلات العديد من الظواهر الأمنية العالمية التي ارتبطت بالتنظيم، مثل الذئاب المنفردة، بخاصة في أوربا والولايات المتحدة الأميركية والعديد من دول العالم، وفي مصير التحولات التي حدثت على يد التنظيم، مثل التجنيد الالكتروني والهجرات الجماعية للشباب لمناطق يسيطر عليها التنظيم والجماعات الموالية له.

يناقش أستاذ التاريخ في جامعة ماساتشوستس، براين وليام، تطور التنظيم منذ مرحلة الخلافة، مروراً بمقتل قيادته، وصولاً إلى مرحلة ما بعد الخلافة، والعوامل والشروط التي تؤثر على فعالية التنظيم وقدراته وتأثير مقتل الخليفة على التنظيم وصورته الرمزية ورسالته السياسية والإعلامية.

ثم يحلل الباحثون والخبراء، في تعقيبهم على ورقة وليام، حالة التنظيم في كثير من المناطق، بخاصة في القارة السوداء – أفريقيا- التي تشهد صعوداً للجماعات المحلية المرتبطة بالتنظيم، ويتجادلون في الشروط والأسباب التي تؤدي إلى صعوده وهبوطه، والآفاق المستقبلية له في موطنه الأصلي وفي المناطق التي ينتشر فيها الأتباع..

داعش في ساحة المعركة ما بعد الخلافة
من رايات الفتح إلى التمرد الأزلي

براين غلين ويليامز

- 1 -

إعادة تنظيم الصفوف:
محاربو الصحراء الصامدون يعيدون تشكيل قواتهم

«يحبون خوض المعارك في الصحراء، وسوف يعودون إلى أساليبهم القديمة».

ناشط سوري من محافظة دير الزور الصحراوية متحدثًا عن مقاتلي داعش الذين يتمتعون بقدرة صمود وتكيف عالية.

حصونٌ في الأراضي المقفرة

ترامي بادية الشام (الصحراء السورية) وجبال حمرين في العراق على مساحات شاسعة

على الرغم من نشوة النصر المغالية التي جاهر بها القادة الأميركيون والإيرانيون والروسيون والسوريون والعراقيون الذين قادوا بلادهم إلى الحرب ضد الإرهابيين، احتفالاً بهلاك داعش المزعوم، قدّر البنتاغون في العام 2019 أن هذا التنظيم الإرهابي، الذي يتمتع بقدرة صمود مفاجئة، لا يزال يضم في عديده ما يصل إلى 30 ألف مقاتل من الأشداء في ما يسمّى «سوراق» (أي سورية والعراق)، وقد عاد إلى أصله كتنظيم متمرد فدائي قاتل[103]. ربما في هذه الأرقام شيءٌ من المبالغة، لكن حقبة ما بعد الخلافة شاهدة

103 «تقرير المفتش العام الرئيسي إلى الكونغرس الأميركي. عمليات الطوارئ في الخارج» Lead Inspector General Report to the United States Congress. Overseas Contingency Operations.Mediadefense.gov. . 1 نيسان/أبريل 2018 - 30 حزيران/يونيو 2018. https://cutt.ly/pRFUR6V

على وجود عشرات الآلاف من مقاتلي داعش الملتزمين والناشطين في صحراء «سوراق»، ممّن يضمرون كراهية عميقة ويشعرون بتفانٍ عميق لقضية لم يعتبروها خاسرة على الإطلاق.

مع انهيار دولة الخلافة بوتيرة بطيئة، عمد قادة داعش بشكل ممنهج على وضع الخطط للحالات الطارئة بنيّة إرسال المقاتلين إلى المناطق النائية وإخفاء مخابئ الأسلحة وصرف ما يصل إلى 400 مليون دولار والاستعداد لإعادة تنظيم صفوف داعش كقوة مهيأة لحرب العصابات. بعبارات أخرى، انتقل هؤلاء بشكل منهجي من حكم دولةٍ تضم الملايين إلى شنّ حرب عصابات غير متكافئة من النوع الذي شنّوه منذ إطاحة الولايات المتحدة بالنظام البعثي العراقي ذي الهيمنة السنية عام 2003. وفي أيلول/سبتمبر 2018، وصف متحدثٌ باسم البنتاغون داعش بـ«العدو العنيد» عند الكلام عن إعلان داعش عن شهيتها المستمرة للقتال، محذّرًا: «سأكون واضحًا وأقول إن داعش لم تُهزم بعد. ومع أنها في آخر لحظات طموحاتها الشريرة، إلا أنها ما زالت مستمرة»[104]. وفي أيار/مايو 2019، وصف جنرال بريطاني في التحالف ضد داعش طبيعة حرب الاستنزاف الجديدة التي تخوضها داعش بعبارات قاتمة حيث قال:

> «تعمل داعش على إعادة تنظيم صفوفها على هيئة شبكة من الخلايا، مصممةً على استهداف كبار القيادات ومشايخ القرى والعسكريين بهدف ضرب الأمن والاستقرار في العراق وسورية. ما زال مقاتلو داعش ينصبون الكمائن للدوريات الأمنية ويفجّرون [العبوات الناسفة اليدوية الصنع] ويخطفون. وبالرغم من الانتكاسات التي مني بها التنظيم من حيث سيطرته على الأراضي، لا يزال يحقق الانتصارات، ولا تزال عقيدته تلهم الناس من مختلف أنحاء العالم.»[105]

جاء في «تقييم التهديدات العالمية» المقلق الذي أصدرته وكالات الاستخبارات الأميركية الستة عشر في كانون الثاني/يناير 2019، أن «داعش لا تزال تسيطر على آلاف المقاتلين في العراق وسورية، ولها ثمانية فروع وأكثر من اثنتي عشرة شبكة وآلاف

104 جلسة صحفية بين قوة المهام المشتركة وعملية العزم مع العقيد رايان عبر مؤتمر هاتفي من بغداد في العراق» Combined Joint Task Force-Operation Inherent Resolve Press Briefing By Col. Ryan via Teleconference from Baghdad, Iraq. وزارة الدفاع الأميركية. 2 أيلول/سبتمبر 2018.

105 «الآلاف من مقاتلي داعش يقبعون غير مهزومين في خلايا سرية، باعتراف أحد جنرالات التحالف» Thousands of ISIS fighters remain undefeated in underground cells, coalition general admit. واشنطن إكزامينر Washington Examiner. 15 أيار/مايو 2019.

المناصرين المنتشرين حول العالم، بالرغم من الخسائر الفادحة التي تكبّدتها على صعيد القيادات والأراضي»[106]. وقد أيّدت الأمم المتحدة البنتاغون في تقديره عدد مقاتلي داعش المتبقين في الأراضي الأساسية من العراق وسورية بثلاثين ألفًا ووجدت أن «فروع» داعش في أفغانستان وليبيا وسيناء تضم أيضًا 4 آلاف و3 آلاف وألف مقاتل متشدد على التوالي.

حافظت ولاية داعش الأفغانية على قوتها الفتاكة بشكل خاص حيث نفّذت موجة من التفجيرات الانتحارية الضخمة في كابول وشرق أفغانستان بين عامَي 2018 و2020، مستهدفةً في الغالب شيعة الهزارة المغول. ولما كنت أنا نفسي قد أمضيت بعض الوقت في موطن الهزارة الشاسع في جبال هندو كوش النائية المعروفة باسم هزاره جات، حدّثني أحد أصدقائي الكتّاب من الهزارة ويدعى جافد رضائي، عن رعب أكثر هجوم تفجيري مقزز لداعش، وكان عبارة عن مذبحة عبثية ذهب ضحيتها ثمانون شخصًا من شعبه في حفل زفاف خلال آب/أغسطس 2019، قارنّاها في مقال مشترك بمذبحة «الزفاف الأحمر» الشائنة التي صُوّرت في إحدى حلقات المسلسل التلفزيوني الشهير «صراع العروش». ويقول رضائي:

فجّر الانتحاري قنبلته وسط الجموع أمام الفرقة الموسيقية. كانت المذبحة عديمة الرحمة بقدر ما كانت عديمة المعنى. لم يكن بين الجمع أي جنود، بل كانا مجرد طفلين سعيدين مع عائلتيهما اللتين حلمتا بمستقبل معًا، وصادف أنهم من الطائفة الشيعية بدلاً من السنية. لهذا حُكم عليهم بالموت. شعرت بقلبي يعتصر من مشهد القبور الجماعية لقتلى هذه الفظاعة الدموية، وصُور أخت العروس المقتولة وهي تُدفن في زي زفافها التقليدي الملطخ بالدماء، ونحيب الأهل والأصدقاء وأفراد العائلة والمحبّين الذين دفنوا الكثير من الأبرياء. أولئك الذين ارتكبوا هذا العمل ليسوا رجالًا، فالرجال لديهم أرواح ... مخلوقات داعش تلك لا أرواح لها، إنهم شياطين.[107]

كانت الآمال معقودة بأن تتمكن حملة الهجوم، التي نُفّذت بين 2015 و2019 في ولاية ننغرهار الجبلية النائية في أفغانستان، من هزيمة هذا الفرع الإجرامي القاتل،

106 «التهديدات العالمية من المجتمع الاستخباراتي الأميركي» "World Wide Threat of the US Intelligence Community."DNI.gov. . 29 كانون الثاني/يناير 2019. https://cutt.ly/iRFOphb

107 «مذبحة زفاف حمراء حقيقية تدحض ادعاء ترامب بأنه «أباد» داعش» "A Real Red Wedding Massacre Puts Lie to Trump›s Claim That he «Obliterated» ISIS". شبكة هيستوري نيوز نتورك History News Network. 15 كانون الأول/ديسمبر 2019

الذي وصفه لي النائب الفعلي للرئيس الأفغاني، الرئيس التنفيذي عبد الله عبد الله، بأنه «أسوأ بكثير من طالبان، لأنه خارج عن المعقول ولا يمكن التفاوض معه». ولكن بالرغم من استخدام أكبر قنبلة غير نووية في أميركا، هي قنبلة الانفجار الهوائي الهائل (MOAB) (أو كما تُعرف بالعامية «أُمّ القنابل»)، على معقلٍ لداعش في الجبال الشرقية، نجا التنظيم. وقد حذّر قائد الحملة الأفغانية الجنرال أوستن ميلر قائلاً: «يمكن الاسترشاد بما حدث في العراق وسورية - عندما تأخذ منهم مساحات كبيرة من الأراضي، ينتقلون إلى خلايا أصغر ويظهرون فجأة في أماكن غريبة»[108]. وبالرغم من الانتكاسات، على غرار خسارة المئات من مقاتلي التنظيم في الجبال النائية شرق أفغانستان بحلول عام 2019 أو الاستسلام الجماعي لعناصر داعش الأوزبكيين في الصحاري الأفغانية الشمالية، لم تبدر عن تنظيم داعش الأساسي في الشرق الأوسط، ولا فروعه القاتلة في منطقة الساحل الأفريقي (دول جنوب الصحراء) والصحراء الكبرى وأفغانستان ونيجيريا وسيناء وميندناو الفلبينية وليبيا، أي دلالة على نية إنهاء حملات الرعب الفدائية التي تشنها ما بعد سقوط دولة الخلافة.

وأكثر ما يبعث على القلق هو أن داعش، في الأرض حيث نشأت وتطورت ودمّرت وأعادت تنظيم نفسها، كانت قد أنشأت بحلول العام 2019 قواعد احتياطية لها في الجبال شمال شرق العراق. ففي محافظات نينوى وديالى وصلاح الدين وكركوك الشمالية العراقية ذات الأكثرية السنية، بدأ مقاتلو التنظيم غير المهزومين بتجنيد أتباع جدد من الطائفة السنية ممن كانوا مستائين من قمع الميليشيات الشيعية العراقية المنتصرة المدعومة من إيران. في هذه المنطقة المحرومة اقتصاديًا التي دمرتها الحرب، نفّذ عناصر داعش أيضًا هجمات إرهابية واسعة النطاق بواسطة الخلايا النائمة. وتضمنت أعمالهم المتمردة شمالي العراق القتلَ الممنهج للمختارين الموالين للحكومة، والتفجيرات الضخمة بالسيارات المفخخة، ونصب الكمائن للميليشيات الشيعية، وارتداء زي القوات الحكومية عند نقاط تفتيش وهمية وإعدام موظفي الحكومة أو المتعاطفين المشتبه بهم الذين كانوا يتوقفون عند تلك النقاط. وفي صيف 2019، قام مقاتلو داعش أيضًا بإحراق محاصيل أعدائهم في شمال العراق. وفيما كانت مئات الهكتارات من حقول

108 مقابلة لمؤسسة أميركا الجديدة. العاصمة واشنطن. 13 تشرين الثاني/نوفمبر 2018. «داعش تخسر أراضيها، لكن هذا لا يعني شيئًا لضحاياها» "ISIS is Losing its Territory. The Means Little to its Victims". نيويورك تايمز. 1 كانون الأول/ديسمبر 2019.

القمح تشتعل على مدى أيام، شمتت داعش بما حدث في مجلتها الإلكترونية «النبأ» قائلة: «يبدو أنه سيكون صيفًا ساخنًا سيحرق جيوب الروافض والمرتدين إضافةً إلى حرق قلوبهم وأفئدتهم طالما أحرقوا المسلمين وديارهم ومنازلهم على مدار السنوات الماضية».[109]

شمّروا عن سواعدكم وابدؤوا الحصاد
-بارك الله بحصادكم-

جنود الخلافة يحرقون مزارع المرتدين في العراق والشام

صورة لمحاصيل مشتعلة في العراق على مجلة النبأ التابعة لداعش

في سورية، انخرط مقاتلو داعش الصامدون في أعمال تمرد مختلفة، منها سحق قوافل الحرس الثوري الإيراني الموالية لنظام الأسد، وذبح القرويين من الأقلية الدرزية الموالين للحكومة، ومهاجمة المراكز العسكرية السورية، ونصب الكمائن للجيش العربي السوري والقوات المتحالفة مع إيران، وتنفيذ التفجيرات الانتحارية ضد مقاتلي قوات سورية الديمقراطية (قسد) التي يقودها الأكراد، وقتل عناصر الأسايش (المخابرات) الأكراد بالعبوات الناسفة. وحين أعطى ترامب موافقته المخيفة في 6 تشرين الأول/أكتوبر 2019 على الغزو التركي لأراضي أعداء داعش الألداء من الأكراد السوريين في النظام الاتحادي الديمقراطي لشمال سورية، رأى فيها التنظيم هبة من السماء.

فقد استغل مقاتلو داعش الفوضى التي أحاطت بالغزو التركي من قبل القوات العربية والتركمانية الجهادية العاملة بالوكالة عن تركيا، والتي اشتملت على أعضاء سابقين من داعش، من أجل تنفيذ هجمات إرهابية مميتة.[110] وقبل ثلاثة أيام من الغزو التركي، الذي سُمّي تسمية رديئة هي «عملية نبع السلام»، لمعقل الأكراد الهش والمتعدد الأعراق في شمال سورية خلال خريف 2019، سارع ترامب إلى إعطاء الأمر لقوة «البصمة الخفيفة» من القوات الخاصة الأميركية بالانسحاب من سلسلة قواعدها ومطاراتها في شمال سورية.

109 «بقايا داعش تحرق الحقول عمدًا في العراق وسورية وتفاقم المأساة» "Deliberate Crop Burning by ISIS Remnants in Iraq and Syria Compounds Misery". سي بي أس نيوز. 20 أيار/مايو 2019.

110 «هل تؤجج تركيا جهادًا جديدًا في شمال شرق سورية؟» "Is Turkey Fueling a New Jihad in Northeast Syria?". موقع «الأمن القومي» الإلكتروني Homeland Security. 11 تشرين الثاني/نوفمبر 2019.

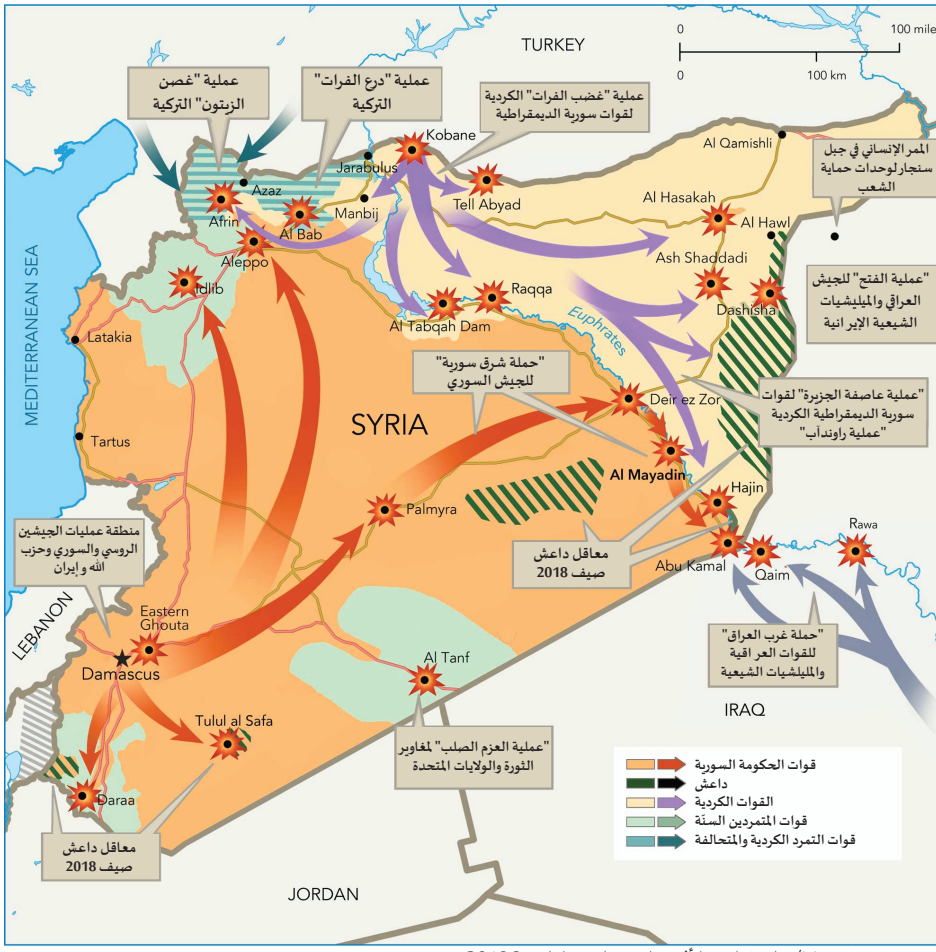

Mappingisis.com/جان فرانسوا ألو وبارين غلين ويليامز ©2018

بيد أن هذا القرار الذي أدانه المجتمع الدولي والحزبان الديمقراطي والجمهوري على حدٍ سواء، أثار الفوضى في أراضٍ كانت يومًا تحظى بحماية القوى الديمقراطية الكردية السورية المحلية التي كانت تعمل مع الأميركيين – الذين يهمّون الآن بالرحيل - لهزيمة داعش وحراسة ما يقدَّر بحوالي 12000 مقاتل من داعش وسبعين ألفًا آخرين من أنصار داعش المحتجزين في معسكرات مخصصة لأسرى الحرب. وحتى السيناتور الجمهوري ليندسي غراهام، الذي يعدّ من أشد المؤيدين لترامب، تخوّف من أن يؤدي تخلّي ترامب المتسرع عن قواعد أميركا الاستراتيجية في شمال سورية وحلفائها الأكراد

السوريين المخلصين إلى بثّ روح جديدة في تمرد داعش الذي لا يزال بعيدًا عن الهزيمة، فقال:

«هذا القرار المتهور التي اتخذه الرئيس قضى على كل المكاسب التي حققناها ورمى المنطقة في حالة فوضى أكبر. إيران تترقب بفارغ الصبر، ولو كنت مقاتلًا في داعش، لكنت بذلك حصلت على فرصة ثانية... وإلى الذين يعتقدون أن داعش هُزِمت، أقول ستعرفون قريبًا». [111]

وبعد شهر، صدر عن البنتاغون تقرير المفتش العام الرئيسي حول عملية العزم الصلب، مؤكدًا أن مخاوف الجمهوريين من إعادة تنظيم صفوف داعش في سورية بعد انسحاب الولايات المتحدة لم تكن في غير محلها. فقد أفاد هذا التقرير الصارخ أن أوامر ترامب المسببة للفوضى بسحب القوات في تشرين الأول/أكتوبر 2019 بثّت حياة جديدة في تنظيم داعش. وقد استخدم هذا التقرير المقلق للبنتاغون تحذيرًا حاد اللهجة جاء فيه:

أفادت وكالة استخبارات الدفاع إلى مكتب المفتش العام في وزارة الدفاع أنه، وفقًا لمصادر مفتوحة، استغلت داعش الاجتياح التركي وانسحاب القوات الأميركية اللاحق لتعيد تنظيم إمكاناتها ومواردها داخل سورية وتعزيز قدرتها على التخطيط للهجمات في الخارج. ومع تضاؤل عمليات قوات سورية الديمقراطية والتحالف ضد داعش في سورية، حذرت الوكالات العسكرية والاستخباراتية والدبلوماسية الأميركية من إمكانية أن تستغل داعش هذا التراجع في ضغوط مكافحة الإرهاب لإعادة تنظيم عملياتها في سورية. وقالت وكالة استخبارات الدفاع إن الحد من ضغوط مكافحة الإرهاب «سيمنح التنظيم الوقت والفسحة اللازمين لتوسيع قدرته على شن الهجمات عبر البلدان ضد الغرب». [112]

ولما كان مقاتلو داعش المتبقّون قد تعلموا من الخطأ الذي كانوا يرتكبونه حين كانوا يجعلون من أنفسهم أهدافًا للقصف المتواصل من طائرات التحالف الروسية

111 «كبار الجمهوريين والديمقراطيين ينددون بانسحاب ترامب المفاجئ من سورية» "Key Republicans, Dems blast Trump's surprise withdrawal from Syria". ديفنس نيوز 7 .Defense News تشرين الأول/أكتوبر 2019.

112 «عملية العزم الصلب. تقرير المفتش العام الرئيسي إلى الكونغرس الأميركي» Operation Inherent Resolve. Lead Inspector General Report to the United States Congress. من 1 تموز/يوليو 2019 إلى 23 تشرين الأول/أكتوبر 2019. يمكن الاطلاع عليه على الرابط التالي: https://cutt.ly/5RFXs8R

والسورية والعراقية والأميركية من خلال زرع الأعلام السوداء لمحاولة الاحتفاظ بمواقع ثابتة والدفاع عن أرض دولة فعلية، أعادوا تنظيم قواتهم على شكل تمرد خفي يعمل وسط الفراغ الذي خلّفه انسحاب ترامب من شمال سورية. وتحت ضغط كثيف من البنتاغون والحزب الجمهوري، تراجع ترامب لاحقًا وسمح لـ«قوة ارتكاز» صغيرة مؤلفة من 500 جندي أميركي بالعودة إلى جزء محدود جدًا من سورية من أجل «حراسة النفط» (على حد قوله). فعملت هذه القوة الصغرى بهدوء مع الأكراد المغدورين في منطقة أصغر بكثير من ذي قبل لقمع داعش، لكن مهمتها قُلّصت إلى حدٍّ كبير، الأمر الذي أفرح داعش.

ريثما وافق ترامب على إعادة قوة أميركية صغيرة إلى سورية «لحراسة النفط» في أواخر العام 2019، كانت داعش قد عاودت الظهور في الأراضي التي غادرتها الولايات المتحدة ضمن أماكن أبعد شمال البلاد وفي المناطق الواقعة جنوب الفرات التي من المفترض أن روسيا والجيش السوري حرّراها من داعش. وأفاد تقرير صادر عن الأمم المتحدة في كانون الثاني/يناير 2020 أن «داعش المتحولة تحررت من مسؤولية الدفاع عن الأراضي فركّزت طاقاتها على مهاجمة قوات الحكومة السورية بدلاً من محاولة إدارة مجموعات كبيرة من السكان».[113]

لم تكن الظروف في العراق أفضل. فأقوى معاقل داعش في دولة العراق المجاورة وُجدت في المرتفعات النائية الوعرة جنوب شرق الموصل في جبال قره جوخ وحمرين ومخمور (انظر أعلاه خريطة هذه الجبال الواقعة جنوب شرق الموصل). وهناك أقام عناصر داعش «دولة جبلية» احتياطية في منطقة قاحلة منسية ما بين الجيش العراقي/الميليشيات الشيعية العراقية المتخاصمة وقوات البشمركة الكردية. ومن هذا الحصن الجبلي، شن تنظيم داعش الهجمات الإرهابية وقتل المتعاطفين مع الحكومة وقصف قواعد الجيش العراقي وزرع الألغام الأرضية، في وقتٍ أجبرت فيه جائحة فيروس كورونا القوات الأميركية خلال ربيع 2020 على ملازمة قواعدها ووقف العمليات المشتركة مع القوات المحلية. فضلاً عن ذلك، نصبت داعش الكمائن للميليشيات الشيعية العراقية

113 رسالة موجهة إلى رئيس مجلس الأمن بتاريخ 20 كانون الثاني/يناير 2020 من رئيس لجنة مجلس الأمن المنشأة عملاً بالقرارات 1267 (1999) و1989 (2011) و2253 (2015) بشأن تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش)، وتنظيم القاعدة، وما يرتبط بهما من أفراد وجماعات ومؤسسات وكيانات. 20 كانون الثاني/يناير 2020. https://undocs.org/S/2020/53

المدعومة من إيران وداهمت منازل «الخونة» لإعدام سكانها الموالين للحكومة، كما وضعت بصبر الخطط الهادفة إلى تجديد نشاط التنظيم في الأرياف، فيما أجبر الرئيس ترامب البنتاغون على سحب القوات من المنطقة التي وصفها هازئًا بأنها مجرد مساحة من «الرمل والموت»[114]. وفي حين أطلقت الحكومة العراقية حملة ضد ما تبقّى من داعش شمال العراق في تموز/يوليو 2019 تحت مسمّى «عملية إرادة النصر»، لم يؤمن أحدٌ في المنطقة أن هذه العملية ستؤدي إلى نصر مدوٍّ أو دائم.

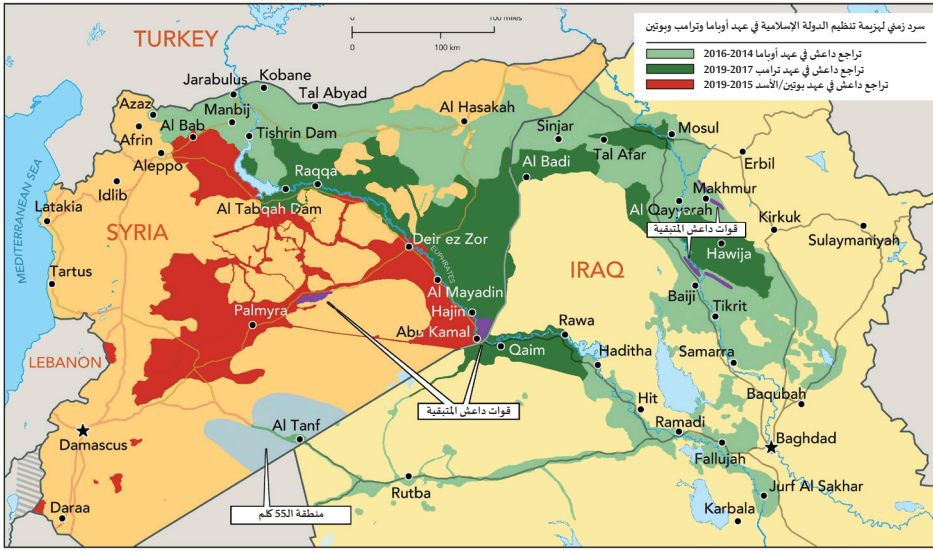

Mappingisis.com/جان فرانسوا ألو ©2019

المصدر: مركز الرصد HIS Conflict، وزارة الدفاع الأميركية

حلقات الإرهاب الداعشي ما زالت ملموسة في الخارج بالرغم من انهيار الخلافة عام 2019

تنامت مشاعر التحفيز والاندفاع لدى أتباع داعش بعد فرار المئات من عناصر التنظيم من معسكرات يحرسها أكراد قوات سورية الديمقراطية في شمال شرق سورية عقب انسحاب الولايات المتحدة من البلاد في خريف 2019 والفوضى التي عمّت نتيجة الغزو التركي الجهادي اللاحق. فالكثيرون من عناصر داعش الأجانب لم يتخلوا مطلقًا

114 «دونالد ترامب يصف سورية بأرض 'الرمال والموت' ويقول «لسنا نتكلم عن ثروة واسعة» Donald Trump Calls Syria 'Sand and Death,' Says 'We're Not Talking About Vast. نيوز ويك. 2 كانون الثاني/يناير 2019.

عن جهادهم بالرغم من انهيار دولتهم الرئيسية في سورية والعراق بين عامَي 2015 و2019. وحتى عندما كانت داعش تحارب دفاعًا عن دولتها المنهارة عامَي 2018 و2019، بقيت تلهم عمليات القتل في الخارج ضد السياح الأميركيين والأوروبيين في أراض بعيدة بُعد جبال الأطلس في المغرب وجبال بامير في طاجيكستان.

إحدى أسوأ حالات الإرهاب التي وقعت في الخارج بعد سقوط دولة الخلافة هي تلك التي حدثت خلال شهر تموز/يوليو 2018 عندما قام مناصرون لداعش في غربي طاجيكستان بدهس مجموعة من سبعة درّاجين متجولين أميركيين وأوروبيين على طريق جبلي. فقتل المعتدون ثلاثة منهم قبل الالتفاف والعودة لطعن الناجين وإطلاق النار عليهم. وفي كانون الأول/ديسمبر 2018، هاج جهاديٌّ فرنسي على سوق لعيد الميلاد في فرنسا وطعن خمسة أشخاص حتى الموت بعد إعلان الولاء لتنظيم داعش. وفي المغرب، في كانون الأول/ديسمبر 2018، قام ثلاثة رجال شامتين من أنصار داعش بتصوير امرأتين إسكندنافيتين مخيّمتين في العشرينات من العمر وهم ينحرون عنقهما ثم يقطعون رأسهما. وسمّى هؤلاء القتلة ضحيتهما الشابتين العزلاوان بـ»الصليبيين» وأعلنوا أن هذا الهجوم هو انتقام لهزائم داعش في سورية. وفي تموز/يوليو 2019، حُكم بالإعدام في المغرب على هؤلاء القتلة الثلاثة المستلهمين من داعش.[115]

غير أن الاعتداء الأكثر دموية الذي أقدمت عليه داعش في الخارج بعد سقوط الخلافة، وقع في سريلانكا يوم عيد الفصح من العام 2019. في ذلك اليوم، قام «فرع ناشئ» محلي غير معروف لداعش، يقوده ابن ملياردير محلي متطرف، بالاعتداء بوحشية على المصلّين المسيحيين في أنحاء مختلفة من الدولة الجزرية. فقد استهدف الإرهابيون «المبتدئون» بالتفجيرات الانتحارية نزلاء الفنادق الفاخرة الواقعة عند شاطئ البحر في العاصمة كولومبو خلال ذروة الفطور، علاوة على المصلّين في عدة كنائس. وقع التفجير الانتحاري الأول في كنيسة القديس أنتوني الكاثوليكية التاريخية في العاصمة، وقضى فيه أكثر من خمسين شخصًا. ثم وقع الانفجار الثاني في كنيسة القديس سيباستيان حيث قتل مئة شخص. وعندما انتهت المذبحة، قُتل 253 شخصًا وجُرح أكثر من 500 على يد الإرهابيين الذين تم تصويرهم سابقًا وهما يبايعون داعش أمام صورة النسر التي يشتهر بها التنظيم.

115 «متنزّهتا المغرب: ثلاثة ينالون عقوبة الإعدام لقتل السائحتين الاسكانديناڤيتين» "Morocco hikers: Three get death penalty for Scandinavian tourist murders"، بي بي سي، 18 تموز/يوليو 2019.

وهلّلت وكالة «أعماق» الإخبارية الإلكترونية التابعة لداعش شامتةً بعمليات القتل التي نفذها الجهاديون السريلانكيون المبتدئون عبر نشر ملصق دموي يظهر فيه البابا وترامب وبوذا وكُتب عليه «ستبكون دمًا يا أعداء الدين، وأول الغيوم ستسقط على أنهار الدم النجس»[116]. كان هذا الهجوم الإرهابي الأكثر دموية لتنظيم داعش في الخارج حتى الآن، ووقوعه بعد سقوط دولة الخلافة الجغرافية أثار المخاوف من أن تكون داعش تشرّع إعلانها العالمي عمّا أسمته «حملة الانتقام لولاية الشام [سورية الكبرى] المباركة».

رغم انخفاض عدد هجمات داعش الإرهابية العالمية وحجمها في عامَي 2018 و2019، إلا أن هذه النزعة -التي أفضل ما يمكن وصفها به هو «الداعشية»- لا تزال فتاكة. فقد تم إلى حدٍّ كبير إسكات آلة داعش الدعائية على الإنترنت في الرقة، والتي كانت يومًا تقدم «التدريب الإلكتروني» للذئاب المنفردة حول كيفية تنفيذ هجمات بسيطة مثل «الحصول على سيارة واستخدامها لدهس الناس»[117]. كما أن مدينة منبج السيئة السمعة في شمال سورية، التي شكلت نقطة انطلاق لمؤامرات داعش الإرهابية في الخارج، سقطت بين أيدي الأكراد السوريين بأمر من البنتاغون. لكن داعش، حتى بعد خسارة دولتها المحفزة على الإرهاب، بقيت تشكل التهديد الإرهابي العالمي الأكبر مع آلافٍ من الأتباع الخاملين والناشطين في جميع أنحاء العالم.[118]

من الأمثلة على مرونة داعش المحبِطة وقدرتها على الانتشار في العالم بعد سقوط الخلافة، ما حدث في سياق المداهمة الإلكترونية التي نفذتها وكالة يوروبول (الشرطة الأوروبية) في 25 تشرين الثاني/نوفمبر 2019، حيث نجحت في إلغاء الآلاف من مواقع داعش على تويتر وفيسبوك ومن الاتصالات عبر تطبيق المراسلة المشفّر تلغرام. وتم الترويج على نطاق واسع لهذا الانتصار في مجال مكافحة الجهاد على الإنترنت، الذي دفع أحد المدعين العامين في الوكالة إلى التصريح أنه «في الوقت الحالي، وعلى حد علمنا، لم يعد تنظيم داعش موجودًا على الإنترنت، وسوف نرى بأي سرعة سوف يستعيدون

116 «أنهار الدماء النجسة» "Rivers of Unclean Blood." ذا سان The Sun. 25 نيسان/أبريل 2019.

117 «لماذا لا يبعث الانحسار الجوهري في إرهاب داعش على الارتياح «"Why a Dramatic Dip in ISIS Terrrorism is Scant Comfort."». نيويورك تايمز. 12 أيلول/سبتمبر 2018.

118 التقرير السابع للأمين العام عن التهديد الذي يشكله تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) للسلام والأمن الدوليين ونطاق الجهود التي تبذلها الأمم المتحدة دعمًا للدول الأعضاء في مكافحة هذا التهديد». U.N.Docs. org. 16 آب/أغسطس 2018. «لماذا لا يبعث الانحسار الجوهري في إرهاب داعش على الارتياح «"Why a Dramatic Dip in ISIS Terrrorism is Scant Comfort."». نيويورك تايمز. 12 أيلول/سبتمبر 2018.

الخدمة، هذا إذا استعادوها»[119]. لكن سرعان ما تبين أن جهاديي داعش الإلكترونيين انتقلوا ببساطة وبشكل جماعي من تلغرام إلى تطبيق روسي يسمّى تام تام. وفي الأسبوع نفسه الذي أعلنت فيه يوروبول أنه «لم يعد تنظيم داعش موجودًا على الإنترنت»، تمكّنت وكالة أنباء «ناشر» التابعة لداعش عبر الإنترنت من استخدام تطبيق تام تام لتبنّي هجوم مميّز آخر لها ومنفّذ بشكل فردي. بهذه المناسبة، تبنّى جهاديو داعش الإلكترونيون هجومًا نفّذه إرهابيٌ كان يحمل قنبلة مزيفة وألصق سكينًا في يده فطعن به شخصين حتى الموت على جسر لندن قبل أن يسيطر عليه مدنيون مسلحون بمطفأة حريق ونابٍ لحوت نروال نزعوه عن جدار أحد المتاحف.

في العام 2020، اكتشف معهد الحوار الاستراتيجي أن «فوارس» داعش (وفوارس هو مصطلح نموذجي مجمَّل كان يطلق على المحاربين في العصور الوسطى ويستخدمه أعضاء داعش) أطلقوا مسعىً منسّقًا «لتجميع المساحات الرقمية» واستهدفوا صفحة الرئيس الأميركي ترامب على فيسبوك بحسابات وهمية أميركية أفريقية. كما وضع متابع آخر لداعش صورًا لهجوم 11 أيلول/سبتمبر 2001 على صفحات وزارة الدفاع الأميركية وأكاديمية سلاح الجو الأميركي، إضافةً إلى رسائل تنم عن الكراهية.

ويبدو أن استمرار «الخليفة الخفي» البغدادي بمخاطبة أتباعه المخلصين حول العالم من خلف الظلال عبر الرسائل المرئية والمسموعة، بالرغم من سقوط آخر أراضي الخلافة في الباغوز فوقاني، هو دليل بالنسبة لعناصر داعش المتشددين حول العالم على أن «ظل الله في الأرض» وتنظيمه لا يزالان ينعمان بالحماية الإلهية.

119 «تنظيم الدولة الإسلامية «لم يعد موجودًا على الإنترنت» بعد العملية الأوروبية» "Islamic State ‹Not Present On The Internet Anymore› Following European Operation". الإذاعة الوطنية العامة. 25 تشرين الثاني/نوفمبر 2019.

البغدادي، خليفة الظل، يواصل إلهام «فرسانه» بعد سقوط الخلافة

فيما كان أكثر شخص مطلوب في العالم لا يزال يتملص من عملية المطاردة العالمية للقبض عليه، حتى مع مقتل الآلاف من ملازميه أو وقوعهم في الأسر، تبقى نقطة واحدة واضحة، وهي أن «المحاربين الأزليين» المخلصين للبغدادي، سواء على شبكة الإنترنت أم في ساحات الحرب، استمدوا الإلهام من كلماته المفعمة بالأمل ولم يحدّوا تنظيمهم بالبلدات أو المحافظات التي خسروها أو سيطروا عليها، بل اتبعوا أوامره وعادوا ببساطة محاربي ظل يفكرون من منظار التوارث بين الأجيال والألفية ونهاية العالم، واعتقدوا أنهم كانوا يخوضون حربًا لا نهاية ولا حدود لها من الاستنزاف الإرهابي لتطبيق شريعة الله على الأرض وتحقيق نهاية الزمان.

بخلاف الأميركيين «المتقلبين»، الذين شعر أتباع البغدادي بأنهم غير ملتزمين بالبقاء في المنطقة للقتال (كما يتضح في أذهانهم من قرار ترامب المفاجئ في تشرين الأول/أكتوبر 2019 بسحب وحدات «مضاعفة القوة» الأميركية الصغيرة، إنما الفائقة الفعالية، من سورية)، يؤمن مقاتلو داعش إيمانًا متعصبًا بحديثٍ نبوي يدعو إلى الصبر. فهذا الحديث الذي يُستشهد به كثيرًا يتنبأ بإعادة تجمّع المسلمين بعد الانتكاسات ثم شن هجوم مضاد كارثي على القدس من شأنه أن يعلن نهاية الزمان. وهذا هو الحديث الذي لا يزال عناصر داعش، الذين نصّبوا أنفسهم فرسانًا، يستمدون منه الثقة والشجاعة:

«لا تَزالُ عِصابةٌ مِنْ أُمَّتي يُقاتِلُون على أبوابِ دِمَشقَ وما حَوْلَه، وعلى أبوابِ بَيتِ المَقدِسِ وما حولَه، لا يَضُرُّهم خِذْلانُ مَن خَذَلَهُم، ظاهرين على الحقِّ إلى أنْ تقومَ الساعةُ». [120]

من الواضح أن أتباع داعش المتشددين استمدوا الأمل من الأحاديث النبوية المشابهة وكلمات التحدي التي كان ينطق بها خليفة الظل. فاعتبروا هزيمتهم اختبارًا لإيمانهم وليس انتصارًا نهائيًا لأعدائهم. وفي آب/أغسطس 2018، توجّه البغدادي إلى أتباعه بشريط مسجّل يدعو إلى الصبر، فتحدث بلغة التقوى التي يتآلف معها أتباعه قائلاً ما مفاده: «بلاد الله واسعة وأمواج الحرب تتغير. بالنسبة إلى الجهاديين المؤمنين،

120 تراجع داعش يتسارع لكن التقارير عن فنائه مبالغ بها" ISIS›s retreat accelerates, but reports of its demise are exaggerated.". سي أن أن. 7 أيلول/سبتمبر 2017.

تتبّع خسارة المدن والأراضي التابعة لداعش في عهد أوباما وترامب

لا يرتبط حجم النصر أو الهزيمة بمدينة أو بلدة سُرقت أو خضعت لمن يملكون التفوق الجوي أو الصواريخ العابرة للقارات أو القنابل الذكية»[121]. وبعد هذه الرسالة، إذا بالبغدادي - الذي عاش لمدة أطول من كل جنرالاته وحكامه ووزرائه وأصدقائه تقريبًا وسرت الشائعات عنه بأنه قُتل في محاولة انقلاب نفّذها أتباعه الساخطون، أو أصيب في غارة جوية أميركية، أو حتى قُتل في غارة جوية روسية – يختفي في الصحراء.

ولكن، في 29 نيسان/أبريل 2019، أطلّ الخليفة المختبئ مجددًا وأصدر بجرأة أول تسجيل مصور له منذ الفيديو التاريخي الذي أعلن فيه قيام دولة الخلافة في الموصل في صيف 2014. في شريط الفيديو الجديد المؤثر هذا، ظهر زعيم داعش الملتحي -الذي كان واضحًا أنه تقدّم في السن منذ إطلالته الأخيرة التي صُوّر فيها منتصرًا في عباءة عباسية سوداء داخل الجامع النوري الشهير– وهو يتبجّح بمذبحة داعش المقززة التي أزهقت أرواح أكثر من 250 مسيحيًا في كنائس سريلانكا وفنادقها خلال عيد الفصح 2019، حيث قال:

«وأما إخوانكم في سريلانكا فقد أثلجوا صدور الموحدين [عناصر داعش] بعملياتهم الانغماسية التي أقضّت مضاجع الصليبيين في عيد فصحهم ثأرًا لإخوانهم في الباغوز». [122]

121 «داعش تعود – فيما ترامب يختار البقاء في سورية» "ISIS Makes a Comeback—as Trump Opts to Stay in Syria" – نيويوركر – 30 آب/أغسطس 2018.

122 «زعيم داعش أبو بكر البغدادي يظهر في فيديو دعائي» "ISIL chief Abu Bakr al-Baghdadi appears in propaganda video". الجزيرة. 29 نيسان/أبريل 2019.

ثم قال البغدادي لأتباعه المتربعين على الأرض في غرفة مليئة بمكان ما في سورية، «معركتنا اليوم هي معركة استنزاف وإضعاف العدو. يجب أن يعلموا أن الجهاد مستمر حتى يوم القيامة»[123]. وأصدر لاحقًا في 16 أيلول/سبتمبر 2019 بيانًا صوتيًا حثّ فيه أتباعه على مهاجمة المعسكرات الكردية المؤقتة ذات الحراسة الضعيفة حيث يتواجد 70 ألفًا من أتباعه (من بينهم 12 ألف مقاتل، 2000 منهم أجانب) في شمال شرق سورية، مستجديًا: «السجون السجون، جنود الخلافة. ابذلوا قصارى جهدكم لإنقاذ إخوتكم وأخواتكم وتحطيم الجدران التي تسجنهم». وكان من شأن دعوات البغدادي المستمرة للتحدي والتحرك أن ألهمت أتباعه الذين كانوا يؤمنون بأن الملائكة تحرسه (علمًا بأن أحد القادة الأكراد الساخطين أخبرني أن «الشياطين» هي التي تحرسه على الأرجح). ولكن حتى فيما كان يتنقل خلسةً في الصحراء السورية، شنّت أميركا وحلفاؤها المحليون عملية مطاردة على نطاق لم يشهده العالم منذ مطاردة بن لادن، لقتل هذا الزعيم المخلص الذي واصل إلهام أتباعه.

شوهد أكثر رجل مطلوب في العالم للمرة الأخيرة وهو يفر من غرب العراق إلى سورية في سيارة أجرة صفراء بعد الانهيار الفوضوي لآخر معاقل داعش المتبقية في بلدتَي القائم وراوة غرب العراق عند الحدود مع سورية في خريف عام 2017. ومن هناك، اختفى في بادية الشام الشاسعة، وأشيع أنه أقام في الجيب الأخير من أراضي التنظيم الواقعة في الشمال الشرقي بالقرب من بلدة هجين. وسوف يُذكَر أنه عُرف بكنية «الشبح» أو «الشيخ الخفي» وكان معروفًا باتباع إجراءات أمنية محكمة، بما فيها عصب عينَي كل من يأتي لمقابلته والتجول به في السيارة لساعات قبل مقابلته في آليات يصعب تعقّبها كشاحنات نقل الخضار.

وكان أكثر رجل مطلوب في العالم مرتابًا إلى درجة أنه قيل إنه كان يرتدي سترة ناسفة أو يبقيها بقربه في كافة الأوقات حتى لا يُقبض عليه حيًا خلال انتقاله من مكان إلى آخر لمرات متكررة في الأسبوع. فقد كان يدرك تمامًا أن العديد من كبار قادته وإداريه وحكامه ورجال الدين التابعين له، إن لم يكن معظمهم، قُتلوا في غارات جوية ذات أهداف عالية القيمة ومداهمات للمغاوير موجّهة في غالب الأحيان من وكالة الأمن القومي أو

123 «زعيم داعش يرسم الطريق لأتباعه بعد الخلافة» "ISIS leader outlines path forward for his group post-caliphate". ستارز آند سترايبس. 1 أيار/مايو 2019.

وكالة استخبارات الدفاع أو وكالة المخابرات المركزية أو استخبارات الإشارات العسكرية، عادةً عبر تعقّب الهواتف الخلوية والإنترنت. لهذا السبب، لم يكن يسمح باستخدام الهواتف الخلوية في حضوره، ولم يكن يتواصل إلا عن طريق البريد. بالتالي، فإن العثور على البغدادي في دوامة العنف والحرب التي اجتاحت سورية منذ أن تخلت الولايات المتحدة عن مراكز جمع المعلومات الاستخباراتية التابعة لوكالة المخابرات المركزية بعد إعطاء ترامب الأمر بانسحاب القوات الأميركية في تشرين الأول/أكتوبر 2019، كان أشبه العثور على إبرة في الصحراء. لكن الأكراد السوريين الموثوقين هم الذين ساعدوا وكالة المخابرات المركزية في العثور على تلك الإبرة في مكان توقّع قلة من الناس أن يختبئ فيه.

قوات دلتا والرينجرز الأميركية تطلق «عملية كايلا مولر»

كان يصعب العثور على زعيم تنظيم الدولة الإسلامية، وثبت أنه يستحيل إيجاد مكانه، إلى أن اعتقل حلفاء أميركا المحليون أحد عناصر داعش في العام 2019. أخبرهم هذا المصدر أنه سمع شائعات بأن خليفة الظل يختبئ في مكان لم يتوقعه أحد، بعيدًا عن معقل داعش السابق (شرق البادية السورية)، في محافظة إدلب عند الجانب الآخر من البلاد. تشكل إدلب الواقعة شمال غرب سورية آخر الجيوب التي لا يزال يسيطر عليه تحالف المتمردين العرب السنة المناهضين لنظام الأسد. وكان من بين القوات المقاتلة الجهادية في هذا التحالف هيئة تحرير الشام وحراس الدين، وهما فرعان سوريةن لتنظيم القاعدة وألد أعداء داعش. لكن تبين، وفق ما قيل، أن عناصر داعش قاموا برشوة أعدائهم في القاعدة لحماية زعيمهم، فبقي البغدادي مختبئًا على مقربة من الحدود التركية خارج بلدة باريشا في «منطقة آمنة» يحميها أتراك إسلاميون موالون للمتمردين السنة.

في سبيل التحقق من هويته، تمكّن أحد أعضاء استخبارات الأسايش الكردية في خريف 2019 من سرقة ملابس داخلية للرجل الذي اشتُبه بأنه زعيم داعش، من المجمّع النائي الذي كان يعيش فيه. بعد ذلك، قامت وكالة المخابرات المركزية بمطابقة الحمض النووي من الملابس الداخلية مع عينة من الحمض النووي كانت قد أُخذت من البغدادي حين كان سجينًا في مخيم أميركي في العراق خلال حرب العراق 2003-2011. فأكدت هذه المعلومة الاستخباراتية الملفتة «الخاطفة والفعالة» أن المدعو «ظل الله في

الأرض» كان فعلاً في المجمّع المشتبه به... أقله للوقت الراهن[124]. وسرَت مخاوف حقيقية من أن يحاول الخليفة المراوغ الهروب إلى تركيا، أو أن يختبئ مرة أخرى في خضم الفوضى التي تلت الانسحاب الأميركي من شمال سورية في تشرين الأول/أكتوبر 2019. لذلك، فيما انسحبت القوات الأميركية على عجل من المنطقة وتخلّت عن قواعدها للخصوم الروسيين الشامتين في منتصف تشرين الأول/أكتوبر بأوامر من ترامب، سارعت وكالة المخابرات المركزية والأسايش الكردية إلى قتل زعيم داعش المراوغ قبل أن يختفي في المعمعة والاضطرابات التي أعقبت الانسحاب الأميركي من سورية.

وهكذا نفّذت القوات الخاصة، محمولةً بالطوافات، مداهمة «أسر وقتل» بعيدة المدى محفوفةً بالمخاطر طار فيها نحو مئة عنصر من نخبة قوات دلتا والرينجرز في سرب من طوافات النقل الضعيفة «شينوك» التابعة لفوج العمليات الخاصة الجوية، وطوافات «أباتشي لونغ بو» الحربية المخصصة للحماية، محلّقين عبر منطقة مضطربة شمال سورية في رحلة انطلقت من القواعد الأميركية في العراق. وكانت هذه المنطقة التي عبروها قد أصبحت مؤخرًا معادية بعد انسحاب الولايات المتحدة المفاجئ من سورية بأمر من ترامب قبل ثلاثة أسابيع فقط. فقد استولى الروسيون المنتصرون على القواعد العسكرية الأميركية المهجورة، وكانت قواتهم المعادية مسلحة بمنظومات صاروخية متطورة مضادة للطائرات من نوع «إس 400».

لكن هذه المرة، لم تستخدم القوات الروسية هذه الأسلحة، علمًا بأنه سبق لها الاعتداء على الجنود الأميركيين في سورية في الماضي. وخلال هذه الرحلة المحفوفة بالمخاطر، لم تتلقَّ طوافات النقل الضعيفة من طراز شينوك سوى دعم بري بالأسلحة الخفيفة، لكن هذا الدعم قُمع، ووصل سرب الطوافات إلى هدفه بدون أن يتم إسقاط أي طائرة (على خلاف المأساة التي وقعت عام 1980 خلال المداهمة التي قامت بها قوة دلتا لتحرير الرهائن الأميركيين المحتجزين بين أيدي الإيرانيين في «عملية مخلب الصقر» الفاشلة). وفيما كان الأميركيون يشاهدون في بلادهم بطولة العالم للبيسبول لعام 2019، انقضّ فوج العمليات الخاصة الجوية على المجمّع المشتبه به في شمال شرق سورية وهاجمته القوات الخاصة باستخدام ستار الظلام ونظارات الرؤية الليلية. وبعد

124 «البنتاغون ينشر الصور الأول من المداهمة التي قضت على زعيم داعش» "Pentagon releases first images from raid that killed ISIS leader.". سي أن أن. 31 تشرين الأول/أكتوبر 2019.

أن نادت قوات الكوماندوز الأميركية باللغة العربية طالبةً من كلّ الذين داخل المجمع الاستسلام، تم إخراج 11 طفلاً من الموقع سالمين، في حين أن أربع نساء ورجلين كانوا يرتدون سترات ناسفة رفضوا الاستسلام وقُتلوا. كما قُتل ستة من حرّاس البغدادي خلال إطلاق النار عندما اخترقت القوات الخاصة الأميركية جدران المجمّع بواسطة المتفجرات.

قوات العمليات الخاصة الأميركية تتقدم باتجاه المجمع الذي يسكنه أبو بكر البغدادي
(الصورة من وزارة الدفاع الأميركية)

إلا أن الشخص المستهدف بالمداهمة، أي البغدادي، لاذ بالفرار صاحبًا معه طفلين. وتبيّن بعد حين أنه اختبأ في نفق تحت المجمّع – وهذا أسلوب عمل نموذجي لداعش – متّخذًا من طفليه درعًا بشريًا. وقد قال الجنرال فرانك ماكنزي إن البغدادي ردّ على إطلاق النار من الأسفل، ولكن حين قام كلبٌ مدّرب من القوات الخاصة الأميركية يدعى كونان ورجل آلي عسكري بتعقّبه حتى نهاية النفق المسدود، أصبح البغدادي محاصرًا في الظلمة تحت الأرض. وبعد سنوات من العيش في الظلال، حوصر زعيم داعش «المخلّص» في نفق مظلم من قبل «الصليبيين» الأميركيين.

في النهاية، من مكانه المحاصر تحت الأرض وبدون مجال للفرار، قام الرجل الذي أعلن يومًا من المنبر في الموصل أنه من واجب كل المسلمين مبايعته خليفةً لهم، بتفجير نفسه بسترة ناسفة. وكان على عناصر القوات الخاصة أن يحفروا بعناية بين الأنقاض المنهارة للوصول إلى بقايا البغدادي المتفحمة. ثم عمدوا بلهفةٍ إلى إجراء اختبار الحمض النووي في المكان، وفي غضون 15 دقيقة من وفاته، تأكدوا من أن الجثة تعود لزعيم

داعش. فأرسلت القوات الخاصة رسالة نصر جاء فيها «Jackpot!» (ومعناها فزنا بالجائزة الكبرى!) للإشارة إلى أن العدو – البغدادي – قُتل في المعركة.

من الملائم أن العملية سمّيت «عملية كايلا مولر»، وفق ما أعلن لاحقًا، تخليدًا لذكرى عاملة الإغاثة الأميركية الشجاعة، ابنة الستة والعشرين عامًا التي كانت تعمل مع منظمة «أطباء بلا حدود» وسافرت إلى سورية لمساعدة الشعب السوري خلال الأزمة الإنسانية التي سببتها الحرب الأهلية في البلاد. هذه المرأة الأميركية الشجاعة المستقلة، التي كانت تمثل كل شيء عن الغرب وتجسد أنوثته المحررة التي كرهها واحتقرها كارهو النساء الإسلاميون، اختطفتها داعش في عام 2013، وكانت مأساتها أن خاطفيها قدّموها هديةً لخليفتهم، مبتهجين بنصرهم.

وإذا بالبغدادي، ذلك المغتصب التي احترف هذه الجريمة واعتبر كايلا غنيمة من الغنائم، يهددها بقطع رأسها إذا لم تفعل ما يأمرها به. أمرها باعتناق الإسلام و «تزوجها» (ما يعني في الحقيقة أنه اغتصبها بشكل متكرر وعذّبها، بما في ذلك اقتلاع أظافرها). ولم يكتفِ البغدادي بإساءة معاملتها، بل قتلها في النهاية انتقامًا من حملة القصف التي شنّها أوباما، مع أن داعش حاولت إلقاء اللوم في مقتلها على غارة جوية أردنية، وهو تكتيك نموذجي لدى داعش هدفه بث الشكوك بين أعداء التنظيم.[125]

علاوةً على توفير بعض العزاء لأهل كايلا، شكّل نجاح «عملية كايلا مولر» في تشرين الأول/أكتوبر 2019 دحضًا قويًا لمزاعم المديرية الرئيسية لهيئة الأركان العامة للقوات المسلحة الروسية (أي المخابرات العسكرية والوحدة نفسها التي نجحت في قرصنة الانتخابات الرئاسية الأميركية عام 2016). فقد كانت المخابرات العسكرية الروسية قد أطلقت حملة تضليل واسعة وناجحة إلى حدٍّ كبير، سعيًا إلى زرع الشك والخلاف بشأن علاقات أميركا بداعش. وكان الهدف الرئيسي من هذه الحملة الدعائية هو إظهار أن أميركا ليست عدو داعش على الإطلاق، بل هي صانعها وصديقها وكافِلُها. وقد أعطيتُ هذا المثال النموذجي على أسلوب التضليل السوفياتي خلال مقابلة لي على إذاعة أوروبا الحرة، بالحديث عن موقع الإذاعة الروسي المعني بالتدقيق في الحقائق: «بوليغراف». بحسب حملة المعلومات المضللة التي نشرتها المخابرات العسكرية الروسية، والتي صدّقها

125 «يزيدية نجت من الاستعباد الجنسي تقول: داعش قتلت كايلا مولر» "Kayla Mueller murdered by IS, says Yazidi former sex slave». بي بي سي. 9 أيلول/سبتمبر، 2015.

الكثيرون، «داعش هي تنظيم أنشأته الولايات المتحدة لحل المشاكل الجيوسياسية في الشرق الأوسط، [لكن] الآن ترى أن الأمر لم ينجح هناك وتستعد لنقل داعش إلى آسيا الوسطى»[126]. كما زعم الروسيون كذبًا أنهم قتلوا البغدادي مرتين، ومن الواضح أنهم لو قتلوا البغدادي أولاً، لكان ذلك رسّخ سرديتهم الكاذبة التي صدّقها الملايين بأنهم هم، وليس الأميركيون، العدو الحقيقي لداعش.

لكن الفضل في قتل زعيم داعش عاد إلى ترامب، الذي سارع إلى المجاهرة بدوره في المداهمة، وليس بوتين. فقد صرّح ترامب المنتصر قائلاً: «ليلة أمس كانت ليلة عظيمة للولايات المتحدة وللعالم. لقد تم القضاء بشكل عنيف على قاتل وحشي تسبّب بالكثير من العناء والموت». وزعم لاحقًا بشكل مرتجل وخارج عن الموضوع أن الرجل الذي اغتصب كايلا مولر مات في النفق «وهو يئنّ ويبكي ويصرخ طوال الوقت». لقد سخر الرئيس الأميركي من زعيم داعش المقتول وادعى أنه «مات كالكلب، مات كالجبان».

لكن القوات المسلحة الأميركية لم تؤكد مزاعم الرئيس، بل اكتفت بنفي وجود أي تسجيل صوتي لحادثة وفاته. ولم تتحدث بالتفاصيل الدقيقة نفسها عن كيفية وفاة الرجل الذي حكم الملايين من الظل (من النوع الذي توفّر حول مقتل بن لادن). كل ما نعرفه هو أن البغدادي مات انتحارًا، محاصرًا في الظلمة، بعد سنوات من المطاردة، علمًا بأن الانتحار هو من كبائر الذنوب في الإسلام. وما يزيد الأمر سوءًا بنظر معظم مسلمي العالم، الذين كانوا مرتاعين من فظائع ما يسمى بـ«الخليفة»، هو أنه قتل معه طفلين في آخر تصرف له ينم عن التعصب البغيض. وهذه أيضًا خطيئة في القرآن الكريم الذي نص صراحة على أنه «من قتل نفسًا بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعا». وكما هو الحال إزاء معظم الأعمال السوداوية التي ارتكبتها داعش، اعتبر المسلمون العاديون موت البغدادي فظاعة.

على غرار أتباعه المتعصبين مثله، والذين تمت مطاردتهم وقتلهم في الأنفاق المظلمة المحفورة تحت آخر قطعة أرض تابعة لداعش في الباغوز فوقاني قبل ستة أشهر، مات أمير المؤمنين وخليفة المسلمين موتةً عنيفة يائسة تحت الأرض بعد أن طارده أعداؤه

126 «خبراء روسيون: الولايات المتحدة تدعم تنظيم الدولة الإسلامية في أفغانستان وتخل باستقرار المنطقة» « Russian Experts: U.S. Supports Islamic State in Afghanistan, Destabilizes the Region». موقع بوليغراف. 21 آب/أغسطس 2017.

«الكفار» تحت الأرض. وليس هذا هو فعلاً المصير المهيب الذي توقعه هو وأتباعه لأنفسهم عندما رفعوا منتصرين راية الحرب السوداء للسلالة العباسية الأسطورية العائدة للعصور الوسطى، فوق الجامع النوري في الموصل قبل خمس سنوات فقط وأعلنوا إحياء الخلافة التي قامت خلال العصور الوسطى في بغداد.

(إلى اليسار) الرئيس دونالد ترامب وفريقه يتابعون التطورات أثناء مداهمة البغدادي (صورة رسمية صادرة عن البيت الأبيض، تصوير شيلا كريغهيد)
(إلى اليمين) صورة رُفعت عنها السرية للكلب كونان الذي ساعد في القبض على زعيم داعش البغدادي وقتله (الصورة من وزارة الدفاع الأميركية)

مقاتلو داعش يغالبون متجاسرين غير منكسرين، بالرغم من خسارة زعيمهم

مع ذلك، ما هي أيام على وفاة البغدادي حتى أعلن تنظيم داعش عن تنصيب العالِم الإسلامي والمحارب القديم في داعش، أبو ابراهيم الهاشمي القرشي، زعيمًا جديدًا للتنظيم الإرهابي. غير أن اختيار القرشي أثار موجات من الجدل والنقاش داخل التنظيم وبين الخبراء حول ما إذا كان من أصل عربي أو تركماني. فقد وُلد القرشي في بلدة المحلبية العراقية ذات الغالبية التركمانية، لكن والديه كليهما وُلدا في بلدة الشورى شمالي العراق ذات الغالبية العربية. وتوصّل خبيرٌ عراقي في علم الأنساب إلى أن أصول القرشي العربية المفترَضة صحيحة وشرعية، وتتبّع تاريخه القبلي إلى النبي (صلعم)، وهو ما يجعله بمعايير داعش مؤهلاً لمنصب الخليفة. مع ذلك، لا تزال أصول الخليفة الجديد محط جدال، وقد استغل الكثيرون مسألة أصل القرشي لتقويض نزاهة داعش كمنظمة وتصويره على أنه خليفة مزيف[127]. وبالرغم من وفاة البغدادي والجدل الذي أحاط بالخليفة الجديد في بادئ الأمر، سارعت داعش إلى إصدار تحذير مفاده: «ننعي إليكم (...) أمير المؤمنين... لا تفرحي أميركا.... فلقد جاءك من ينسيك أهوال ما رأيت»[128]. وحذّر أحد أنصار داعش الآخرين من أنه «عندما تسفك دماء الخليفة، ستضرب الكوارث الأرض»، وهو تنبؤ رآه أتباع داعش يتحقق مع جائحة فيروس كورونا التي تفشت في ما بعد.[129] وفي شباط/فبراير 2019، حذّر التنظيم من أنه بعيد كل البعد عن الهزيمة وأنه سينهض من جديد كما فعل مرات عديدة بعد تكبّد الهزائم:

> «نقول لأميركا وخدامها العرب وغير العرب: تحاولون محاربة الدولة الإسلامية منذ أن كانت في العراق... وأعلنتم مرارًا أنكم قضيتم عليها، وتفاجأتم كل مرة برؤية أعمالها وهجمات جنودها مستمرة بعد كل تصريحاتكم...»

كان ثمة تخوف حقيقي من أن يستغل عناصر داعش فراغ القوة في شمال شرق سورية (الناجم عن القرار الصادم الذي اتخذه ترامب في تشرين الأول/أكتوبر 2019

127 «خليفة بدون خلافة: السيرة الذاتية لزعيم داعش الجديد» « A Caliph Without a Caliphate: The Biography of ISIS's New Leader»، نيولاينز، 15 نيسان/أبريل 2021.

128 «داعش تؤكد مقتل زعيمها البغدادي وتعين زعيمًا جديدًا» « ISIL confirms death of leader al-Baghdadi, names new chief». الجزيرة. 1 تشرين الثاني/نوفمبر 2019.

129 «سرديات الجائحة: الإعلام الموالي للدولة الإسلامية وفيروس كورونا» « Pandemic Narratives: Pro-Islamic State Media and the Coronavirus». مرصد مركز مكافحة الإرهاب في ويست بوينت West Point Counter-Terrorism Center Sentinel. حزيران/يونيو 2020. العدد 13، الإصدار السادس.

بسحب القوات الأميركية «المسرّعة» من المنطقة) لينفّذوا أوامر زعيمهم المقتول الأخيرة بالهجوم على سجون داعش وتحرير رفاقهم في الوطن. وخشي المحللون ألا يتمكّن الأكراد شمال سورية، الذين تحاصرهم تركيا وتخلت عنهم الولايات المتحدة، من إبقاء معسكرات الاعتقال الواسعة تحت سيطرتهم. فهناك، أقدمت نساء داعش على قتل الأسيرات بسبب عدم ارتداء عباءاتهن، وواصلن تلقين النساء والأطفال العقيدة في ما شكّل فعليًا حاضنات للإرهاب.

ولم يكن أيٌّ من هذه الأحداث مبشرًا بالخير للسكان شمال العراق أو شمال سورية حيث كانت داعش تعاود ظهورها في ظل جائحة كورونا التي أوقفت عمليات القوات الأميركية مع القوات المحلية وأوجدت بيئة متساهلة جديدة (وهذه مسألة ستُناقش في الفصول اللاحقة). وحيث أن الإسلام يتحدث عن وجود كائنات شريرة خُلقت من نار بدون دخان تُعرف بالجن وتسكن الأراضي القاحلة وغالبًا ما تعذّب البشر، كان المدنيون الذين يعيشون شمال العراق المبتلى بالمتمردين، وفي منطقة شمال شرق سورية التي أصبحت مضطربة مؤخرًا بعد خروج أميركا، يعتبرون أن لصوص داعش الأشباح الصامدين هم من الجن الجهاديين. فقد واصل هؤلاء أعمال القتل بصورة منتظمة واستمروا بممارسة الحكم من الظل عبر التخويف والترهيب والتفجيرات والاغتيالات.

مع قوة متبقية من المقاتلين يقدّرها البنتاغون بالآلاف، نجح «جان» داعش الإرهابيون في الجبال والصحراء والمدن في الانتقال من غرس رايات الفتح السوداء والسيطرة على ملايين الناس، إلى التحول مجددًا إلى أشباح صحراوية. وهم اليوم يخوضون حرب استنزاف خفية يسمونها «النكاية» - وهي حملة طاحنة مشابهة لأسلوب طالبان تهدف إلى إنهاك الأعداء الأقل تصميمًا من جميع أنحاء العالم والخصوم المحليين الذين يعيشون حالة من الفوضى بسبب الانسحاب الأميركي من شمال سورية والتوترات الإيرانية الأميركية وجائحة كورونا[130]. وعلى منوال محاربي طالبان الذين يتمتعون بالقدر نفسه من التصميم (والذين يبدو أن متمردهم صمدوا لوقت أطول من الأميركيين المنهكين من الحرب ويسيطرون الآن على نصف أفغانستان تقريبًا) والذين أعلنوا بتحدٍّ:

130 «متمردون مجددًا: ارتداد الدولة الإسلامية المدروس إلى الاستنزاف في المنطقة الحدودية بين سورية والعراق وما بعدها» Insurgents Again: The Islamic State's Calculated Reversion to Attrition in the Syria-Iraq Border Region and Beyond. مرصد مركز مكافحة الإرهاب في ويست بوينت. كانون الأول/ديسمبر 2017. العدد 10، الإصدار 11.

«الساعات بيد الأميركيين، لكن الوقت في يدنا»، يتباهى إرهابيو داعش الصحراويين الصامدين بأنهم سيواصلون القتال. و «فرسانهم» عازمون على مواصلة جهادهم بالرغم من تعرّضهم لانتكاسة مماثلة لتلك التي لحقت بالنبي محمد (صلعم) عندما خسر مكة المكرمة عام 622 م.

ومع انهيار الدولة الإسلامية الفاضلة التي حلم بها «صابرو» داعش حول مناصريها، شدّد المتحدث الرئيسي باسم التنظيم على عزم العديد من أتباعه على القتال بالرغم من الانتكاسات، حيث ثار غاضبًا وحذّر بلغة مشابهة لحركة طالبان الصامدة:

> «هل تظنين أميركا أن النصر بقتل قائد أو أكثر إنه إذًا لنصرٌ مزور ... إن النصر أن يُهزم الخصم. أم تحسبين أميركا أن الهزيمة فقدان مدينة أو خسارة أرض وهل انهزمنا عندما خسرنا المدن في العراق وبتنا في الصحراء بلا مدينة أو أرض وهل سنهزم وتنتصرين إذا أخذتِ الموصل أو سرت أو الرقة أو جميع المدن وعدنا كما كنا أول حال؟ كلا إن الهزيمة فقدان الإرادة والرغبة في القتال». [131]

131 المتحدث باسم داعش، أبو محمد العدناني، يدعو أنصاره إلى تنفيذ هجمات إرهابية في أوروبا والولايات المتحدة « ISIS spokesman Abu Muhammad al-Adnani Calls on Supporters to Carry Out Terror Attacks in Europe, U.S.». معهد الأبحاث الإعلامية للشرق الأوسط (ميمري). 20 أيار/مايو 2016.

- 2 -

النسخة الجديدة من داعش تعود إلى صيغة التمرد

«هل تظن أننا انتهينا؟ أبدًا! سنبقى حتى نهاية الزمان! هذه المعركة لن تنتهي في الرقة أو الموصل، بل ستنتهي على أرضكم»

يوسف، صبي مسلم أميركي في العاشرة من العمر تم تلقينه العقيدة، مخاطبًا الرئيس دونالد ترامب مباشرةً عبر فيديو دعائي لداعش من محافظة الرقة التي يحاصرها الأكراد في سورية.

داعش ما بعد الخلافة تهديدٌ مستمر

بالرغم من كل الأراضي التي خسرتها داعش، وتباهي الرئيس دونالد ترامب بأنه هو (وهو وحده) «محا» داعش لا بل «أزالها من الوجود»، فإن هذا التنظيم الإرهابي المرن -الذي أظهر قدرة شبيهة بقدرة طائر الفينيق على إعادة تشكيل نفسه من مجرد 700 مقاتل نجوا إبان سحب أوباما للقوات الأميركية من العراق في كانون الأول/ديسمبر 2011– كان، وقت إعلان ترامب المتفاخر بالنصر، أبعد ما يكون عن الزوال.[132] وبينما تراجع المهزومون الناجون من انهيار الدولة الإسلامية بشكل منهجي إلى مخابئهم الاحتياطية المدروسة في الصحراء السورية التي لا يمكن ترويضها وامتدادات منطقة الأنبار العراقية والجبال الوعرة في المناطق النائية شمال العراق، وأعادوا تنظيم أنفسهم على هيئة حركة تمرد – بقي الحلم بإعادة إرساء الحكم السني وإقامة دولة مقدسة تستمد جذورها من العصور الوسطى.

إذ كانت، ولا تزال، شبكة واسعة ومتعصبة وقاتلة من المتمردين تنشط في الأراضي السنية من العراق وسورية. ولا يفكر عناصر هذه الشبكة في الحياة اليومية، بل يفكرون من منظار الألفية. فما يحدث بالنسبة إليهم هو صراعٌ بين الأجيال له مقياس

132 «فشل رئاسي ذريع: شاهد ترامب يحاول شرح سياسته في سورية» A Presidential Epic Fail: Watch Trump Try to Explain His Syria Policy. هآرتز (إسرائيل). 25 نيسان/أبريل 2019. «الافتتاحية: مخطئ بشأن داعش» :Editorial Wrong About ISIS. ويكلي ستاندرد. 26 أيلول/سبتمبر 2018. «بوتين يقول إن داعش منيت بهزيمة تامة في شرق سورية» Putin says ISIS Suffers ‹Complete Defeat› in Eastern Syria. أسوشيتد برس. 6 كانون الأول/ديسمبر 2017.

زمني مختلف عن معظم مقاييس الجماعات الثورية. وثمة جانب ديني أخروي لصراعهم يجعله جهادًا أزليًا يدعو إلى حرب لا تنتهي من أجل الدين. وقلةٌ من الغربيين الآتين من دول علمانية فصلت الكنيسة عن الدولة منذ فترة طويلة وحدّت الكراهية الطائفية منذ عام 1648، يفهمون هذا البعد من الجهاد السني العابر للأجيال والكراهية للشيعة التي أنتجت داعش وأبقت نيران الجهاد مشتعلة في قلوب المؤمنين الحقيقيين في العراق.

ولا تزال مواد الاشتعال، أي المظالم السنية التي يسهل التلاعب بها، موجودة. فهذا التأجيج الجهادي في العراق ينبع من كره النفوذ الشيعي الإيراني، ونقص الوظائف أو إعادة الإعمار في منطقة دمرتها الحرب وتملؤها بلداتٌ تعرّضت للقصف وميليشيات هيمنت حديثًا بدعمٍ إيراني مثل قوات الحشد الشعبي، واحتقار النفوذ الأميركي. وفي حين تضم قوات الأمن العراقية 250 ألف عنصر درّب التحالف العديد منهم، إلا أن تقريرًا صادرًا عن البنتاغون في آب/أغسطس 2019 أفاد أن العراق، علاوة على فشله في معالجة الأسباب الجذرية للإرهاب السني، «يفتقر إلى قوات ردع قادرة على حفظ الأمن في المناطق التي تم تطهيرها من داعش».[133]

كل ما يتطلبه الأمر لإضرام النار في جمر الجهاد السني المشتعل -كما حدث بين 2012 و-2014 هو أن يقوم زرقاوي أو بغدادي جديد بتأجيج جمر الاستياء ضد الشيعة وإعادة إطلاق شرارة داعش أو نسختها التالية في ما يشكل فعليًا جهادًا إسلاميًا أزليًا. فالجنّي الذي أطلقه المحافظون الجدد بدون قصد في مخططاتهم المجنونة «لتغيير الأنظمة» في العام 2003 لم يُجبر على العودة بشكل دائم إلى القمقم مع خسارة إمبراطورية داعش الجهادية ولا بعد النجاحات التي حققتها قوات بترايوس عام 2007. فجنّي الجهاد نُفي لا أكثر، للوقت الراهن، من مقر سلطته في الجامع النوري في الموصل وساحة الفردوس في الرقة إلى أزقّة المدن السنية المقصوفة شمال العراق والصحراء السورية العراقية الواسعة.

من الواضح أن داعش تحولت مجددًا إلى شكلها الأصلي كحركة تمرد. وفي حين أن أعضاءها المرنين، الذين يعيدون تمثيل الجهاد التاريخي، يستمدون الإلهام من

133 «عملية العزم الصلب، تقرير المفتش العام الرئيسي إلى كونغرس الولايات المتحدة» Operation Inherent Resolve, Lead Inspector General Report to the United States Congress، 1 نيسان/أبريل 2019 – 30 حزيران/يونيو 2019.

القرآن الكريم والأحاديث النبوية، يسعى أتباعها إلى تحقيق النبوة، لا بل يتقبلون أن حركتهم «المقدسة» ستشرف على الزوال قبل العودة إلى السلطة. ويستلهم المتشددون المتجاسرون الشجاعة من كلمات الرسول: «لا تَزالُ عِصابةٌ مِنْ أُمَّتي يُقاتِلُون على أبوابِ دِمَشقَ وما حَوْلَه، وعلى أبوابِ بَيتِ المَقدِسِ وما حولَه، لا يَضُرُّهم خِذْلانُ مَن خَذَلَهُم، ظاهرين على الحقِّ إلى أنْ تقومَ الساعةُ».

يتحدث الإسلام عن وجود كائنات شريرة خُلقت من نار بدون دخان تُعرف بالجن وتسكن الأراضي القاحلة وغالبًا ما تعذّب البشر. بالنسبة إلى المدنيين الذين يعيشون شمال العراق المبتلى بالمتمردين، وأولئك الذين يعيشون شمال شرق سورية حيث سادت الاضطرابات مؤخرًا بعد الخروج الأميركي، والذين لا يزالون يعانون من جنّي الحرب الطائفية التي انطلقت شرارتها مع الإطاحة الأميركية المشؤومة بنظام صدام حسين العلماني والبعثي ذي الهيمنة السنية في «عملية حرية العراق»، لصوص داعش الأشباح الصامدون هم من الجن الجهاديين. فقد واصل هؤلاء أعمال القتل بصورة منتظمة واستمروا بممارسة الحكم من الظلال والأراضي القاحلة عبر التخويف والترهيب والتفجيرات والاغتيالات. وعلى منوال جهادي طالبان الذين يتمتعون بالقدر نفسه من التصميم (والذين صمدوا لوقت أطول من الأميركيين والناتو طوال فترة تمردهم الممتدة على عشرين عامًا) والذين أعلنوا بتحدٍّ أن «الساعات بيد الأميركيين، لكن الوقت في يدنا»، يتعهد إرهابيو داعش الصحراويون الصامدون بمواصلة القتال. فقد جاهروا بأنهم سيستمرون في نضالهم، بالرغم من تعرّضهم لانتكاسة مماثلة لتلك التي لحقت بالنبي محمد (صلعم) عندما خسر مكة المكرمة عام 622 م.

والواقع أن عناصر داعش المتشددين رأوا تدخلاً إلهيًا في القرار الذي اتخذه ترامب يوم 6 تشرين الأول/أكتوبر 2019 في خطوةٍ مغايرة للاستراتيجية المتبعة ووسط إدانة واسعة (من كلا الحزبين الجمهوري والديمقراطي)، حيث تخلّى عن قواعد البنتاغون المختصة بمكافحة الإرهاب ومراكز جمع المعلومات الاستخباراتية التابعة لوكالة المخابرات المركزية، وعن المحاربين الجادين من الأكراد السوريين الوكلاء المعادين لداعش، ليقعوا بيد غزاة الأتراك الجهاديين، كما قام بسحب فرقة «مضاعفة القوة» الأميركية الصغيرة والبالغة الفعالية من سورية. وقد سخرت داعش من قرار ترامب المزاجي بالتراجع عن قراراته وسحب القوات الأميركية الصغيرة، ولكن المقدَّرة، التي كانت

قد حققت نجاحات تتخطى قدراتها عبر الاستفادة من قوات سورية الديمقراطية التي يقودها الأكراد. فشمت الإرهابيون بترامب الذي بدا حائرًا مترددًا، وقالوا: «ألا ترون كيف أصبحتم أضحوكة بين الدول يتحكم بمصيركم رجل عجوز ومجنون يغير رأيه بين الصباح والمساء؟»[134] واستفاد «أمير الجهاد» الجديد، الخليفة أبو ابراهيم الهاشمي القرشي، من خيانة ترامب لأعدائه اللدودين، أي الأكراد السوريين العلمانيين، ليواصل مسيرة الخليفة البغدادي، أمير المؤمنين وظل الله في الأرض، المليئة بالبغض والكراهية.

وفي هذه الأثناء في أفغانستان، قام الرئيس جو بايدن بتأجيل الموعد النهائي الذي كان قد وضعه ترامب لسحب القوات الأميركية من 1 أيار/مايو 2021 إلى 11 أيلول/سبتمبر 2021، لكنه أمر في النهاية جميع القوات الأميركية بمغادرة البلاد بحلول ذاك التاريخ الرمزي. وهذا أمر احتُفل به كانتصار جهادي ليس من قبل حركة طالبان الصامدة وحدها -وهي التي أوصلت الأميركيين وحلفائهم في الناتو إلى طريق مسدود- بل من مقاتلي داعش أيضًا. فقد كانت طالبان، التي بقيت مسيطرة على جزء كبير من ريف أفغانستان بالرغم من تكبّد خسائر جسيمة بسبب تفوق القوة النارية الأميركية، مصرّة على مواصلة مقاومتها ولخّصت أسبابها الجوهرية لمواصلة هذا القتال المكلف لمدة عقدين بمصطلحات كانت غريبة على الغربيين العلمانيين أو المسيحيين، بقدر ما كانت طبيعية لهؤلاء الجهاديين: «الجهاد عبادة. والعبادة فعل لا تتعب منه، مهما قمت به»[135]. وهذا هو حتمًا شعور المقاتلين الأكثر تطرفًا في تنظيم داعش - ولاية خراسان أيضًا.

وما زاد الأمور سوءًا هو أن إدارة ترامب قامت خلال كانون الثاني/يناير 2020 بزعزعة التفاهم المؤقت مع إيران، مع العلم بأن الميليشيات العراقية الوكيلة عن إيران كانت تقاتل جنبًا إلى جنب مع وكلاء أميركا في العراق لهزيمة عدو مشترك هو تنظيم داعش. وحصل ذلك حين أعطت أميركا الأمر بقتل قائد الحرس الثوري الإيراني اللواء قاسم سليماني –الذي كان حليفًا ضمنيًا للولايات المتحدة في الحرب ضد داعش - في ضربة بطائرة مسيّرة خارج مطار بغداد (علمًا بأن سليماني كان مسؤولاً عن تنظيم وتنسيق عمليات لا تحصى ضد المصالح الأميركية). فما كان من البرلمان العراقي

134 «داعش تعين زعيمًا جديدًا وتؤكد مقتل البغدادي» ISIS Names New Leader and Confirms al-Baghdadi's Death، نيويورك تايمز، 31 تشرين الأول/أكتوبر 2019.

135 «أفغانستان: ربحنا الحرب، وخسرت أميركا» Afghanistan. We Have Won the War, America Has Lost. بي بي سي. 15 نيسان/أبريل 2021.

الغاضب، الذي يهيمن عليه الشيعة، إلا أن أمر القوات الأميركية بالخروج من البلاد لمعاقبة الولايات المتحدة على إقدامها من جانب واحد على قتل حليف إيراني محترم في الحرب على داعش. وأُلغيت العمليات الأميركية العراقية المشتركة (ما أفرح داعش) لعدة أشهر في ظل تهديد المليشيات الإيرانية للقوات الأميركية في العراق. وما إن استؤنفت العمليات المؤقتة ضد داعش (إذ لم تُطرد القوات الأميركية في نهاية المطاف) في نيسان/أبريل 2020، بعد أشهر من هجمات الميليشيات الشيعية العاملة بالوكالة عن إيران على القواعد الأميركية المقفلة، حتى جاءت جائحة فيروس كورونا لتوقف مجددًا هذا التعاون العسكري الذي كان يُستأنف تدريجيًا.

داعش تستمد الشجاعة من «أصغر جنود الله» خلال جائحة كورونا عام 2020

في مطلع حزيران/يونيو 2020، ومع اجتياح تظاهرات «حياة السود مهمة» الشوارع الأميركية، نشر أحد أتباع داعش شامتًا هاشتاغ #AmericaBurning (أميركا تحترق)، فيما نشر آخرٌ رسالة مفادها: «تستيقظون هذا الصباح على نبأ دمار أميركا وتفكك ولاياتها واندلاع الحرب الأهلية»[136]. كما نشر موقع آخر للتنظيم كلمات «دمار، تفكك. أميركا تحترق»، في حين نشر أحد أتباع التنظيم في المنتدى نفسه صورًا لأعمال الشغب كتب فيها: «اللهم أحرقهم كما أحرقوا أراضي المسلمين». ومن الواضح أن أنصار داعش كانوا مبتهجين بالتوتر الناتج عن الاحتجاجات السلمية وأعمال العنف العرضية التي شهدتها الشوارع الأميركية بعد وفاة أميركي من أصل أفريقي يُدعى جورج فلويد في 25 أيار/مايو 2020 حين كان في عهدة الشرطة، ما تسبب بنشوب توتر على نطاق واسع.

كما تحمّس أتباع داعش لاحتمال وفاة عدد هائل من الغربيين بسبب فيروس كورونا الذي سمّوه «أصغر جنود الله». فقد رأوا تدخلًا إلهيًا في الانسحابات العسكرية الأميركية من العراق نتيجة فيروس كورونا - كإعلان البنتاغون في آذار/مارس 2020 أنه سيتوقف عن إرسال الجنود إلى العراق لمدة شهرين على الأقل. وبالإضافة إلى هذه التدابير الوقائية، سحبت الولايات المتحدة حوالي 1200 جندي من أصل جنودها الخمسة آلاف المتواجدين في العراق، وسحبت عددًا أكبر من ستة قواعد للعمليات الأمامية (بما في ذلك قواعد الموصل والقائم والقيارة وكركوك والتقدم) إلى عدد أقل

136 «داعش تشمت بالجائحة والتظاهرات الأميركية» ISIS Gloats About U.S. Pandemic and Protests. ذا ديلي بيست. 24 حزيران/يونيو 2020.

من القواعد، وأمرت القوات المتبقية في البلاد بملازمة قواعدها. فأنهت هذه الإجراءات معظم المهام المشتركة مع القوات المحلية العراقية والكردية وأوقفت النسبة الكبرى من الغطاء الجوي الحيوي الذي كانت تتلقاه القوات المحلية.[137]

إزاء هذه الإجراءات، ردّ تنظيم الدولة الإسلامية في العراق عبر زيادة عدد هجماته في صيف 2020، بحيث نصب كمائن ليلية جريئة ونفّذ هجمات نهارية بقذائف الهاون مستهدفًا أعضاء المليشيات الشيعية الموالية للحكومة والجنود العراقيين والأكراد الذين قلّ عنهم الدعم الوثيق أو الدعم على مستوى الاستخبارات والمراقبة والاستطلاع الذي كان يقدّمه الجانب الأميركي لمساعدتهم على حماية أنفسهم. ولكن بقيت الضربات الجوية البريطانية والأميركية تستهدف مخابئ التنظيم المحصنة في المغاور شمال العراق، والتي واصل الجيش العراقي أيضًا مهاجمتها، وإن بقوات أقل بسبب إغلاق القواعد في ظل جائحة كورونا.

في المناطق السورية الخاضعة لسيطرة الحكومة، ازدادت قوات الدولة الإسلامية جرأة وهاجمت قوات الأسد بالألغام الأرضية والأسلحة الثقيلة والسيارات المفخخة، مخلّفةً أكثر من 401 قتيل من عناصر القوات الموالية للنظام خلال فترة وجيزة امتدت من 24 آذار/مارس إلى 9 نيسان/أبريل 2020.[138] أما في شمال سورية، فاحتجزت قوات سورية الديمقراطية الكردية ما يصل إلى 12000 مقاتل من داعش و70 ألفًا من أفراد أسرهم، معظمهم من النساء والأطفال، داخل معسكرات اعتقال كبيرة ومكتظة وغير صحية، حيث كانت إمكانية التباعد الاجتماعي معدومة والمياه الجارية شحيحة في هذه المعسكرات القاسية. وعاش أسرى داعش في ذعرٍ، خائفين من تفشي الوباء بينهم، فبدأوا أعمال شغب في محاولة للفرار من المعسكرات مع انتشار خبر الفيروس فيها. وفي أيار/مايو 2020، انتفض أسرى داعش لمدة قصيرة وسيطروا على سجن يحوي ما يصل إلى 5000 أسير قبل أن يقمعهم الحراس الأكراد. ولم يكتفِ قادة التنظيم بدعوة مقاتليهم إلى مهاجمة المعسكرات ذات الحراسة الخفيفة لإطلاق سراح الأسرى، بل أعربوا أيضًا عن مخاوفهم من انتشار الوباء بين قواتهم نفسها. وبالرغم من كل الفرص التي بدا أن الوباء أتاحها لداعش، كان التنظيم قلقًا أيضًا من تأثير الفيروس عليه، وأصدر لمقاتليه إرشادات مماثلة لتلك الصادرة عن المركز الأميركي لمكافحة الأمراض.

137 المرجع نفسه
138 المرجع نفسه

كما منعت الدولة الإسلامية أتباعها من السفر إلى أوروبا حيث كان وضع الوباء أسوأ مما كان عليه في الشرق الأوسط، إنما أوعزت إلى الأتباع الموجودين في أوروبا باستغلال الفوضى الحاصلة، داعية إلى «ضربات جديدة... مشابهة لضربات باريس ولندن وبروكسيل وغيرها» خلال السنوات الأخيرة. حتى أن التنظيم ألمح إلى أن قتل «الكفار» يساعد الأنصار على حماية أنفسهم من الفيروس، حيث صرح «يجب أن يتذكروا أن طاعة الله – والجهاد أحبّ أشكالها – تقي من العذاب وغضب الله»[139]. في ضوء ما سبق، أصدت وكالة الأمن القومي الأميركية في أواخر آذار/مارس 2020 نشرةً حذّرت من أن صحيفة داعش دعت إلى استهداف مرافق الرعاية الصحية الأميركية والأوروبية المنهكة من الوباء.

ويبدو أن هذه الدعوات لقيت آذانًا صاغية. ففي 11 آذار/مارس 2020، أوقفت السلطات الألمانية أربع عناصر طاجيكيين من خلية للدولة الإسلامية قيل إنها كانت تخطط لهجوم تفجيري على منشآت عسكرية أميركية. وفي نيسان/أبريل، في مدينة رومان سور إيزير الفرنسية، انطلق رجلٌ منفرد في فورة طعن بالسكين فقتل شخصين وأصاب اثنين آخرين بجروح خطيرة قبل أن يتم اعتقاله وهو يركع عند الرصيف مصليًا باللغة العربية. وفي حزيران/يونيو 2020، اندفع شخص آخر في فورة مماثلة وأخذ يطعن بالسكين مجموعة أشخاص كانوا يستمتعون بأمسية دافئة في أحد منتزهات مدينة ريدينغ الإنكليزية، فأودى بحياة ثلاثة. وروى أحد الناجين فظاعة ما شكّل هجومًا نموذجيًا لمبتدئي داعش، قائلاً: «دخل بيننا شخص وحيد، وفجأة بدأ يصيح كلمات غير مفهومة وانطلق بين مجموعة كبيرة من نحو عشرة أشخاص محاولاً طعنهم. فطعن ثلاثة منهم بحدة في العنف وتحت الذراعين ثم استدار وبدأ يركض نحوي، فاستدرنا ورحنا نركض». [140]

لكن هذه الهجمات التي وقعت في فرنسا وألمانيا وبريطانيا، والمؤامرة التي أُحبطت في ألمانيا، لم تدل على تجدد نشاط الدولة الإسلامية في الغرب على النحو الملحوظ عامَي

139 براين غلين وليامز Brian Glyn Williams. «الدولة الإسلامية تدعو أتباعها إلى نشر فيروس كورونا واستغلال الجائحة والاحتجاجات» Islamic State calls for followers to spread coronavirus, exploit pandemic and protests. موقع ذي كونفرزايشن The Conversation. 23 حزيران/يونيو 2020.

140 «ثلاثة قتلى وثلاثة مصابون بجروح خطيرة في فورة طعن صُنفت بالاعتداء الإرهابي في المملكة المتحدة» Three killed, 3 seriously wounded in UK stabbing rampage declared terrorist attack. موقع reading.com. 21 حزيران/يونيو 2020.

2015 و2016. فبعد أن خسر التنظيم دولته العابرة للحدود الوطنية، يبدو أن رسالته فقدت الكثير من جاذبيتها ورونقها المحفّزين. ولم تعد طموحات التنظيم الجريئة توازي استعداد أتباعه إلى «الاستشهاد» لقضية بدأت تبدو خاسرة للكثير من المناصرين الذين يعيشون بعيدًا عن دولة الخلافة وليسوا ملتزمين بقدر الآخرين. ويعود ذلك بدرجة جزئية إلى تدمير دولة التنظيم الأساسية، التي كانت منبع الإلهام، وفقدانها الشرعية بنظر الكثير من الأتباع السابقين في الخارج.

في هذا الإطار، تبيّن أبحاثنا أن الدعوات التي أطلقتها داعش على نطاق واسع لشن الهجمات خلال نهائيات بطولة كأس العالم لكرة القدم في روسيا عام 2018 واستهداف احتفالات الرابع من تموز/يوليو في الولايات المتحدة عام 2019 لم تثمر أفعالاً. فصحيح أن داعش تمتعت بقدرة لا مثيل لها على إحداث فوضى جهادية في مسقط رأسها في الشرق الأوسط (وفي الأراضي التابعة لها في العالم، من أفريقيا إلى الفلبين)، إلا أن شماتة الإرهابيين بوفيات كورونا في الغرب وبالاضطرابات العرقية في أميركا لم تتَرجم بالضرورة إلى تهديد حقيقي على أرض الولايات المتحدة أو أوروبا من عام 2018 وحتى 2021.

مع ذلك، ثمة سيناريو كارثي يقضّ مضجع خبراء الإرهاب البيولوجي. ففي أواخر حزيران/يونيو 2020، دعت نشرة إلكترونية تابعة لداعش في الهند أنصارها إلى نشر فيروس كورونا عبر الآتي: «كل الإخوة والأخوات وحتى الأطفال قادرون على المساهمة في قضية الله عبر حمل هذا المرض وضرب مستعمرات الكفار»[141]. وزعم التنظيم أن المسلمين المؤمنين لا يصابون بالمرض لأن «لا مرض يمسّ بشعرة مؤمن». لحسن الحظ أنه لم تتم تلبية هذه الدعوات إلى الجهاد البيولوجي عبر نشر «أصغر جنود الله»، بما تنطوي عليه من نتائج كارثية.

تنظيم داعش يحافظ على قاعدة أتباعه وروح مهمته

بحلول العام 2020، تراجع عدد الاعتداءات الإرهابية في الغرب بحيث اقتصرت على هجوم كبير واحد نفّذته داعش في أوروبا ذلك العام (بالإضافة إلى حادثتَي الطعن المذكورتين أعلاه في فرنسا وبريطانيا). وفي تشرين الثاني/نوفمبر 2020، قام رجلٌ ألباني

141 «مجلة داعش الخاصة بزمن الإغلاق تحض على استخدام الأطفال لنشر وباء كوفيد19- وتهاجم بالمقص» ISIS 'Lockdown' Magazine Urges Using Kids to Spread COVID-19, Attacks with Scissors'. هوملاند سكيوريتي توداي Homeland Security Today. 23 حزيران/يونيو 2020.

مسلم، كان قد انضم إلى داعش في سورية، باستخدام بندقية ومسدس ومنجل ليعيث فسادًا في فيينا بالنمسا. وفي تذكير باعتداء باريس وبروكسل، لاحق المعتدي – الذي كان قد بايع الخليفة الجديد القرشي في شريط فيديو – أبناء فيينا في عدة أماكن فقتل أربعة وجرح 23 قبل أن ترديه الشرطة قتيلاً بالرصاص.

في هذه الأثناء، واصلت الدولة الإسلامية حملتها الإرهابية في أراضي التنظيم الأساسية في «سوراق»، حتى بعد أن دُمّرت أرض الخلافة الجغرافية وأعلن ترامب هزيمة الجهاديين. فقد لفتت الجزيرة في كانون الثاني/يناير 2021 إلى أن التنظيم لم يزُل فعليًا بالرغم من تصريحات ترامب المهيبة عن هزيمة داعش، حيث أفادت أن «داعش انتقلت بسلاسة نسبية إلى حركة تمرد، وبالرغم من دحرها خارج المدن إلى الأرياف، واصلت العمل وتنظيم الهجمات ضد القوى الأمنية ونقاط التفتيش في المناطق النائية».[142] وبالفعل، بعد يومٍ واحد على أداء جو بايدن القسَم الرئاسي، نفّذت داعش في بغداد أكثر هجماتها فتكًا منذ أكثر من أربع سنوات. ففي 21 كانون الثاني/يناير 2021، تبنّى التنظيم تفجيرين انتحاريين مزّقا سوقًا مكتظة في منطقة الباب الشرقي التجارية في بغداد، وأفيد أن هذا الهجوم الكاسح أودى بحياة 32 شخصًا وجرح 110 آخرين، لكنه شكّل أيضًا تذكيرًا مخيفًا بأن داعش لا تحتاج إلى أرض خلافة لتعيث فسادًا وخرابًا.[143]

في أعقاب هذين التفجيرين، طالب وزير الخارجية العراقية فؤاد حسين ببقاء الدعم الأميركي بعد أن كان ترامب قد أمر بسحب الجنود الأميركيين من العراق، مشددًا على أن تهديد داعش لا يزال كبيرًا. وقال الوزير حسين: «تحدثتُ مع مسؤولين عسكريين وأمنيين وعلمتُ منهم أننا ما زلنا نفتقر إلى التدريب والخبراء والأسلحة، ونحن أيضًا بحاجة إلى تبادل المعلومات الاستخباراتية... لماذا أقول ذلك؟ ببساطة لأن عناصر داعش، أو بعض حلقات داعش، يواصلون نشاطهم وتحركاتهم في العراق».[144]

لكن مقاتلي داعش ليسوا الوحيدين الذين ينشطون في العراق. فبعد مرور أقل من أسبوع على حوادث التفجير القاتل، قامت «الفرقة الذهبية» العراقية الشهيرة يوم

142 «داعش تتبنى تفجيرات بغداد القاتلة» ISIL takes responsibility for deadly Baghdad suicide bombings، الجزيرة، 22 كانون الثاني/يناير 2021

143 «داعش تتبنى تفجيرات بغداد القاتلة» ISIL takes responsibility for deadly Baghdad suicide bombings، الجزيرة، 22 كانون الثاني/يناير 2021

144 المرجع نفسه

27 كانون الثاني/يناير 2021 بمداهمة جريئة لمواقع داعش الموجودة على بُعد حوالي عشرة أميال غرب محافظة كركوك في شمال شرق البلاد. وكان المستهدف بهذه المداهمة -التي استفادت من دعم جوي واستخباراتي واستطلاعي من التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة- هو أبو ياسر العيساوي، نائب الخليفة ووالي العراق، ونحو عشرة آخرين من مقاتلي التنظيم الأشداء الذين كان يُعتقد أنهم برفقته. وتكللت العملية المشتركة بالنجاح حيث قتلت غارة جوية أميركية القيادي في داعش وتسعة مقاتلين آخرين. ويُعتقد أن العيساوي كان ينسّق عمليات داعش في العراق ويتبع مباشرةً للخليفة الجديد أبو ابراهيم الهاشمي القرشي.

واحتفل رئيس الوزراء العراقي مصطفى الكاظمي بنجاح هذه العملية المشتركة على موقع تويتر مغرّدًا: «شعب العراق.. إذا وعد أوفى. وقد توعدنا عصابات داعش الإرهابية برد مزلزل، وجاء الرد من أبطالنا بالقضاء على زعيم عصبة الشر، أو مَن يطلق على نفسه نائب الخليفة ووالي العراق في التنظيم، أبو ياسر العيساوي، في عملية استخبارية نوعية»[145] كما قال متحدث باسم التحالف أن «التحالف سيستمر بإخراج كبار القياديين من ساحة المعركة وإضعاف التنظيم الإرهابي. أيها الإرهابيون -لن تعيشوا بسلام أبدًا- سنلاحقكم إلى أقاصي الأرض»[146]. ومع استلام بايدن الحرب الهادفة إلى «إضعاف» داعش من ترامب، لم يتخاذل التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة واستمر في الضغط على الإرهابيين المتبقين في العراق. وفي مطلع شباط/فبراير 2021، أرسل سلاح الجو الملكي البريطاني طائرتين من طراز «تايفون أف جي آر 4» لضرب مخبأ جبلي لخلية داعشية بالقرب من مدينة بيجي الواقعة على بُعد 130 ميلاً شمال بغداد، بقنابل موجهة بالليزر.[147] ومع أن تفاصيل العملية ليست واضحة، إلا أن المعروف هو أنه تم قصف كهفين يُعتقد أنهما كانا قاعدة لداعش في المنطقة.

145 «أحد كبار قيادي داعش يُقتل في غارة جوية أميركية في العراق» Top ISIS Commander Killed by American Airstrike in Iraq، تقرير قوات العمليات الخاصة Special Operations Forces Report، 29 كانون الثاني/يناير 2021.

146 «أحد كبار قيادي داعش يُقتل في غارة جوية أميركية» Top ISIS leader in Iraq killed in US airstrike، ذي هيل The Hill، 29 كانون الثاني/يناير 2021

147 «طائرات سلاح الجو الملكي تقضي على خلايا داعش الإرهابية بهجوم بالقنابل الموجهة بالليزر شمال بغداد» RAF jets wipe out Isis terror cells in laser-guided bomb raid north of Baghdad، ذي سانداي تايمز The Sunday Times، 1 شباط/فبراير 2021

ولكن عند المقلب الآخر من الحدود، لم تكن الولايات المتحدة تتمتع للأسف بالقدر نفسه من النفوذ أو القدرة على محاربة داعش في سورية بسبب الخطوة المناقضة للاستراتيجية الأميركية التي اتخذها ترامب وقضت بالتخلي عن حلفاء البنتاغون الأكراد المخلصين وعن القواعد الأميركية في أواخر العام 2019. وفي محافظة الحسكة شمال شرق سورية، كانت قوات سورية الديمقراطية تحرس عائلات مقاتلي داعش في مخيم الهول المنبسط على مساحة واسعة، والذي بقي جحيمًا من البؤس البشري. كان وجود داعش في المخيم قويًا لدرجة أن المخيم أصبح معروفًا بـ «إمارة الهول». وبحسب منظمة سورية على طول، تمكّن تنظيم داعش من اختراق الطوق الأمني المضروب حول المخيم عبر دفع رشاوى كبيرة لعناصر الأسايش [الشرطة الكردية] مقابل تسليم مبالغ مالية لخلايا التنظيم النسائية العاملة داخل المخيم. وأفاد هذا المصدر أن «نساء داعش في المخيم يتمتعن بإمكانيات مالية كبيرة، ما يتيح لهن دفع الرشاوى للسماح لهن بالاتصال بالخارج، فضلاً عن شراء الأسلحة لتنفيذ العمليات»[148]. وعادةً ما كانت هذه العمليات عبارة عن اغتيالات لأسرى المخيم الذين اعتُبروا غير موالين للخلافة، ومن ضمنها عمليات قطع الرؤوس التي تتميز بها داعش.

داعش 2021 باقية في أراضيها الأساسية ومنتصرة في مو اقع جديدة

في الولايات المتحدة، بعد أن أقدمت عصابة ضمّت متعصبين للعرق الأبيض من جماعات ميليشياوية على غرار «أوث كيبرز» و «براود بويز»، على اقتحام مبنى الكابيتول في 6 كانون الثاني/يناير 2021، بدأ مكتب التحقيقات الفيدرالية بالتركيز على التهديدات الإرهابية المحلية اليمينية أكثر من التهديدات الإرهابية الدولية المتلاشية. ولكن، حتى فيما بدا أن التهديد الإرهابي الذي يطرحه جهاديو داعش تضاءل على الأراضي الأميركية، وأنّ الوجود الأميركي تراجعَ في العراق بسبب قرار ترامب المناقض للاستراتيجية (بالرغم من نصائح مستشاريه) ليقتصر على 2500 جندي بحلول 15 كانون الثاني/يناير 2021، استمرت الحرب المشتركة بين الولايات المتحدة والعراق على داعش. وأعلن البنتاغون وقتذاك:

148 «إمارة الهول: كيف حوّلت داعش مخيمًا شبيهًا بالسجن إلى معقل» 'Al-Hol emirate': How ISIS turns the prison-like camp into a stronghold، سورية على طول، 1 شباط/فبراير 2021

سنحتفظ بمنصة لمكافحة الإرهاب في العراق من أجل دعم القوات الشريكة بالقوة الجوية والاستخبارات، مع العلم بأن شركاءنا العراقيين ينفذون أصلاً معظم العمليات في العراق، بتمكينٍ من قوات الولايات المتحدة والتحالف. وبوسعنا الاستمرار بتقديم هذا الدعم لشركائنا العراقيين من خلال هذا المستوى المخفّض من القوات الأميركية. [149]

وهكذا، فإن الحرب التي بدأت في آب/أغسطس 2014 خلال عهد الرئيس أوباما ونائبه جو بايدن (الذي اشتهر بوعده «بمطاردة داعش إلى أبواب الجحيم») استمرت بعد أن أصبح بايدن القائد العام للقوات المسلحة. وفي حين كان تركيزه منصبًّا بوضوح على إعادة بناء اقتصاد بلاده بعدما دمرّه الوباء العالمي والتغلب على فيروس كورونا، إلا أنه أظهر أن الرئيس الجديد ما زال مركزًا على العراق وسورية حين شنّ غارة جوية في شباط/فبراير 2021 على ميليشيا شيعية مدعومة من إيران في سورية مسؤولة عن هجوم على متعاقدين أميركيين في أربيل بإقليم كردستان.

وحدث تطورٌ مشوق آخر في آذار/مارس 2021 حين حطّ ضيفٌ غير متوقع في مطار بغداد الدولي حاملاً معه رسالة أمل وتعافٍ كانت هذه الأمة التي دمرتها الحرب بأمسّ الحاجة إليها، في حدثٍ كان يفوق التصوّر قبل بضع سنوات - وهو البابا فرنسيس. وبعيدًا عن رفع علم الجهاد الأسود على الفاتيكان، كما تجاسرت داعش ووعدت، كانت أعلام الحبر الأعظم البيضاء هي التي رفرفت في النهاية بشكل رمزي في الموصل، العاصمة السابقة للنصف العراقي من دولة الخلافة. واستهلّ البابا فرنسيس زيارته التاريخية التي استمرت ثلاثة أيام بكلمة ألقاها من القاعة الكبرى بالقصر الرئاسي في العراق، قال فيها: «أتيتُ حاجًّا يحمل السلام»، وقال: «لِتصمتْ الأسلحة! وَلْنضعْ حدًّا لانتشارها هنا وفي كلّ مكان! لتتوقَّفْ المصالح الخاصة». [150]

بعد ذلك، وصل البابا وسط ضجة كبيرة إلى كنيسة سيدة النجاة الكلدانية في بغداد حيث خاطب رؤساء مختلف الطوائف المسيحية المحلية التي تضاءل عدد أعضائها من 1.2 مليون نسمة عام 2003 إلى 300 ألف نسمة بسبب المذابح والإرهاب الجهادي

149 «الولايات المتحدة تكمل إنقاص القوات في أفغانستان والعراق» U.S. Completes Troop-Level Drawdown in Afghanistan, Iraq. Defense.gov. 15 كانون الثاني/يناير 2021

150 «أتيت حاجًّا: البابا فرنسيس يبدأ زيارة تاريخية إلى العراق» ‹I Come As A Pilgrim›: Pope Francis Begins Historic Visit To Iraq، الإذاعة الوطنية العامة، 5 آذار/مارس 2021

والتطهير الديني. وكانت زيارة البابا إلى هذه الكنيسة رمزية للغاية لأن هذه الكنيسة شهدت عام 2010 اعتداءً قاتلًا نفّذه تنظيم دولة العراق الإسلامية الذي أصبح في ما بعد داعش. ففي 31 تشرين الأول/أكتوبر 2010، اقتحم إرهابيو التنظيم الكنيسة خلال قداس مساء الأحد وذبحوا بلا رحمة 58 من المصلين وجرحوا نحو 80 آخرين.[151] ثم في اليوم الثالث والأخير من جولة البابا المحفوفة بالمخاطر في العراق، وصل إلى الموصل حيث كان الخليفة أبو بكر البغدادي قد أعلن قبل سبع سنوات من الجامع النوري أنه من واجب المسلمين الهجرة إلى خلافته وشن حرب مقدسة دموية على الكفار.

لكن البابا فرنسيس لم يدعُ إلى الانتقام بتاتًا، بل ترأس الصلاة مع الحضور رافعًا الدعوات إلى السلام والتفاهم، في تناقض جوهري مع تصريح البغدادي عام 2014 حين قال «إن للمسلمين اليوم كلمة عالية مدوية وأقداما ثقيلة كلمة تسمع العالم وتفهمه معنى الإرهاب»[152]. بدلًا من الدعوة إلى شن حرب مقدسة، على غرار ما فعله البابا أوربانوس في القرن الحادي عشر (واستمر الجهاديون في العديد من أراضي المسلمين، من أفريقيا إلى المحيط الهادئ، بفعله بعد ألف عام في القرن الواحد والعشرين)، صلّى البابا فرنسيس قائلاً: «نَرْفَعُ اليَوْمَ صَلاتَنا إلى اللهِ القَدِير، مِن أجلِ جَميعِ ضَحايا الحَرْبِ والنِزاعاتِ المُسَلَّحَة. هُنا في المُوْصِل، تَبْدُو واضِحَةً جِدًّا عَواقِبُ الحَرْبِ والعَداواتِ المأساوِيَّة». في رسالة دعت إلى قبول التعددية والتسامح مع أديان الآخرين، وهو ما كان متعصبو داعش يعتبرونه «فظاعة غربية»، أضاف البابا فرانسيس:

> «إنها لقسوة شديدة أن تكون هذه البلاد، مهد الحضارات، قد تعرّضت لمثل هذه العاصفة اللاإنسانية، التي دمّرت دور العبادة القديمة، وألوف الألوف من الناس، مسلمين ومسيحيين ويزيديين وغيرهم، قضى عليهم الإرهاب هُجّروا بالقوة أو قتلوا! واليَوْم، علَى الرَّغْمِ مِن كُلِّ شَيء، نَحنُ نُؤَكِّدُ مِن جَديد قَناعَتَنا بأنَّ الأُخُوَّةَ أَقْوَى مِن قَتْلِ الإخْوَة، وأنَّ الرَجاءَ أَقْوَى مِنَ المَوْت، وأنَّ السَّلامَ أَقْوَى مِنَ الحَرْب.»[153]

151 المرجع السابق نفسه

152 «الخليفة يحث المجاهدين أصحاب الكفاءات على الانضمام إلى الدولة الإسلامية» Caliph Urges Skilled Jihadists to Join ISIS. العربية، 1 تموز/يوليو 2014.

153 «البابا فرنسيس يدعو إلى الأمل بدل الكراهية وسط ركام كنيسة في الموصل» Pope Francis calls for hope over hatred amid ruins of Mosul church. واشنطن بوست، 7 آذار/مارس 2021.

بالإشارة إلى داعش، بعد زيارة كنيسة سيطر عليها الإرهابيون وتحولت إلى مجمّع للإرهاب، أعلن البابا فرانسيس أن صوت الرجاء «لا يُمْكِنُ أنْ يُخْنَقَ في وَسَطِ الدِّماءِ التي تَسَبَّبَ في إراقَتِها هؤلاءِ الذينَ يُشَوِّهونَ اسمَ اللهِ وَيَسيرونَ في طُرُقِ الدَمار». والواقع أن عجز داعش عن مهاجمة هدفٍ ضخمٍ ضخامةَ كاهن المسيح ورئيس المجتمع الكاثوليكي في العالم بتفجير انتحاري أو حتى هجوم بقناص، هو أمر غاية في الأهمية. فعجزُ المتمردين عن قتل أشهر رمزٍ للديانة «الصليبية» التي ما زالوا يرونها من منظار الحرب المقدسة العائدة للقرون الوسطى، يحكي عن تراجع كبير في القدرة على ارتكاب أعمال الإرهاب حتى في قلب الأراضي السنية التي قامت عليها دولة الخلافة السابقة. وفكرة أن يكون حَبر روما «الكافر» قادرًا على إقامة قداس على أرض «الدولة» (وإن كان ذلك بوجود كثيف للجيش العراقي والشرطة) لم يكن ليتخيّلها جهاديو داعش المنتصرون الذين فجّروا الكنائس المسيحية وقتلوا واستعبدوا أبناء المنطقة المسيحيين قبل أربع سنوات فقط.

مع ذلك، كان واضحًا بحلول ربيع 2021 أن تركيز داعش الحقيقي انتقل من مسقط رأسها في «سوراق» حيث دُمّرت قواتها الحكومية والقتالية الأمامية بين عامَي 2014 و2019، إلى أرض أكثر خصوبة في أفريقيا جنوب الصحراء. وهناك، استغلت التنظيمات الإرهابية الجريئة التابعة لداعش ضعف قوات الأمن وانتشار الفقر وسهولة التسلل عبر الحدود والوصول إلى الأسلحة، من أجل شن هجماتٍ ازدادت جرأة، بدءًا من حوض تشاد، حيث واصل تنظيم الدولة الإسلامية في غرب أفريقيا («ولاية غرب أفريقيا») نشر الفوضى، وصولاً إلى موزمبيق عند الساحل الشرقي من الإقليم السواحلي. وهناك أنشأت داعش جبهةً جديدة للجهاد عُرفت باسم «ولاية وسط أفريقيا». وأثبتت مقاطعة كابو ديلغادو الغنية بالغاز الطبيعي شمال موزمبيق أنها أرض خصبة لتوسّع «ولاية وسط أفريقيا» التابعة لداعش، المعروفة أيضًا بحركة الشباب أو أهل السنة والجماعة، التي تم تأسيسها في تشرين الأول/أكتوبر 2017.

في خريف العام 2017، قامت جماعة من المسلمين المحليين الذي تلقّنوا العقيدة على يد رجل دين متطرف، بمهاجمة مركز للشرطة المحلية بالمناجل فقطّعوا عناصره حتى الموت، داعين إلى تطبيق الشريعة الإسلامية. وعام 2019، بايعت تلك الجماعة الخليفة الجديد القرشي وتسلّحت بقذائف هاون وقذائف صاروخية كانت قد استولت

عليها. وبالرغم من غياب خدمة قيادة وتحكم مركزية من قيادة داعش في العراق، التي كانت مهتمة بصمودها أكثر مما كانت مهتمة بإرسال الدعم الذي أرسلته يومًا إلى ولايتها في ليبيا، اكتسب الجهاديون الموزمبيقيون سمعة سيئة من خلال تبنّي علم الخلافة، وللمأساة، شهوتها للذبح التي عاودت الظهور بعد انقطاع. وفي هذا السياق، أفاد أحد المرتزقة من جنوب أفريقيا الذي كان يقود وحدةً تقاتل ضد «ولاية وسط أفريقيا»:

هؤلاء الرجال مختلفون. ما يفعلونه بالأشخاص الذين يقبضون عليهم ويقتلونه هو شيء لم أره في أي مكان في أفريقيا، علمًا بأنني زرت أماكن كثيرة في أفريقيا. أَنْ تشوّه الناس بعد أن تقتلهم، وتقطع أجسادهم إلى نصفين، وتسلخ جلدهم، وتقطع رؤوسهم، ثم تقطع أطرافهم ... إنها وحشية لا تصدَّق.[154]

في آب/أغسطس 2020، فاجأت ولاية وسط أفريقيا/حركة الشباب الحكومةَ بهجوم جريء تمكّنت فيه من هزيمة قوات الدفاع المسلحة في موزمبيق والاستيلاء على بلدة موسيمبوا دا برايا الشمالية، التي أعلنها التنظيم في ما بعد عاصمةً لولاية داعش. واستكمل جهاديو داعش ذلك الهجوم بالسيطرة على عدة جزر في المحيط الهندي خلال شهر أيلول/سبتمبر وإحراق فنادقها المخصصة للسياح الدوليين. ثم في ربيع 2021، أجبر هذا التنظيم، الذي كان يزداد عدوانية، أكثر من 700 ألف مدني على الفرار من أعماله الإرهابية (بما في ذلك قطع رؤوس الأطفال) وتكتيكات الأرض المحروقة التي ينتهجها. فأدرجت إدارة بايدن التنظيم على قائمة المنظمات الإرهابية الأجنبية وأرسلت القوات الأميركية المعروفة بالقبعات الخضراء إلى البلاد لتساعد على تدريب قوات البحرية الموزمبيقية لمحاربة التنظيم الذي استغلّ الفقر المحلي والإجحاف المرتبط باستغلال فرنسا المربح لموارد الغاز المقدّرة قيمتها بالمليارات. وبحسب ما أفاده أحد التحليلات عن تنظيم داعش الذي هدد الاستثمار الضخم لشركة توتال الفرنسية في شمال موزمبيق بالقرب من مدينة بالما، وهو أكبر استثمار في الغاز الطبيعي المسال في أفريقيا:

هذه ليست زمرة شباب همجيين غير منظمين، بل هي قوة مدربة ومصمِّمة استحوذت على بلدة واحدة وفرضت سيطرتها عليها، وهي اليوم تخوض معركة للفوز

154 «قطع رؤوس جماعي وثروة هائلة غير مستغلة: من داخل التمرد الإسلامي الغامض الذي يجتاح موزمبيق» Mass beheadings and vast untapped wealth: Inside the mysterious Islamist insurgency sweeping Mozambique. ياهو نيوز. 2 نيسان/أبريل 2021.

بمركز استراتيجي جدًا. لقد أثارت التساؤلات بشأن كامل استثمارات الغاز الطبيعي المسال، الذي يفترض أن يؤمّن لموزمبيق نموًا اقتصاديًا كبيرًا على مدى سنوات عديدة.

بعد ذلك، نجح مقاتلو حركة الشباب الداعشية في نيسان/أبريل 2021 في نصب كمين لموكب من العمّال الأجانب الذين كانوا بصدد الفرار من موقع للغاز الطبيعي المسال تابع لشركة توتال بمحاذاة بالما، فدمّروا عشر شاحنات وقتلوا عددًا من المغادرين. وتبجّح التنظيم أيضًا بقتل المسيحيين في هجومٍ مخطط بعناية على بالما. وبعد عشرة أيام من النهب، تمكّنت القوات الموزمبيقية من تحرير بالما من الجهاديين الذين خلّفوا وراءهم مصارف وشركات ومبانٍ حكومية مدمَّرة.

وفي دلالة على مدى مرونة الجهاد الداعشي في العالم بالرغم من انهيار دولة الخلافة، حدثَ في 28 آذار/مارس 2021، أي في اليوم نفسه الذي عمل فيه أسطول قوارب مدنية على إجلاء مجموعة أخرى من العمّال الأجانب من موقع هجوم حركة الشباب في بالما، أن قام جهاديان متزوجان حديثًا بتفجير نفسيهما عند مدخل كنيسة كاثوليكية في بلدة ماكاسار الإندونيسية، متسببين بجرح 14 مسيحيًا كانوا يشاركون في قداس الشعانين. وبذلك استمرت داعش بإحداث الفوضى في أراضي ولايات خلافتها البعيدة فيما استمر التنظيم الأساسي في تأجيج ألسنة اللهب من معاقله النائية شمال العراق.

نار الجهاد خفتت ولكن لم تخمد

يمكن الافتراض أيضًا أن أتباع داعش الفرديين (الذئاب الوحيدة)، أو ربما أعضاء الخلافة الناجين المختبئين في الجبال شمال العراق، تنبّهوا بأي سهولة تمكنت عصابة من مناصري ترامب، أقل إجرامًا منهم بأشواط، من اختراق قلب الديمقراطية المقدس في أميركا والوقوف على قيد أنملة من أعلى هيئة تشريعية في أرض «الشيطان الأكبر». ولا يزال في مناطق داعش الحيوية في الشرق الأوسط الآلاف من الجهاديين السُّنة الذين يؤمنون بمهاجمة الكفار الأجانب والعودة الإلهية إلى السلطة. وسيكتسب الكابيتول بالنسبة لهؤلاء أهمية أكبر كهدف رمزي بعد السادس من كانون الثاني/يناير.

من بين المتشددين الذي تعهدوا بمواصلة الجهاد ضد الغرب وضد الشيعة، رجلٌ عراقي منتمٍ إلى داعش يدعى مهنّد تم اعتقاله قرب الموصل. وقال ابن الواحد والثلاثين

عامًا: «حتى إذا خسرت داعش الموصل والرقة، ستبقى موجودة في أماكن أخرى. فالخلافة لن تدمَّر». مع أن هزيمة الدولة الإسلامية أدت إلى تدمير البنية التحتية في الرقة ومنبج السورية، التي كانت تُستخدم لإرسال الخلايا الإرهابية إلى أوروبا و «مضاعِفات القوة» إلى مناطق مثل ليبيا، لا يزال الغضب المستعر الناشئ عن قلب الحكم السني عام 2003 على يد أميركا وبالتالي إشعال الجهاد في العالم، وعن قتل السُنة في سورية على يد نظام الأسد، مشتعلاً في قلوب الكثير من «جنود الخلافة».

إنّ الحلم بنظام ديني عسكري سُنّي «ثابت ودائم التوسع» قائم على ذكرى العباسيين، الذي تجدَّدَ في مخيلة الجهاديين الجماعية في صيف 2014 المصيري، لا يزال يسطع في أذهان المتعصبين أمثال مهند. فمسعى البغدادي الجريء إلى إقامة خلافة حديثة ودعواته إلى المسلمين لارتكاب أعمال إرهابية بأنفسهم، أشعل مخيلة آلاف المتمردين والأتباع حول العالم، وحتمًا عدد صغير من الجهاديين «النظريين» الذين تعلّموا التطرف بأنفسهم (كأولئك الذين نفذوا الهجمات في بريطانيا وفرنسا عام 2020 والنمسا عام 2021). ولا يزال العديد من هؤلاء المناصرين المتعصبين يؤمنون بما تمثله الدولة الإسلامية. ولا شك أنهم يضمّون إرهابيين منفردين (أو خلايا كتلك التي تم تعطيلها في ألمانيا خلال ربيع 2020) يشعرون بفريضة الهجوم على بلدان «الكفّار» في دار الحرب التي أبادت نظامهم الديني المثالي في الشرق الأوسط.

وإلى حين إخماد حرائق الغضب التي أشعلها الزرقاوي وخلَفُه البغدادي بالكامل عن طريق معالجة الأسباب الكامنة وراء التمرد السني في العراق وسورية، فإن نيران الإرهاب الدموية، التي أشعلتها إطاحة أميركا بالحكم السني القائم منذ قرون في العراق عام 2003، ستستمر بالاحتراق. بالرغم من فقدان إمبراطورية داعش في الرمال، من المرجح أن يستمر المتعصبون الذين حوّلوا أنفسهم إلى متطرفين، و «الوكلاء» المتمرسون في القتال، وجهاديو الصحراء أو الأدغال، في تأجيج العاصفة النارية لنزعةٍ أفضل ما يمكن تسميتها به هو «الداعشية»، تلبيةً لدعوة البغدادي المليئة بالكراهية: «حوّلوا ليل الكافرين نهارا، وخربوا ديارهم دمارا، واجعلوا دماءهم أنهارا».

المناقشات

حسن أبو هنية:

أتفق مع ما طرحه البروفيسور براين في ورقته بالمجمل، وأضيف أنّ التنظيم تحول من حالة المركزية إلى حالة لا مركزية، وبالتالي تخلى عن السيطرة المكانية أو الجغرافية ليس طبعا بإرادته، بل بعد وجود قوات التحالف بأكثر من مشاركة ثمانين دولة، فضلا عن القوات المحلية سواء على الجانب السوري بالشراكة مع قوات سورية الديموقراطية، أو في العراق بالشراكة مع القوى العراقية طبعا، وبالتأكيد قوات البيشمركة وأيضا حتى في فروع الأخرى. مع وجود تحالفات عديدة في أفريقيا سواء مع مجموعة الخمسة في جنوب الصحراء والساحل، أو التحالف الذي حول بحيرة تشاد، وأيضا حتى في الولاية الأخيرة في موزمبيق بوجود قوات أخرى.

بالتأكيد التنظيم تحول من حالة حروب السيطرة المكانية إلى حروب الاستنزاف والعصابات، فهي إستراتيجية حتى قبل سقوط تنظيم الفين وسبعة عشر أعلن عنها أبو بكر البغدادي، وكذلك العدناني، وهو ما يسمى حرب الصحراء. عودة أخرى إلى تطوير الصحراء كما فعل التنظيم في الفترة الأولى إبان فترة الاحتلال الأميركي الأولى (2006-2010)، وعندما انحاز إلى صحراء الأنبار، وأنشأ هناك بنى تحتية كبيرة. التنظيم كان واعيا في فترة مبكرة من عام ألفين وسبعة عشر وقام بحرب الصحراء، وبالتالي شاهدنا تحديا للأجهزة الأمنية سواء في قوات سورية الديموقراطية أو العراقية يطرح السؤال أين ذهب سلاح داعش؟ الجواب أنّه نقل كميات هائلة من السلاح، ولذلك، إذا رأينا تكتيكاته، نستخلص أنه كان يعتمد منذ سقوط آخر جيب في منطقة البرغوث في آذار- مارس 2019، في معاركه على الاقتصاد في استخدام القوة العسكرية، وكذلك في التمويلات المالية، ويبقي على المخزون الاستراتيجي له في مناطق شاسعة بناها تحت الأرض. على مدى السنوات. استثمر هذه التمويلات التي كانت تتوافر له بالمليارات وعمل على إخفائها.

نعلم أن هذه المناطق شاسعة، نتحدث مثلا في العراق وسورية عن مساحات واسعة في صحراء الأنبار، أو كذلك في البادية السورية. وأيضا هذه المساحة المشتركة أسماها مثلا في العام 2014 تنظيم الدولة الإسلامية «ولاية الفرات» التي تجمع بين الشرق، يعني

الجانب العراقي مع السوري بمعنى القائم في البوكمال، وهذه مناطق شاسعة جدا، بمعنى أنها تأخذ مساحات كبيرة في العراق وسورية وليس من السهل تعقبها بقوات تقليدية، فهي تحتاج قوات مكافحة التمرد على درجة عالية من الاحتراف غير متوفرة لا في العراق ولا في سورية، كما نعلم أنّ هذه المجهودات كان ينفذها التحالف الدولي وتحديدا الولايات المتحدة الأميركية التي تمتلك القدرة الاستخبارية وكذلك طائرات الدرونز، وهذه غير متوفرة للجيوش المحلية، وشاهدنا عمليات استعراضية قامت بها القوات العراقية بغية حملات استعراضية للتصوير، لكن ليس هناك أي نتائج على أرض الواقع. وبالتالي التنظيم تحول من حالة الخلافة إلى حالة المنظمة. منظمة بيروقراطية متماسكة نعلم أنه بمجرد مقتل البغدادي تم تعيين هيكلة وإعادتها بشكل مباشر بقيادات أبرزها إبراهيم الهاشمي وعبد الله قرقاش، وسعيد المولى (رجل خبير وأمني ومتمرس ذو خبرة طويلة في التنظيم) كان حتى في وجود البغدادي يمثل الرجل الأخطر في داخل التنظيم، وربما وفرت إزاحة البغدادي مساحات أخرى من ناحية استراتيجية.

منذ عام 2014-2015 استثمر التنظيم في مناطق أخرى في ولاية خراسان. نحن الآن نشهد عملية انسحاب أميركي في أيلول سبتمبر، كما تحدث رئيس هيئة الأركان الأميركية في خبر مباشر بأنه لا ضمانات بعد الانسحاب الأميركي من عودة طالبان، وهذا بالتأكيد ليس غريبا لأنه معروف، وهذا يعني عودة مرة أخرى تنظيم ولاية خراسان المتمركز في (ننغرهار) في جنوب شرق أفغانستان وفي مناطق عديدة وله عمليات في عدة ولايات سوف يكون أكثر راحة لأنه ستكون أولوية حركة طالبان هي اصطدام مع الحكومة الأفغانية، وهذا سيفتح مجالات واسعة لتنظيم الدولة بشكل كبير. مثلا إذا نظرنا إلى الخارطة يتكلم عنها بريان في إفريقيا منذ العام 2015 شاهدنا كيف التنظيم أنشأ ولايات في الصحراء والساحل بقيادة أبو وليد الصحراوي. كيف تمدد في هذه الدول الخمس من تشاد إلى مالي إلى النيجر إلى بوركينا فاسو وصولا إلى مالي.

نعلم الاضطرابات الموجودة هناك في بوكو حرام في شمال غرب ولاية غرب إفريقيا بأنّ التنظيم استطاع أن يقضي حتى على الخصم الذي بايع أبو بكر شكوى، وبالتالي أصبح متفرداً في منطقة حول بحيرة تشاد والقوات المحلية التي تعمل لقوات الاتحاد الإفريقي في مجموعة التحالف الدولي وكذلك في الصحراء والساحل، بينما مجموعة جي فايف دول القوات الخمسة غير قادرة على مكافحة التنظيم. أما الولاية الأحدث التي

أنشأها التنظيم فهي في ولاية وسط إفريقيا التي تضم الكونغو وموزمبيق. وشاهدنا كيف قبل شهرين نفذ هجوم وسيطر على منطقة بالما شمال موزمبيق، وتمكن من إنشاء تحالفات مع حركات محلية. إذن خريطة انتشار التنظيم ممتدة، وفي جنوب شرق آسيا لا يزال له فروع، فضلا عن ولاية سيناء.

التنظيم بات قاريا فعلا. يتمتع بقدرة الآن أكثر حركية في التنفيذ. عندما كان له سيطرة مكانية على الأرض كان محاصراً ويعاني من مشكلات في الإدارة والحكم والسكان، إلا أنّ التنظيم متفرغ الان. أعتقد لا يوجد هناك تراجع. والأهم أنّ هذه الوضعية هي تداخل الجيوسياسي بالإرهاب، بمعنى أن مصالح دول هناك الآن ليست من أولوياتها مكافحة الإرهاب، بل ربما في المرتبة الثالثة، والولايات المتحدة الأميركية تنسحب باتجاه آسيا والمحيط الهادي، مما سيفتح الطريق للتنظيم فعلا يتحرك بشكل أكبر. ولذلك حتى التنظيم يقتصد في العراق ليس لضعف بل في انتظار فهم ماهية الصراع بين المليشيات الشيعية وما سيسفر عن انسحاب القوات الأميركية، وهو يدرك تماما أن هذه القوات ستنسحب، وبالتالي سيصبح هناك حالة من الفراغ، وشاهدنا التنظيم عندما يريد أن ينفذ هجمات استعراضية يفعلها بكل سهولة كما شاهدنا مثلا عندما يهجم التنظيم في محاولة بحيرة تشاد وعلى مدى أشهر وخسارة مئات الجنود، ثم التنظيم يعود يسيطر كذلك في الشمال، كذلك وسط الصحراء والساحل، وبالتالي أعتقد ما يثبته هذا أن هذه القوات في هذه الدول تعاني من مشكلات ذات طبيعة سياسية وأيديولوجية واجتماعية واقتصادية، ولا يوجد هناك لديها الكفاءة دون وجود قوات سواء من الفرنسيين أو الأوروبيين في إفريقيا وكذلك الأمر القوات الأميركية فتصبح وضعها في غاية الهشاشة.

نعلم وضعية هذه المناطق الهشة، والدوافع هناك ليس دائما الأيديولوجية، وتقدير حجم قوة داعش يصعب من مهمة الباحثين؛ فالإعلام يشوش الصورة حتى الآن. بعد كل هذه السنوات لا يستطيع معظم الناس تصور كيفية انهيار ست فرق عسكرية في الموصل، وبالإضافة إلى القوات الأمنية وقوات البيشمركة، ويتمدد التنظيم بثلاثمائة مقاتل مسيطرا على كل هذه المناطق الشاسعة، ويذهب باتجاه أربيل وباتجاه بغداد حتى تتدخل القوات الأميركية في أيلول- سبتمبر 2014، ثم تنطلق عملية الحل المتأصل في تشرين ثان نوفمبر بجروحهم الصعبة.

إذاً ما الذي يعنيه هذا؟ إن هذا هو الوضع المأساوي. هذه الدول هشة على الصعيد العسكري والأمني، رغم كل ادعاء، فإنها قوية على مستوى تحولها لقوات بوليس، بمعنى قمع المتظاهرين في ساحة الحرية في بغداد، لكنها غير قادرة على مواجهة تكتيكات رعب وعنف ينفذها تنظيم الدولة. التنظيم ينتظر اللحظة المناسبة لا أكثر ولا أقل، هو ينتظر ما ستسفر عنه كل هذه العملية، حتى الجيش المصري بكل قوته، فقد كان هناك ما يحير الباحثين ما الذي يجعل تنظيم بسيط في سيناء، ولا يستطيع جيش مصنف كأحد أقوى الجيوش في المنطقة أن يقضي على هذه الولاية.

كان هناك حيرة حتى من الإسرائيليين الذين كانوا في مجلس أمن القاهرة بمركز البحث القومي. لكن فيما بعد أدركوا أن هذه القوات غير مدربة غير جاهزة لمثل هذه التكتيكات. والحقيقة أن هذه هي الحقيقة المرة أنّ هذه الدول الديكتاتورية هشة عسكريا لكنها قوية بوليسيا في الداخل. وبالتالي أعتقد أن تمدد التنظيم بسهولة خلال سنوات بسيطة داخل أفريقيا أو في مناطق هشة الأخرى ليس بقوة التنظيم فقط، إنما بضعف وهشاشة الأنظمة المحلية على الصعيد العسكري والأمني.

كما ذكر برايان تنظيم الدولة كان يتحالف مع حركات محلية سواء بوكو حرام او التحالف الديموقراطي أو جماعة أهل السنة، كلها جماعات محلية. التنظيم يفعل شيئاً بسيطاً أنه ينقل خبراته الاستراتيجية والتكتيكية إلى هذه الحركات التي كانت تعمل بشكل بدائي قبل بيعتها لتنظيم الدولة الذي لديه خبرة عسكرية وخبراء عسكريين.

من المهم الإشارة هنا إلى أنّ المجلس العسكري التنظيم طوال تاريخه قاده ضباط في الجيش العراقي السابق بدءا من أبو عبد الرحمن العبيلاوي وليس انتهاء أبو مسلم التركماني، وحتى مراد جيليموف الآن، وكذلك كبار العسكريين كالجبوري مهند وغيره، وبالتالي لديه الخبرة لينقلها لهذه الحركات التي كانت تعمل بشكل بدائي جدا ولا تستطيع أن تفعل شيئا، بينما الآن تقيم نظاما وتشكيلات عسكرية ولديه استراتيجية واضحة.

عباس صالح

أوافق على ما ورد في ورقة بروفسور براين بشكل كبير جدا، وأحاول أن اكيّف ما ورد في الورقة من مفاهيم ومحاولة إسقاطها ما يحدث في الواقع الافريقي، وكذلك أؤكد على ما ورد في كلام الباحث أبو هنية بما يخص الحالة في أفريقيا، فعلا تنظيم

الدولة تمدد بشكل كبير كما نعلم الآن. خلافة داعش تعود إلى احتلال الأراضي إلى حد كبير، ولكن في أفريقيا تحولت بين العالم الافتراضي التي وردت في الجلسة الأولى لإبقاء الجهاز الدعائي وبالتالي الوصول إلى مجتمعات محلية كما نعلم في أفريقيا، إذ يتم إنتاج دعاية تروج للتنظيم من خلال اللغة المحلية. كما نعلم أن هنالك انتشاراً للتنظيم في شرق أفريقيا المسلمة مثل الكونغو الديمقراطية وفي شمال موزمبيق، حيث يتم إنتاج الروايات المتعلقة باللغة السواحلية التي تخاطب الساحل الحضاري الذي يضم أكثر من دولة في منطقة شرق أفريقيا، وكذلك غرب أفريقيا والساحل الكبير. يتم إنتاج للمواد المتعلقة باللغة المحلية، كذلك اللغة سواء لغة الهوسا وما شابه ذلك.

دعوني أرجع بشكل سريع، تأكيدا لما ذكره الأستاذ أبو هنية، بأن التنظيم فعلا في أفريقيا يتمدد، ولكن تمدد من خلال شراكات محلية، بمعنى أنّ التنظيم في منطقة الساحل الكبير وجد تنظيمات جهادية محلية، ووجد أن هذه التنظيمات تعاني من مشكلات تتعلق بالتهميش وغياب التنمية وانتهاكه، وبالتالي وجود مظالم محلية استطاع أن يسخّر هذه الموارد المحلية لبناء علاقات مع تنظيمات محلية.

كذلك أيضا ظهر التنظيم في منطقة الساحل الكبير وفي منطقة بحيرة تشاد وفي شرق أفريقيا فقد بنى على الذاكرة التاريخية، ففي منطقة بحيرة تشاد هناك خلافات تاريخية وانهارت على يد البريطانيين «خلافة سختو»، التي كانت عند الناطقين بلغة أو لسان الهوسا، وكذلك خلافة ماسينا وسط مالي حاليا، وتضم مالي، بوركينا فاسو، النيجر.

إضافة الى ذلك أعتقد أنّ تنظيم الدولة - كما ورد في ورقة براين ايضا- إذ وصف الفراغات الناتجة عن وجود حدود رخوة للدول الوطنية هناك، كما نعلم أنّ التنظيم قد توسع في سورية والعراق من خلال استغلال البادية وما شابه ذلك، ولكن في منطقة الساحل استثمر التنظيم حدود الوطن، وبالتالي استطاع أن يؤسس شبكات عابرة للحدود بشكل كبير. كما يعمل تنظيم الدولة في الصحراء الكبرى الآن، في منطقة مالي وبوركينا فاسو ودولة النيجر، وقد أشارت تقارير دولية إلى أنّ تنظيم الدولة والجهاديين الذين يتنافسون على النفوذ والسيطرة في منطقة الساحل الكبير عبروا من الدولتين الأخريين على الساحل في غرب منطقة خليج غينيا وساحل العاج. وبالتالي نعتقد أن

التنظيم ينتمي إلى منطقته التاريخية أو بمنطقة ميلاده في العراق وسورية، لكنه يتمدد بشكل كبير في أفريقيا.

أضيف هنا إلى ورد من حديث الباحث ماهر فرغلي أعتقد أن تنظيم الدولة أو الولايات التي تتبع تنظيم الدولة في هذه المنطقة بأفريقيا تكاد تغيب فيها هذه النقاشات تماما، وأعزو ذلك لسببين، على الرغم من أن التنظيم في أفريقيا بشكل عام يتمدد على أكثر من محور وولاية.

السبب الأول هو غياب مرجعيات فقهية، بمعنى أن تنظيم الدولة في سورية العراق الذي استمر لأكثر من ثلاث سنوات سيطرت عليه المجموعات والقيادات والرموز الفقهية العربية بشكل كبير، وبالتالي فإنّ هذه المجموعات لا يوجد بينها قيادات أو مرجعيات فقهية معروفة ومألوفة لدينا وغائبة تماما في الولايات الإفريقية.

السبب الثاني أنّ معظم الولايات التي تتبع لتنظيم داعش أو بايعت تنظيم داعش من تنظيمات في أفريقيا هي ولايات حديثة تحارب مع التنظيم، إلا أنّ هناك تجارب أو ذاكرة تاريخية عززت الخلافات في هذه المنطقة، خلافة سختو وخلافة مآسينا، وبالتالي فإنّ المحاربين بتنظيم الدولة من هذه الولايات يحاولون الارتباط بالتنظيم للاستفادة من موارد وإمكانات التنظيم وبنيته التحتية، إضافة الى استعادة الذاكرة التاريخية لهذه المجتمعات.

حسين الصرايرة

إن تنظيم الدولة الإسلامية كان مقتصرا في بداياته على العراق والشام. هذه الفكرة موجودة الآن في أفريقيا وفي المناطق التي تتسم بعدم وجود الظل الأمني فيها. حيث يجب أن نطرح الأسئلة التالية: هل الانتشار أولا افتراضي؟ أم أن العوامل تتشابه في كل مكان؟ أم أننا نتحدث عن أي مكان لا نجد فيه سياسة أمنية مشددة وواضحة تجاه هذه الجماعات تبرز فيها هذه الجماعات وتكثر؟

محمد أبو رمان:

خلال الدراسات الأخيرة لاتجاهات التطرف في الأردن بعد انهيار التنظيم في العراق وسورية من خلال قضايا محكمة أمن الدولة الأردنية وتفاصيلها، أنّ هناك تغيرا في

الاتجاهات السابقة. كان أغلب المقاتلين الأردنيين يذهبون إلى العراق وسورية، ومعروف أنّ هناك آلاف الأردنيين انضموا إلى داعش في العراق وسورية بالقضايا من عام 2018 الى عام 2021. أغلب الذين حاولوا الذهاب والالتحاق بالتنظيمات المتطرفة كانوا يذهبون إلى ولاية خراسان أي افغانستان. والطريف في الموضوع أن التنظيم بسرعة أعاد بناء الشبكة الإقليمية فينتقلون من الأردن إلى تركيا، مرورا عبر إيران تهريبا وصولا إلى أفغانستان.

ما أريد أن أصل إليه هنا: إن التنظيم إذا خسر مكانا ما ينتقل الثقل من مكان إلى مكان آخر. ونلاحظ الآن أنه في القارة السوداء، لأن الظروف السياسية والاقتصادية والأمنية والأزمات الداخلية تساعد على إيجاد التنظيم موطئ قدم فيها. صحيح خسر ليبيا بشكل كبير، لكنه الآن موجود في الصحراء الأفريقية، وفي شرق أفريقيا وفي إفريقيا الوسطى وحضور في أفغانستان وباكستان.

القضية الأخرى المهمة أنّ داعش لما تشكل وانتقل من الحالة العراقية إلى الحالة العالمية كما وصفت بالصراع على الجهادية العالمية، أصبحنا أمام أكثر من مستوى: المستوى أو المنظور الأول يكمن في انقسام الجماعات الجهادية ما بين داعش والقاعدة، فصار هنالك تنافس ما بين داعش والقاعدة الآن بعد انهيار تنظيم داعش تحولت إلى اللامركزية، كما ذكر الباحثون.

إلى أي مدى سيستطيع التنظيم الإبقاء على سمته العالمية بعدما أغرق في القضية الطائفية في العراق؟ ولذلك إحدى الفرضيات أنّ التنظيم انتقل من الخلافة الواقعية إلى الخلافة الافتراضية، بمعنى أنّ التنظيم لم يعد خلافة موجودة على أرض الواقع، لكن تمسك بها اسميا، وحاول الإبقاء على الخلافة في العالم الافتراضي حتى تبقى عالمية التنظيم موجودة كبديل عن تراجع التنظيم أو الخلافة على أرض الواقع.

النقطة المهمة الأخرى تتمثل في أنه في مرحلة معينة أصبح التنظيم بمثابة فيروس عالمي. رسالة عالمية مثل الذئاب المنفردة التي انتشرت في كل أنحاء العالم، في أستراليا وأوروبا وشمال إفريقيا. في كل مكان استطاع التنظيم أن يتحول إلى رسالة عبر الجهاز المحمول- الآيفون، يستطيع أي شخص أن ينضم إلى التنظيم، وهذا كان نقلة نوعية وحقيقية في أساليب التجنيد الجهادية. القاعدة تاريخيا، تنظيم نخبوي، فأي شخص

يريد الانتساب الى القاعدة فإنه يحتاج إلى مرحلة إعداد، واصطفاء، واختيار، وغربلة. أما داعش فهو تنظيم أفقي. هذه هي النقلة أو القفزة الخطيرة التي حدثت بعد داعش، فالتنظيم أتاح لكل شخص أن يصبح جزءا من رسالته العالمية. هنا القاعدة عولمت التنظيم أيديولوجيا. عندما نقلت ايديولوجيا الصراع من قتالها الأنظمة العربية إلى قتالها مع أميركا، لكن التنظيم عولم الجهاد عندما غير أساليب التجنيد وطرق الدعاية، وألاحظ الفكرة في دمج الأبعاد ما بين العدو القريب والعدو البعيد. لاحظ ما ذكره الأستاذ عباس أن التنظيم بنفس الوقت استخدم لغة أو رسالة عالمية استخدم اللغات المحلية. يخاطب الناس بالفرنسية، وخاطبهم بالكردية، وخاطبهم بالإنجليزية.

هذا التنظيم العولمي اليوم هو الرسالة العالمية التي تشكلت، السؤال هل ما زالت قائمة كرسالة عالمية؟ هل سيلقى كذلك، مثلا اليوم تراجع منذ 2018، لا توجد ذئاب منفردة بالمعنى السابق والعمليات بالمعنى السابق. لكن هل إذا ظهر التنظيم بقوة في أفريقيا سيكون بنفس قوة العراق وسورية؟ هل ستعود ظاهرة الذئاب المنفردة كما كانت؟ هل ستعود الحالة التي شكلها التنظيم؟ أم كانت لحظة تاريخية عابرة وانتهت. أم أنها تتطور وتدخل في مرحلة جديدة. هذه الأسئلة نحتاج كباحثين متخصصين أن نجيب عليها.

برأيي التنظيم دخل في مرحلة لا رجعة عنها بمعنى ان التنظيم يمكن أن يعود، الذئاب المنفردة يمكن ان تعود، لكن لن ترجع المرحلة السابقة.

ماهر الفرغلي

هناك الكثير من النقاشات المكثفة داخل التنظيم، أبرز هذه النقاشات حوار أبو الوليد الصحراوي في النبأ حول تلك النقاشات التي دارت في مالي وفي منطقة الساحل والصحراء مع التنظيمات المتفرعة من القاعدة، كذلك كان الإصدار الأخير لأبي مصعب البرناوي (زعيم) تنظيم داعش في غرب أفريقيا يجادل فيه حول مقتل أبو بكر شيكاو بسبب التطرف أو التشدد - من وجهة نظر الإصدار- موجها له العديد من الاتهامات بأنه كان يقتل عوام المسلمين وغيرها. هذه النقاشات موجودة داخل التنظيم، ففي حال قتل أبي بكر شيكاو جاء في طور تنافسي أو جاء في إطار صراعات وخلافات على القيادة، إلا أنّ هذه النقاشات استندت على المرتكزات الفكرية.

مروان شحادة

داعش لم ينته ويتحين الفرصة، لأنّ الظروف الذاتية والموضوعية التي ساعدت داعش على أن يتمدد ويتوسع وكذلك تنامي قدراته وقوته مازالت كامنة وموجودة، و الفشل السياسي للدولتين العراقية والسورية ودخول عوامل أخرى رغم (توفر) الحاضنة السنية كما ذكر الباحثون من العراق إلا أنّ الحاضنة ما عادت فاعلة، بمعنى أنها أصبحت ضعيفة لا تمتلك القدرة والفاعلية على إحداث التغيير أو حتى الدفاع عن نفسها، فبالتالي أتفهم أنّ قادة تنظيم الدولة الإسلامية داعش ربما يدركون أنهم لا يعولون كثيرا على ما يسمى الحاضنة السنية، فالتجربة علمتهم أنّ الحاضنة السنية ضعيفة غير قادرة على الدفاع عن نفسها، وهي بسبب عجزها وضعفها لا تستطيع أن تشتبك مع المليشيات الشيعية، بل تحاول كسب ودها على الأقل وتجنب شرها.

أما فيما يتعلق في الساحل وأفريقيا فإنني اطلعت على الواقع هناك خلال زياراتي الميدانية لمنطقة الساحل الموريتاني ومالي في إفريقيا مع منظمة أطباء بلا حدود، وقمت بتأليف كتاب حول موقف الجماعات الإسلامية المسلحة من المنظمات الدولية الإنسانية، نظرا لما لمسته من حاجة ووجود فراغ معرفي وعملي في هذا الموضوع. الكتاب بعنوان «رسل تحت أزيز الرصاص»، وتمت ترجمته من قبل أطباء بلا حدود، وكذلك اللجنة الدولية للصليب الأحمر إلى اللغة الإنجليزية، وترجم للفرنسي والأفغاني. في المجمل في أفريقيا تطورات وقوى فاعلة، صحيح أنّ القاعدة الآن غير موجودة بالمعنى الدقيق أو الحرفي. إلا أنّ هناك جماعة جديدة جزء من مكوناتها هي تنظيم القاعدة، تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، وجماعة التوحيد والجهاد في غرب أفريقيا، وكذلك جبهة تحرير مآسينا والمرابطون وغيرهم من جماعة أنصار الدين، شكلوا ما يعرف بجماعة نصرة الإسلام والمسلمين. وهذه الجماعة بزعامة إياد غالي وينوب في قيادة هذه الجماعة زعيم جبهة تحرير مآسينا. وربما هذا التشكل الجديد تكوّن لمواجهة توسع وتمدد تنظيم الدولة الإسلامية وفروعه المنتشرة في غرب أفريقيا والساحل، لأن القيادات بزعامة أبو وليد الصحراوي وغيرهم من الذين يحملون الفكر الجهادي ويرتبط بعضهم بقيادات عالمية ومحلية بدأت تدرك تماما أنهم إن بقوا على حالة التشرذم وتسميات كثيرة، وعدم التوحد ربما سيذوبون ويتلاشون، كما حصل في العراق وسورية في ضعف

تنظيم القاعدة وربما تلاشيها بعد وصوله إلى تنظيم حراس الدين، لذلك قاموا بإنشاء هذا التجمع أو الاندماج.

أعتقد أنّ هذه الجماعات أصبحت تتمتع بحضور قوي في مالي، بوجود الجيوب لتنظيم الدولة الإسلامية في النيجر أو بحيرة تشاد أو نيجيريا وبوركينا فاسو، وحضورا أكبر في مالي تحديدا. خلق هذا الوضع تنافسا في الواقع بحكم أن المساحة شاسعة، وبحكم أنّ التنظيمات لها قبول في الحاضنة الشعبية في أفريقيا المكونة من الأعراق المختلفة، مثل الأمازيغ الذين يمثلهم إياد غالي والفلان وهم عرق من الأفارقة يمثلهم أحمد زعيم جبهة تحرير مآسينا، وكذلك جماعة التوحيد والجهاد. بمعنى آخر هناك مكون من النسيج العرقي الموجود داخل الساحل، مالي تحديدا، لهم علاقات وطيدة مع القبائل المنتشرة في مالي.

ما جرى من خلافات منذ بداية تشكل ولاية غرب أفريقيا ما بين الزعامة المعترف بها من قبل داعش لبوكو حرام، وما بين زعامة أبو بكر شيكاو الموصوف بالمجنون من قبل الجهاديين، وبالتالي تنظيم الدولة الإسلامية قرر في زمن أبو بكر البغدادي عزل أبو بكر شيكاو لتشدده وتركيزه على مسائل سفك الدماء، وهنا برزت أسئلة سميت السؤالات النيجيرية. وقد رد أبو مالك نشوان مسؤول الهيئة الشرعية في فترة من الفترات، على مسائل تتعلق باستهداف المدنيين ومدارس الطلاب، وكذلك حول الفيزا والتأشيرة. مثل هل تعطي عهد أمان؟ وغير ذلك من الأسئلة التي كانت محط إشكال لدى أفراد التنظيم والاختطاف وعمليات، حاول نشوان أن يضبط هذه المسائل ويربطها بقيود شرعية حتى لا يتم التوسع في استخدامها. فما جرى في أفريقيا أن أبوبكر شيكاو بقي على تمرده على تنظيم الدولة الإسلامية وعلى أبناء أبي يوسف، مؤسس جماعة أهل الدعوة والجهاد، أو ما عرف باسم بوكو حرام، أي التعليم الأجنبي حرام. وقد كتب أبو مصعب البرناوي أيضا كتاب خدع الورم في بيعة أهل الكرم، رد فيه على التعريض بشرعيتهم نفسهم لأنهم هم أبناء أبو يوسف مؤسس جماعة بوكو حرام. إجمالا فإنّ مقتل أبو بكر شيكاو بسبب هذه الخلافات والأسباب.

وفي أفريقيا بالمناسبة وعلى الرغم من الخلاف العميق ما بين رأي السلفية الجهادية العالمية القاعدة وامتداداتها ومآلاتها الممثلة بجبهة نصرة الإسلام والمسلمين وفروع

تنظيم الدولة الإسلامية في أفريقيا، إلا أنهم لغاية هذه اللحظة، على الرغم من التضليل والتكفير، لم يشتبكوا بالسلاح ولم يقوموا بالاشتباك فيما بينهم، بعكس ما جرى في العراق وفي سورية.

جودور جاليت

هناك حضور لتنظيم الدولة في أميركا اللاتينية، فإذا نظرنا الى انتشار التنظيم الجغرافي في هذه القارة من جانب حضورها الفيزيائي فقط، فإننا نكون قد أغفلنا جانباً مهماً ألا وهو الجانب الأمني، ذلك الاتجاه تجادل فيه دائما القوى اليمينية السياسية في الأرجنتين، بإعطاء الأولوية لمحاربة تواجد داعش وتوظيف ذلك الأمر لتطوير سياسات أمنية جديدة، السؤال الأبرز في حال ماذا لو قامت ما يطلق عليها الذئاب المنفردة بعمليات إرهابية كما حدث سابقا ضد السفارة (اسرائيلية) والرابطة اليهودية الاسرائيلية في الأعوام 1992 و 1994 على التوالي؟ مما خلق هواجس لدى دول أميركيا اللاتينية وأبرزها البرازيل وتشيلي والبيرو بإمكانية حدوث عمليات إرهابية مجددا من قبل التنظيم، على سبيل المثال جادل نائب سكرتير وزير الأمن في الأرجنتين بأنّ التنظيم كان فعليا يدرب مقاتليه على الأرض الأرجنتينية في العام 2016، كذلك وقعت حادثة أخرى مهمة عندما قام أحد مستخدمي منصة تويتر بتهديد الرئيس الأرجنتيني مرسلا منشوراته بصفته عضوا في تنظيم داعش، كذلك الأمر تشير المنظمة غير الربحية (Judicial watch) - التي مقرها في الولايات المتحدة- إلى وجود التنظيم (له أسبقية) في المكسيك وما يشكله من تهديد حقيقي هناك، مما دعا توحيد مواقف جميع المنظمات هناك وتنديدها بوجود تنظيم داعش.

المنظمات اليمينية هناك في الأصل ضد العرب وضد الإسلام، وقد وظفت هذا الأمر في خطاباتها السياسية، صحيح انّ التنظيم أصبح حضوره عالميا لما وفرته وسائل الاتصال في العالم الافتراضي بسهولة كما ذكر الباحث أبو رمان، إلا أنّ هذه الحقيقة وظفت من قبل الأجنحة اليمينية المتطرفة في أميركا اللاتينية كمصدر تهديد للأمن في تلك البلاد تماشيا مع سياسة الولايات المتحدة الخارجية.

حسن ابو هنية

إن تصنيف تنظيم القاعدة نخبوي بطبيعته ليس على صعيد القيادة فقط، بل على صعيد الأفراد ايضا، إلا انّ تنظيم الدولة نخبوي على صعيد القيادة، لا يستطيع أي شخص أن ينفذ منه إلى قيادة التنظيم مهما بلغ. ذلك أنّ هناك حلقات أكثر شدة داخليا. أما على صعيد تجنيد الأعضاء فداعش تنظيم شعبي، فلأعضاء لا يدخلون حتى في داخل الأجهزة الإعلامية أو البحثية أو العلمي، ولا في الحلقة الضيقة العسكرية والأمنية للتنظيم.

القضية الأخرى هي قضية الحاضنة. فهناك لغط واضح من سوء فهم لموضوعات الحاضنة الشعبية. فالحديث هنا عن ظروف وشروط وأسباب ومظالم عديدة تنشأ في بيئة ما تصبح بيئة حاضنة لتوفر الاستقطاب. لأن التنظيم في النهاية هو تنظيم عسكري على هذا الصعيد، بالتالي التنظيم يستقطب فئة محددة هي فئة الشباب وغير قلق على الفئات العمرية الكبرى، فهو يخاطب فئة الشباب من ستة عشر إلى أربع وعشرين سنة بشكل أساس - كأية شركة ناجحة- يريد أن يعرف من يخاطب، وهؤلاء الشباب يمتلكون تصورا مغايرا، ليس لأن الحاضنة لا تعني أن هناك قبولا لدى الناس. بل لا يوجد هناك في أي مكان قبول لأفكار داعش على هذا الصعيد!

الفكرة أن هناك سوء فهم. هذا ما حدث بعد الربيع العربي حاول بن لادن توظيف القضية الشعبوية عبر تكتيكات أو مفهوم أنصار الشريعة، لكن في الحقيقة أنّ تنظيم القاعدة يريد أن يصل بالناس باعتقاده، لديه تصورات يوتوبيا يريد أن يدفع الناس يقوة إلى جهاد الأمة. لتصبح الشعوب مقتنعة بهذا وتتبنى الجهاد وفق منظور القاعدة، ثم بعد ذلك تقيم نظام حكم إسلامي أو دولة أو خلافة بمعنى جهاد الأمة.

على الجهة الأخرى لا يطرح تنظيم الدولة التماهي مع الشعوب، لأنه تنظيم عسكري أمني، وبالتالي هو يطرح مسألة الطائفية، بمعنى أنّ هناك طائفة (لا تزال طائفة من أمتي)، ومجرد وجود هذه الطائفة التي تمتلك الشوكة والقوة التي تريد أن تفرض حكمها، وليس كما هي الحال بالنسبة لتنظيم القاعدة اليوتوبي الذي يريد أن يفرض الجهاد العالمي. وهذا هو سر نجاح داعش في قمع الحركات المحلية المختلفة معه، كما في أفريقيا أو جنوب شرق آسيا أو أي مكان، لأنه يتحالف مع مجموعات لديها ذات

الأهداف بالسيطرة وليست عملية النكاية، ولذلك هو التوجه مختلف هذه المرة.

في المرحلة الأولى للتنظيم تبنى خط اندماج الأبعاد (الجمع بين العدو القريب- الحكومات المحلية والقتال ضد الولايات المتحدة الأميركية- في فترة أبي مصعب الزرقاوي وكانت هناك بيعة للقاعدة، وتم تجسير الفجوة وصار أقرب لتنظيم القاعدة، لكن في المراحل التالية انفصل عن خط القاعدة، واستقطب الحركات الجهادية نحو أيديولوجيته، والمفارقة أن تنظيم القاعدة لاحقاً، بعد ثورات الربيع العربي والانقلاب عليها، هو الذي أ ذهب باتجاه داعش، وأصبح يقوم بالسيطرة على المناطق التي له حضور كبير فيها، كما وقع في المكلا في اليمن، وفي السيطرة في شمال مالي، فأصبحت القاعدة أقرب إلى نهج تنظيم الدولة وليس العكس.

في المجمل يبدو تنظيم داعش أكثر براغماتية و لديه رؤية استراتيجية بشكل أكثر وضوحا من تنظيم القاعدة الذي ما يزال يحتكم إلى اليوتوبيا، ويريد أن ينفذ هجمات نكاية، لكن هنالك تحولات ملحوظة لدى القاعدة، بعد هجمات سبتمبر، فهي لا تريد حتى أن تنفذ مثل هذه الهجمات على الإطلاق في المستقبل، تريد أن تركز على الشأن المحلي، مما يجعل من مستقبل تنظيم داعش هو الأخطر، وربما مرشح في المستقبل أن تنضم بقية الحركات إلى نهجه الأكثر نجاعة في تحقيق أهدافه من القاعدة الحائرة بين خطابها الأيديولوجي وواقعها المتراجع.

محمد أبو رمان

هناك مفاهيم وكلمات مفتاحية ندرك من خلالها كيف استطاع داعش أن يجنّد أعداداً كبيرة من الشباب وتبقى الشروط الموضوعية موجودة لكن قد تتغير النتائج. داعش لم يخلق الشروط وجاء نتيجة الشروط نتيجة الواقع. تجاوب مع الواقع هو جواب على الواقع.

غياب الديموقراطية في العالم العربي وانسداد الأفق السياسي، شعور الشباب بالإحباط بخيبة الأمل بالتهميش. كل ذلك أدى إلى أن يبحثوا عن بديل، ولاحظ كيف ذكر أبو هنية أن داعش انتشر واشتهر وتفشّى بعد الثورة المضادة في العالم العربي، بعد أن انهارت الحالة السورية كذلك بعد أن تدخل الجيش في مصر بعد أن انعكست الأمور، وكان واضحا أن داعش يستثمر جيداً في هذه المناخات والظروف، وكان هنالك أكثر من

خطاب للناطق باسم داعش في تلك المرحلة يعكس ما نتحدث عنه، كان يقول للشباب: تفضلوا هذا ما أدت به الديموقراطية. نحن لدينا مشروع أهم من الديموقراطية وأكثر صلابة وأكثر قوة.

التقيت ببعض الشباب الذين كانوا مع داعش في الأردن، في سياق بحث علمي، طرحت السؤال على أحدهم: أنت شاب مثقف وحاصل على درجة الدكتوراه، وفي مستوى اقتصادي جيد، ما الذي أغراك في مشروع داعش؟ ما الذي دفعك إلى قبول سلوك هذا التنظيم؟ فكان جواب الشاب: الشعور بأنه – داعش- يملك مشروعاً واضحاً وبسيطاً من دون تعقيد، يضع المشكلة بصورة صارخة ويقدم الجواب،

ما يمكن أن نستنتجه من جواب هذا لشاب أنّ داعش لديه أجوبة، لو تناقش حسن أبو هنية أو د. محمد العظامات أو مروان شحادة يعطونك ثلاثة آلاف جواب. داعش يعطيك جواب واحد، يعطيك تصورا واحدا، من الضروري إسقاط ذلك على الظروف الصعبة والقاسية والشعور بالاضطهاد والتهميش لدى الشباب فيقدم داعش لهم جوابا، هو جواب حاد نعم، لكنه سهل وبسيط. ذلك يفسر الكثير فداعش هو نتيجة المظلومية أو يستثمر ويستغل المظلومية، يستغل السياقات، يستغل الظروف الموجودة ويستفيد منها. صحيح أن التنظيم سقط وهوى، ولكن الظروف التي أنتجت داعش ما تزال موجودة في أغلب الدول العربية.

أعمل حاليا على دراسة الأردن ما بعد انهيار داعش وتأثير ذلك على التيار الجهادي في الأردن، ونختبر في هذه الدراسة الفرضية التي تقول إنّ داعش أغرى الشباب، وكان شعاره «الدولة الإسلامية باقية وتتمدد «، لكن الدولة انتهت لم تبق ولم تتمدد. فكان يفترض منطقيا أن تتراجع قدرة التنظيم على التجنيد، ويتراجع إعجاب الشباب فيه، وتتراجع الدعاية، فهل هذا ما سيحدث فعلاً؟!

المسألة معقدة، لكن الملاحظ أنه ما يزال هناك قدرة للتنظيم لاجتذاب الشباب، وهنالك اليوم في محكمة أمن الدولة في الأردن مثلا عشرات القضايا المتعلقة المتأثرين بتنظيم داعش، وبعدما أغلق الطريق للعراق وسورية، هنالك من يحاول أن يصل إلى أفغانستان وإلى دول أخرى، بمعنى المسألة ليست مرتبطة بالتنظيم بقدر ما هي مرتبطة بعلاقة المجتمعات المحلية ببعضها، وعلاقة الفرد بالدولة، وشعور الفرد بالانتماء،

ومدى توافر مساحات وفضاءات للشباب وللمجتمعات لأن تعبر عن نفسها سلميا، فطالما أغلقت هذه الطرق فإن الشباب سيبحثون عن طرق أخرى.

هنالك جملتان مفتاحيتان في فهم داعش، الأولى مذكورة في كتابنا تنظيم الدولة الإسلامية وتتمثل في أنّ داعش هو ابن شرعي للنظام السلطوي العربي وهو نتاج طبيعي لهذا النظام، مثل هذه السياسات لا تصدِّر الاعتدال بل التطرف. اما الجملة المفتاحية الثانية فهي للباحث الفرنسي المعروف، أوليفييه روا، بأنّ هنالك أسلمة للراديكالية، بمعنى أن الشروط التي تنتج الشعور بالغضب والتهميش والاحتقان الراديكالي موجودة، ولكن هذه الجماعات الجهادية أعطت لها أيديولوجيا إسلامية! وهذا يقودنا إلى نتيجة وصل إليها الصحافي اللبناني حازم الأمين: فتش عن السوسيولوجي قبل الأيديولوجي. ابحث عن الشروط السوسيولوجية الاجتماعية قبل أن تفتش عن الشروط الأيديولوجية.

الفصل الرابع

تركة داعش البشرية: العائدون والمعتقلون وبرامج التأهيل

يناقش هذا الفصل تركة تنظيم داعش بخاصة في الجانب البشري، ما يعني مصير عشرات الآلاف من البشر الذين التحقوا بالتنظيم أو كانوا تحت سيطرته، خلال فترة هيمنته على أراض شاسعة في العراق وسورية.

وبخلاف الحرب على الإرهاب، بمعناها العسكري، يبدو السؤال عن التركة الداعشية معقداً وصعباً بدرجة كبيرة، وهو تحدٍّ غير مسبوق، فلم يسبق لتنظيم إسلامي جهادي أن قام باستقطاب أعداد كبيرة من العائلات والنساء والأطفال، واقام مجتمعاً بالمعنى الذي حدث مع تنظيم داعش، فما أن انقشع غبار المعارك العسكرية حتى وجد المجتمع الدولي نفسه أمام آلاف العائلات، المصنفة بصور ودرجات مختلفة ومتباينة في معسكرات الاعتقال في العراق وسورية، سواء من العائلات المحلية التي ارتبطت بالتنظيم لسبب أو آخر، أو من القادمين من الخارج، ونسبة كبيرة من هؤلاء من الأطفال الصغار والنساء اللواتي قتل أزواجهن.

من هنا فإنّ جملة كبيرة من الأسئلة المهمة تطرح في هذا المجال: كيف سيتم التعامل مع هذه الأعداد الكبيرة؟ وما هي الاستراتيجيات الدولية والمحلية لكثير من الدول التي لها أفراد ضمن هذه المخيمات في عملية إعادة الإدماج والتأهيل، بخاصة للأطفال والنساء غير المتورطين في أعمال العنف؟ وما هي أسس التصنيف والتمييز بين الرجال الذكور من ناحية القضاء والمحاكمات، وهكذا نجد أن معضلة تركة داعش لا تقل خطورة عن معضلة التنظيم في مرحلة قوته العسكرية.

يسلّط الباحثان العراقيان د. علي طاهر الحمود ود. أحمد قاسم مفتن على أوضاع مخيم الهول، في محافظة الحسكة السورية، الذي يضم آلاف المرتبطين بتنظيم داعش، وعلى الأوضاع الإنسانية والأمنية والإشكاليات العديدة في التعامل مع هذا الملف.

كما يتناقش الباحثون في موضوع تركة داعش والأمثلة العربية والغربية المرتبطة ببرامج إعادة التأهيل والتعامل مع كم كبير من الأسئلة والتحديات في هذا المجال..

مخيم الهول .. تعقبٌ للمعطيات واستشرافٌ للحلول (ورقة سياساتية)

د. علي طاهر الحمود

د. أحمد قاسم مفتن

تمهيد

يشكل مخيم الهول عقدة التعامل مع اسر داعش ومن تبقى من عناصرها العقائدية من ناحية اعادة الدمج بالمجتمع. وسبق للحكومة العراقية التعامل مع تجمعات من اسر داعش في داخل العراق في المدة الفاصلة بين تحرير المناطق المحتلة من قبل داعش عام 2017 الى نهاية عام 2020، إذ خضعت تلك التجمعات الى عملية مراجعة طويلة شملت عزلا تاما عن المجتمع، وتحقيق أمنى طويل من قبل أجهزة عديدة، ثم إحالة المتهمين الى القضاء، ودمج المتبقي في مخيمات النازحين، ثم عودتهم الى مناطقهم. وبذلك لم يتبق من تلك التجمعات التي كانت تضم اسرا لداعش في داخل العراق شيء في الوقت الراهن.

ومن الواضح ان اسر داعش التي بقيت في العراق شملت في الغالب افرادا شعروا بخطر أقل على وضعهم، فيما هربت الاسر العقائدية المتورطة الى خارج الحدود، اذ شكل مخيم الهول أحد أكبر تلك التجمعات. ويمكن ان تعطي طريقة التعامل مع هذه الحالة دروسا مهمة في التعامل مع حالات مشابهة أخرى في سورية على سبيل المثال.

الموقع وظروف التأسيس (مراجعة وتمهيد):

تمثل الهول بلدة تقع في شرقي محافظة الحسكة، شمال شرقي سورية. وتعد المركز الإداري لناحية الهول المكونة من (22) وحدة بلدية. بلغ تعداد سكان الناحية (50.000) نسمة بحسب التعداد السكاني لعام 2016.[155]

تبعد البلدة نحو (40) كيلومتر (25 ميل) شرق الحسكة، على الضفة الجنوبية من وادي عطا الله، ولا تزال فيها عين تدعى عين الهول، والتي تقع جنوب البلدة، تحمل

155 المخطط المركزي للاحصاء، **نشرة السكان: ناحية الهول**، موقع كشاف، نشر بتأريخ 2020/6/6، شوهد بتأريخ 2021/3/28، على الرابط الالكتروني: https://cutt.ly/KRKSesN

المياه بعدما جف الوادي. ومن بين القرى المجاورة قرية الشيخ معد التي يوجد بها ضريح الشيخ معد في الشمال، على الجانب الآخر من الوادي.[156]

كما يقع شمال البلدة مفترق طرق يربط بين مركز المحافظة والحدود العراقية. يؤدي الطريق الشمالي الشرقي إلى تل حميس ومعبر ربيعة الحدودي، والطريق الجنوبي الشرقي باتجاه جبل سنجار يمر عبر البلدة من الجهة الجنوبية الشرقية، وصولاً إلى معبر مخفر أم جريس الحدودي، وتحيط بالبلدة قواعد عسكرية استخدمها الجيش السوري سابقاً.

أنشأت المفوضيّة الساميَة للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين مطلع العام 1991 إثر حرب الخليج الأولى مخيمًا للاجئين العراقيين بالقرب من بلدة الهول في ريف الحسكة الشرقي بالتنسيق مع الحكومة السورية، وأغلق بعد عدة سنوات عند انتفاء الحاجة إليه في حينها، وقد أُعيد افتتاح المخيم في العام 2002 واستمر إلى حين إغلاقه عام 2010.[157]

إلا أن سيطرة وحدات حماية الشعب على بلدة الهول في 13 تشرين الثاني 2015 دفع الأمم المتحدة لإعادة تجهيز المخيم بهدف استقبال النازحين السوريين واللاجئين العراقيين الفارين من معارك الموصل فيه، ومنذ ذلك الحين يخضع المخيم لحراسة أمنية من قبل قوات سورية الديموقراطية وقوى الأمن الداخلي (الأسايش) إضافة إلى الاستخبارات التابعة للإدارة الذاتية، ووفقاً للإجراءات الأمنية المتبعة، فيمنع خروج ودخول النساء المحليات من المخيم إلا بإذن خطّيٍ من إدارة المخيم وبرفقة عناصر من (الأسايش)، فيما يمنع خروج الأجانب من المخيم إلا في حالات الطوارئ أو بهدف تسليمهم إلى دولهم.[158]

يتشكّل مخيم الهول من سِتَّةِ أقسام، يتكوّن كل قسم من عدة قطاعات يتوزع في أحدها النازحون السوريون الذين لا تربطهم علاقة بتنظيم داعش، وفي قسمٍ آخر اللاجئون العراقيون، بينما تتوزّع عائلات السوريين المرتبطة بتنظيم داعش في قسم

156 موقع ويكيبيديا، **مخيم الهول**، شوهد بتأيخ 2021/3/26، على الرابط الالكتروني: https://cutt.ly/nRKF7JM

157 للمزيد ينظر: موقع بي بي سي عربي، **مخيم الهول، الملاذ الأخير لعناصر ونساء تنظيم الدولة الإسلامية**، نشر بتأريخ 2019/2/21، شوهد بتأريخ 2021/3/26، على الرابط الالكتروني: https://bbc.in/2RF9HWq

158 موقع آر تي أونلاين، **قوات سوؤيا الديموقراطية تسيطر على بلدة الهول**، نشر بتأريخ 2015/11/13، شوهد بتأريخ 2021/3/26، على الرابط الالكتروني: https://arabic.rt.com/news/800272

خاصٍ بهم، وتتوزّع عائلات عناصر التنظيم (الأجانب والعرب) من غير السوريين على قسمين، قسمٌ للأوروبيين منهم، وقسم للجنسيات الأخرى.[159]

تتوزّع عوائل العراقيين المنتسبين للتنظيم على القطاع الأول والثاني والثالث والسابع، بينما تتوزّع عوائل السوريين على القطاع الخامس والسادس والثامن، والقطاع الرابع فيه خليط من العائلات السورية والعراقية، وتجمع إدارة المخيم المهاجرات الأجنبيات وأطفالهن في قسم خاص.[160]

ولطالما تعرض عدد من اللاجئين العرقيين في مخيم الهول إلى العنف والقتل، مما يؤشر من ذلك خطر الجماعات الارهابية المتشددة المتواجدة في المخيم وتأثيرها على المقيمين فيه، كما يؤشر أيضاً، إن بعض اللاجئين العراقيين يعارضون توجهات وأفكار وأساليب تلك الجماعات الارهابية، مما عرض حياتهم للخطر والتصفية.[161]

تسعى الورقة الحالية إلى تقصي ظروف وأحوال ساكني المخيم، لا سيما العراقيين منهم، والبحث في تحديات ومخاطر إعادتهم للبلد، وما المشاريع والبرامج والأنشطة الكفيلة بإعادة تأهيلهم ودمجهم نفسياً وإجتماعياً وفكرياً. كما تستهدف الخروج بسلسلة من التوصيات سياسية الطابع، من شأنها رأب الصدع وإتخاذها خارطة طريق لحل المشكلات.

مخيم الهول (بيانات ومعلومات):

بعد انتهاء معركة الباغوز والقضاء على تنظيم داعش الإرهابي، نقل الرجال إلى السجون والمحتجزات، فيما أُخرجت النساء والأطفال دون سن العاشرة إلى مخيمي الهول و روج بمدينة الحسكة، أما الأطفال الذين تجاوزت أعمارهم (12) سنة فرحلوا إلى سجن الأحداث في قرية تل معروف التابعة لمدينة القامشلي والواقعة أقصى شمال شرقي سورية، ويضم مخيم الهول قسماً خاصاً بالنساء الأجانب وأطفالهن المتحدرين من دول غربية وعربية، وبلغ عدد المتواجدين فيه (حينها) نحو (10,734) فرداً، من بينهم (3,177) إمرأة، أما الباقين فهم أطفال دون سن الـ15.

159 عرابي عبد الحي عرابي، **مخيم الهول: بين سوء الإدارة ومخاطر التطرف**، موقع مركز جسور للدراسات، نشر بتأريخ 2020/9/1، شوهد بتأريخ 2021/3/26، على الرابط الالكتروني: https://jusoor.co/details

160 المصدر نفسه.

161 للمزيد ينظر: موقع آر تي أونلاين، **الحكومة العراقية: مخيم الهول أرض خصبة لإستنبات الجماعات الإرهابية**، نشر بتأريخ 2021/1/26، شوهد بتأريخ 2021/3/26، على الرابط الالكتروني: https://cutt.ly/BRKF0ii

تأتي روسيا على رأس القائمة، ويبلغ عدد النساء مع أطفالهن (2,010)، ونحو (50) امرأة وطفلاً من هولندا، ومن ألمانيا (160) سيدة مع طفلها، ومن أوزبكستان (458)، ومن كازاخستان (640)، بينما هناك (22) امرأة وطفلها من الجنسية الجورجية، و(22) من أذربيجان، ونحو (404) من طاجيكستان، ونحو (640) من تركمانستان، ومن أوكرانيا (134) سيدة مع طفلها. كما يبلغ عدد النساء العربيات المهاجرات وأطفالهنّ (1,453)، عدا العراقيات، ويأتي المغرب على رأس القائمة، ويبلغ تعداد النساء منه (582)، أما القادمات من مصر، فكان عددهن (377) امرأة وطفلاً، فيما كان عدد النساء اللاتي يتحدرن من تونس مع أطفالهنّ (251). بينما الجزائريات كن (98) سيدة وطفلها، والصومال (56)، ولبنان (29)، والسودان (24)، وليبيا (11)، وفلسطين (8)، والرقم نفسه من اليمن، و(9) من دول أخرى.[162]

ويضم المخيم أيضاً، وبحسب تقرير صادر عن منظمة هيومن رايتس ووتش، ما يزيد عن (30) ألف عراقياً، غالبيتهم العظمى من أسر تعيلها نساء، وغالباً ما تضم أطفالا كُثر، هرب بعضها من داعش عندما سيطر على أجزاء من العراق، وعاشت أخرى في ظل سيطرة داعش في سورية لغاية معركة استعادة الباغوز، الجيب الأخير في سورية، في بدايات 2019.[163]

وفي تصنيف آخر يبدو أكثر دقة بشأن أعداد السكان في المخيم، هيث يشير بأن المخيم يضم ما لا يقل عن (62,498) شخصاً، من بينهم (8,286) عائلة عراقية تمثل (30,694) مواطناً عراقياً، و نحو (6,270) عائلة سورية تمثل (22,626) فرداً سورية، فيما يمثل البقية نحو (9,178) فرداً من جنسيات أوربية وآسيوية وأفريقية وغيرها يشكلون نحو (2,677) عائلة.[164]

يغطي مخيم الهول مساحة تقدر بنحو (2.41) كليومتر مربع، ويبلغ مجموع عدد السكان فيه بين (62-69) ألف نازح ولاجئ، (92%) منهم من النساء والأطفال، ويضم نحو (13) منشأة تعليمية، ونحو (21) منشأة صحية. كما تبلغ نسبة الأطفال بين عمر

162 جريدة الشرق الأوسط، **مخيم الهول: أرقام وإحصاءات ودواعش**، العدد (15091)، 2020/3/23.

163 موقع كركوك الآن، **مخيم الهول يثير غضب الشارع الموصلي ويدفع بالساسة الى اتخاذ قرارات لمنع وقوع ازمة**، نشر بتأريخ 2019/8/1، شوهد بتأريخ 2021/3/26، على الرابط الالكتروني: https://cutt.ly/2RKFCBA

164 . موقع دبي- العربية نت، **وسط صمت دولي.. وضع كارثي في (الهول) والانفلات مستمر**، نشر بتأريخ 2021/1/8، شوهد بتأريخ 2021/3/27، على الرابط الالكتروني: https://cutt.ly/YRKFJcb

(6-11 سنة) من الذين يحصلون على تعليم نحو (29%)، فيما تبلغ نسبة الأطفال بين عمر (12-17 سنة) من الذين يحصلون على تعليم نحو (18%).

كما يبلغ متوسط دخل العائلة نحو (42) دولاراً أميركياً، و (1,5%) من السكان لديهم إعاقات،ونحو (2,2%) لديهم أمراضاً مزمنة، فيما تبلغ نسبة النساء الحوامل والمرضعات نحو (20%)، ويتشارك كل (21) شخصاً بمرحاض.

واجه (49%) من السكان عوائق للوصول إلى الرعاية الصحية، فيما تبلغ نسبة العوائل التي تنفق على نفسها من العمل أو المدخرات أو بيع الأغراض نحو (56%)، كما إن نحو (58%) من السكان واجهوا مشكلات تتعلق بالسكن من قبيل (فقدان الأمن ونقص الخصوصية ورداءة الخيم).

و اقع المخيم الأمني:

يشكل مخيم الهول أزمة تسعى معظم دول العالم إلى تجاهلها تجنبا لاستعادة مواطنيها الذين انضموا إلى عناصر داعش أو المشكوك بإنتمائهم إليه، إذ تتزايد الجرائم في المخيم بشكلٍ مضطرد، والذي يوصف بأنه أخطر مخيمات العالم كونه «قنبلة موقوتة»، حيث يضم مئات المتطرفات من زوجات عناصر داعش وأطفالهن. وبذلك تنتشر الفوضى والانفلات الأمني بصورة كبيرة داخله.

تتكرّر حوادث مختلفة بين الطعن والاغتيالات والقتل من قبل نسوةٍ متطرفات شكّلن ما يسمى بـ»الحسبة» في المخيّم، يهدفن إلى الدعوة لفكر التنظيم والدفاع عنه، و مراقبة تطبيق الفرائض الدينيّة، ومحاسبة العائلات أو الأشخاص الذين يرفضون تطبيق الفرائض أو يبتعدون عن تعاليم التنظيم، كما تعمَدُ هذه المجموعة إلى إنشاء حلقاتٍ تعليميّة موزّعة على قطاعات المخيّم في أيام مختلفة من الأسبوع، وذلك بهدف تدريس الأطفال فيها مبادئ الفكر الجهاديّ، خاصّة قضيّة الولاء والبراء التي تعدّ ركيزة الانطلاق نحو الغلوّ العنيف، إضافة إلى اتباعهن أساليب الترهيب المختلفة لمخالفي تعليماتهنّ كحرق الخيام المخالفة في بعض الحالات وقد تصل إلى قتلِ المستهدَف. إضافة إلى عمليّات الفرار والتهريب المتكرّرة التي تتمّ فيه، بالتوازي مع الإهمال الكبير الذي يعانيه المخيّم من قبل إدارته، في ظل غياب الحلول العمليّة والدوليّة، ممّا يهدّد بتفاقم الوضع الأمنيّ واستفادة تنظيم داعش من ذلك مرة أخرى.

يشير تقرير موسع نشره المرصد السوري لحقوق الإنسان تابع التطورات ضمن المخيم خلال العام 2020 إلى أنّ المخيم يعيش في ظل أوضاع إنسانية كارثية، إذ وثق المرصد وفاة (209) أشخاص منذ مطلع العام 2020، بينهم (95) طفلاً دون سن الـ 18، وذلك نتيجة سوء الأحوال الصحية والمعيشية، ونقص الأدوية والأغذية، والنقص الحاد في الرعاية الطبية، نتيجة تقاعس المنظمات الدولية أو قصورها، فضلاً عن عمليات الإغتيال والتصفية. وبذلك يصبح عدد الذين فارقوا الحياة في مخيم الهول منذ مطلع كانون الثاني- يناير من العام 2019 وحتى الآن نحو (694) فرداً، من ضمنهم (521) طفلاً دون سن الـ 18، حيث إن الأطفال الذين فارقوا الحياة هم من جنسيات دول متنوعة.[165]

165 موقع دبي- العربية نت، **وسط صمت دولي.. وضع كارثي في (الهول) والانفلات مستمر**، مصدر سابق.

كما تتواصل الفوضى المصحوبة بفلتان أمني، عبر تصاعد واستمرار عمليات القتل على أيدي أذرع تنظيم داعش للمتواجدين ضمن المخيم من مختلف جنسيات العالم، فشهد «الهول» (33) عملية اغتيال بأساليب وطرق مختلفة، طالت نحو (21) لاجئًا عراقيًا غالبيتهم من المتعاونين مع قوى الأمن الداخلي (الأسايش)، و (6) نساء (امرأة من حملة الجنسية الروسية، و2 من حملة الجنسية العراقية، و3 من الجنسية السورية)، و (6) رجال من الجنسية السورية بينهم حارس منظمة إغاثية تعمل ضمن المخيم.[166]

كما تستعد إدارة المخيم لإخراج جميع السوريين على دفعات خلال الفترة المقبلة، إلا أن نحو (16) ألفا منهم من المناطق التي يسيطر عليها النظام السوري، وهو ما يشكل عائقاً كبيراً لإخراجهم، حيث يتم التفاوض مع الأمم المتحدة لتأمين ضمانات لهؤلاء كي لا يتم التعرض لهم وملاحقتهم من قبل الأجهزة الأمنية، ولاسيما بأن غالبيتهم الساحقة من عوائل عناصر تنظيم داعش.

كما أن عدداً كبيراً من الذين خرجوا مؤخراً من مخيم الهول إلى مناطقهم، توجهوا إلى مخيمات ضمن مناطق قسد في الحسكة، لأسباب عديدة، أبرزها عامل الخوف لديهم من انتقام أهالي المناطق منهم بسبب أنهم من عوائل عناصر تنظيم داعش، فضلاً عن أن الكثير منهم تدمرت منازلهم بفعل العمليات العسكرية السابقة.

ومن جانب آخر، وفي السياق ذاته، فقد شهد المخيم منذُ مطلع 2020 نحو (30) عملية ومحاولة هروب لعوائل عناصر تنظيم داعش من جنسيات سورية وغير سورية برفقة أطفالهم، وفي غالبيتها كانت تجري بالتنسيق ما بين العوائل وحراس وعاملين ضمن المخيم، بينما تمكنت بعض العائلات الأُخرى من الهرب بعد دفعهم مبالغ مالية (رشاوى) لمسؤولين وحراس ضمن المخيم.

كما ذكرت مصادر مختلفة عن حوادث قامت فيها قوات الأمن الداخلي بإطلاق النار بشكل مباشر على قاطني المخيم. ففي 21 آذار/مارس 2019، على سبيل المثال، قُتِل خمسة نازحين بينهم طفلتين برصاص الأسايش أثناء قيامهم بتفريق مظاهرة خرجت في المخيم احتجاجًا على تردّي الواقع الإنسانيّ والصحّيّ والخدميّ فيه. وتشير أيضاً شهادات

166 المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

بعض السكان إلى انتشار التحرّش تجاه النساء اللواتي يتعرضن لمعاكسات يومية من قبل عناصر الأسايش، إضافة إلى استغلال الأطفال بهدف الإدلاء بمعلومات عن أهلهم وأقاربهم.[167]

فيما اكتشفت السلطات الأمنية مؤخراً شبكة لتزوير وثائق ثبوتية للعناصر المحتجزين في المخيم بغية تهريبهم منه، وضبطت مهم معدات للتزوير تشمل أختام وطابعات ليزرية ملونة وناذج متعددة لوثائق من جنسيات مختلفة، إذ أشار تقرير مفصل نشر على موقع يوتيوب عناصر الشبكة بعد إلقاء القبض عليهم. يشير ذلك وبشكل واضح أساليب وطرائق تسريب وهروب المحتجزين في المخيم وإمكانية إعادة تهديدهم للمجتمعات التي سيتواجدون فيها.[168]

مخاطر المخيم (ملحوظات بؤرية):[169]

1- يشكّل مخيّم الهول الحاضنة الأهم لأبناء عناصر تنظيم داعش وقادته المستقبليّين، كما أنه يضمّ أوسع مجتمع من المتأثّرين بفكره في مكان واحد، وهو ما لم يحصل في أوج قوة التنظيم.

2- يضمّ المخيّم ما يقرب من (40,000) طفلاً، يشكلون ما يقرب من ثلثي قاطني المخيم، معظمهم يتيم الأب، أو يتيم الأبوين، كما أن معظمهم ولد أو نشأ في مناطق سيطرة التنظيم، وتعرّض بدرجات مختلفة لفكره وسياساته قبل أن يدخل إلى المخيم، حيث أصبح يتلقى جرعات مكثّفة من هذه الأيديولوجيا، وفي ظروف لا يمكن أن تتوفر للتنظيم في أي مكان آخر في العالم.

3- تُسجّل بشكل دوري عمليات فرار من المخيم لعناصر مرتبطة بتنظيم داعش، حيث تتم هذه العمليات نتيجة للفساد المستشري في داخل المنظومة الأمنية المسؤولة عن حراسة وإدارة المخيم، حيث يقوم عناصر من هذه المنظومة بتهريب القاطنين في المخيم مقابل مبالغ مالية.

---

167 عرابي عبد الحي عرابي، **مخيم الهول: بين سوء الإدارة ومخاطر التطرف**، مصدر سابق، ص6.

168 للمزيد ينظر تفصيل التقرير، **توقيف شبكة تزوير أوراق ثبوتية لأجانب في مخيم الهول**، نشر بتأريخ 20 أكتوبر 2020، على الرابط الالكتروني: https://youtu.be/RVr_zVCFbR8

169 عرابي عبد الحي عرابي، **مخيم الهول: بين سوء الإدارة ومخاطر التطرف**، مصدر سابق، ص4.

4- يُمثّل القاطنون في المخيم مشكلة سياسية وقانونية للدول التي ينتمون إليها، والتي تُقدّر بنحو 60 دولة، حيث أن السماح بعودتهم يشي بنقل المخاطر الأمنية إلى هذه الدول، والدخول في متاهات قانونية للتعامل مع الأطفال الذين لا يملكون أية أوراق ثبوتية، وإلى غير ذلك من المشكلات.

5- وعلى ما يبدو، فإنّ بقاء وضع المخيم على حاله يمثل الوضع الأكثر ترجيحًا على المدى المنظور، حيث يُقدم هذا الخيار حلاً لأزمة الدول التي ينتمي إليها الأجانب القاطنون في المخيم، كما أنه يمثل ورقة قوة تحتاجها الإدارة الذاتية الكردية بشدة، إذ إن استمرار الإدارة أصبح مطلبًا دوليًّا باعتبارها «حارس المخيم الأخطر في العالم». كما يمتلك النظام السوري هو الآخر رغبة بالقيام بهذا الدور، والذي سيساعده في إعادة التأهيل دوليًّا، مستفيدًا من خبراته الطويلة في اعتقال غير المرغوب بهم غربيًا، واستقبال المعتقلين بالنيابة عن هذه الدول، ولذا فإنّ النظام سيتطلع إلى السيطرة على المخيم في حال انهيار الإدارة الكردية، نتيجة لانسحاب أميركي مثلاً، أو ضمن اتفاق مع الإدارة.

6- ومع استمرار الأوضاع الحالية في المخيم، واستمرار المجموعات المتطرفة الموجودة بداخله بنشر فكرها بين الأطفال والشباب، فإنّ المخيم يمثل خطراً داهما تزداد شدته يومًا بعد يوم، وقد يؤدي أي تغير أمني في المنطقة، مثل انهيار الإدارة الذاتية نتيجة لانسحاب أميركي مفاجئ، إلى خروج الآلاف من المنتمين أو المتعاطفين أو المتأثرين بفكر تنظيم داعش، بما يمكن أن يُشكل نقطة تحول للتنظيم، كما كانت لحظة هروب أو تهريب مئات من المعتقلين في سجن أبو غريب عام 2013.

7- وإلى جانب قاطني المخيم من المنتمين أو المتعاطفين مع التنظيم، يتواجد آلاف من الأشخاص السوريين والعراقيين الذين لا ذنب لهم إلا أنهم تواجدوا في المكان الخطأ وفي الوقت الخطأ. ويشكل بقاؤهم في هذه الظروف عقابًا لهم للمرة الثانية، بعد أن عُوقبوا بالعيش تحت حكم التنظيم، كما تُشكّل مصادرة حريتهم دون عرضهم لمحاكمة عادلة انتهاك للقواعد الدنيا للحقوق الأساسية التي كفلتها الشرعة الدولية لحقوق الإنسان.

آراء ومو اقف دولية ومحلية تنسج خيوط مصير سكان مخيم الهول

وصف مصطفى بالي مدير المركز الإعلامي للإدارة الذاتية والناطق باسم (قسد) أنّ إدارة المخيّم قد تصبح عاجزة عن ضبط قاطنيه، فالمخيّم –بحسب تعبيره- مدينة داعشية، فلا يمكن السيطرة على ما يقرب من (70) ألف شخص، وليس هناك من الحراس سوى ما يكفي لصدّ الهجمات الخارجيّة فقط، وأشار إلى أن «الوضع يزداد خطورةً» خاصة مع تحوّل المخيّم إلى «أكاديميّة تابعة للتنظيم».[170]

كما طالبت الولايات المتّحدة في 14/تشرين الثاني 2019 من الدول المشاركة في التحالف الدولي استقبال مواطنيها المنتسبين إلى تنظيم داعش الموجودين في سورية أثناء انعقاد اجتماع وزراء خارجيّة دول التحالف الدوليّ في واشنطن لمناقشة الخطوات المقبلة في مواجهة التنظيم. وفي الصدد ذاته صرّح جيمس جيفري المبعوث الأميركي الخاصّ بسورية بوجود خلافات بين الدول الأعضاء في التحالف بخصوص استعادة دول الأصل لمواطنيها من مقاتلي التنظيم المحتجزين في سورية والعراق.

من جانب آخر وفي السياق ذاته، عرض وزير الخارجية الفرنسي جان إيف لودريان، على بغداد مشروعًا لبحث آليّة دوليّة لمحاكمة عناصر داعش، كان من ضمن بنوده احتفاظ العراق بعناصر التنظيم الأوروبيين عامّة والفرنسيين خاصة، سواءً من خلال اقتراحه «بناء معتقلات ومخيمات ذات حراسة مشددة لنقل 10 آلاف عنصر من التنظيم إليها مع عوائلهم»، أو باقتراحه «إنشاءَ آليّة لمنح بعض العوائل المنتسبة للتنظيم الجنسية العراقية نظرًا لزواج الكثير من عناصر التنظيم الأوروبيين من النسوة العراقيّات اللواتي أنجبن أطفالًا منهم، وهذا كافٍ لمنح أولادهم وأزواجهم الجنسية العراقيّة»، إلا أن هذا الأمر لم يلقَ قَبولاً لدى الحكومة العراقيّة التي سارعت إلى رفض العروض الفرنسيّة يوم الأحد الموافق 2019/10/20، عبر بيان لوزارة الخارجية العراقية جاء فيه أنّ «العراق معنيّ بتسلّم الإرهابيين الذين يحملون الجنسيّة العراقية وعوائلهم، وسيُحاكمون في المحاكم العراقية وفق القوانين النافذة، وأنّ بغداد غير معنية بتسلّم عناصر التنظيم الأجانب وأن على دولهم أن تتكفّل بهم».[171]

---

170 موقع سبوتنيك عربي، **قسد تحذر من تدهور الوضع في مخيم الهول شمالي سورية وعودة داعش**، نشر بتأريخ 2019/9/30، شوهد بتأريخ 2021/5/1، على الرابط الالكتروني: https://cutt.ly/3RKZExf

171 د. عرابي عبد الحي عرابي، **داعش بعد البغدادي: تنظيم يقود معركة نحن هنا..قراءة في الاستراتيجيات والمآلات**، نشر بتأريخ 2020/1/6، مجلة ذات مصر، شوهد بتأريخ 2021/5/2، على الرابط الالكتروني: https://cutt.ly/gRKZDfg

فيما أكد مستشار الأمن القومي العراقي، قاسم الأعرجي في وقت لاحق، للسفير الأميركي في بغداد، ماثيو تولر، أهمية وضع حلول لمخيم الهول الحدودي، الذي يضم إرهابيين من جنسيات متعددة، لافتًا إلى تواجد نحو ما يزيد عن 20 ألف طفل في المخيم قد يصبحون عناصر في تنظيم «داعش» في المستقبل.[172]

راهناً، تواجه الخطة الحكومية العراقية، بشأن حل أزمة مخيم الهول السوري، تعقيدات كبيرة، بسب الرفض الحاصل لإعادة النازحين من الأوساط المجتمعية، وسط مطالبات بإيجاد حلول أخرى للأزمة الدولية. ومع وصول رئيس الحكومة مصطفى الكاظمي إلى منصبه في مايو الماضي، أوعز بحل أزمة المخيم، وإيجاد صيغة ملائمة لإنهاء خطره المتفاقم على العراق، بالتعاون مع الحكومة السورية، وقوات سورية الديمقراطية، فضلاً عن دعم دولي من واشنطن والأمم المتحدة وبريطانيا ودول أخرى.

وللوصول إلى حل مرضٍ، قدم خبراء أمنيون ومحللون ثلاثة سيناريوهات لحل أزمة مخيم الهول، بعد تفاقم مخاطرة، وتحوّله إلى بؤرة لإنتاج العناصر المتطرفة.

حيث طرح الخبير في الشأن العراقي رمضان البدران، سيناريو يتكون من 6 محاور ينبغي تطبيقها قبل عودتهم إلى العراق، حيث يرى إن «الخطة يجب أن تبدأ من العوامل النفسية والاجتماعية، والجنائية والقانونية، والاقتصادية والسياسية، لتبدأ بعدها رحلة نقلهم إلى العراق، مع مراعاة تلك الجوانب، وفرز الأشخاص، وفق تصنيفات محددة، فمنهم المتورط بأعمال الإرهاب، ومنهم من التحق اجتماعياً بحملة هذا الفكر، مع اتخاذ إجراءات مناسبة لكل واحد منهم». ويرى أيضاً أن «الملف بحاجة إلى دراسة واضحة وواقعية، تراعي مختلف الجوانب، لتفادي أية مشكلات قد تنجم عن تنفيذ الخطة، فهناك من يجب ترحيله إلى بلاده، وهناك آخرون ربما يُدمجون في بلدان أخرى، وهو أحد السيناريوهات المطروحة».

وفي السياق ذاته، أكد مسؤول في وزارة الهجرة العراقية، إن «الخطة المعدة تقضي بإخلاء المخيمات الحالية من نازحي الداخل، وهو ما حصل خلال الفترة الماضية، لإحلال ساكني مخيم الهول مكانهم وفق خطة دقيقة أعدتها عدة أجهزة عراقية بالتعاون مع

172 موقع سبوتنيك عربي، **مستشار الأمن القومي العراقي: مخيم الهول الحدودي قنبلة موقوته**، نشر بتأريخ 2021/3/18، شوهد بتأريخ 2021/5/15، على الرابط الالكتروني: https://cutt.ly/uRKZ5T0

عدة دول. وأضاف إن «الرفض الحاصل من بعض الأطراف ربما يكون مفهوماً لكن الحلول أمامنا محدودة، إذ من المقرر أن تمضي الخطة خلال عدة أشهر، ولا علاقة لها بقضية الانتخابات».[173]

الأطفال وعمليات إعادة الاندماج:

في واقع داعش وتداعياته، يعد الأطفال الفئة الأكثر تعرضاً لممارسات الجماعات المتطرفة من بين الفئات السكانية الأخرى، إذ يمارس التنظيم سياسات مقصودة مع الأطفال، لتعميق جذور العنف وترسيخ أيديولوجيته الراديكالية وليكون الأطفال إرثه للأمد البعيد.

أثرت ممارسات داعش الإرهابي سلباً على نفسية الأفراد عموماً في المناطق الخاضعة لسيطرتهم، وعلى نحو خاص على الأطفال، إذ اختفت مشاهد طوابير التلاميذ والطلبة وألوان ملابسهم الزاهية وهم يذهبون إلى المدارس، وفرض التنظيم مناهج تعليمية تتوافق مع عقائدهم وتوجهاتهم، وأُجبروا المعلمين على الخضوع لدورات في المنهاج وطرائق التدريس التي تؤدي بمجملها لتنشئة جيل أطلقوا عليه تسمية (أشبال الخلافة(، إذ جعلوا التعليم مقتصراً على الذكور فقط، وأخذوا يعلمونهم فنون القتال وحمل السلاح، وقطع الرؤوس، وكيفية القيام بعمليات انتحارية، وإن عمليات القتل الوحشية وممارسة العنف جعلت بعض الأطفال يتأثرون بها ويحاولون تقليدها، وتسببت لبعضهم الآخر بنوبات فزعٍ واضطرابٍ نتيجةٍ للصدمة.[174]

تعرّض الأطفال في المناطق الخاضعة لسيطرة داعش إلى أسوأ بيئة معيشية، نتيجة للصدمات النفسية الحادة والتكرارة الناتجة عن انتشار العنف والحرب والنزوح، فضلاً عن الإهمال المدرسي والحرمان والفقر، كما تكرر ذلك في مخيم النزوح، وتكون مثل تلك الظروف القاسية والمؤلمة مدمرةً لبنية الدماغ العضوية والوظيفية، لأن الدماغ في مرحلة الطفولة يمر بأهم مراحل تكوينه، إذ تؤدي الصدمات إلى التوتر والخوف والهلع لدى الأطفال، ويمثل ذلك خطراً بالغ الأهمية على صحتهم النفسية والبايولوجية، ويصاحبه

173 موقع سكاي نيوز عربية، **خبراء عر اقيون: ثلاثة سيناريوهات لحل أزمة مخيم الهول**، نشر بتأريخ 2021/5/19، شوهد بتأريخ 2021/5/20، على الرابط الالكتروني: https://cutt.ly/pRKXpAG

174 آسيا إسماعيل، **الأطفال هم الأكثر تضرراً من ممارسات داعش**، شوهد بتأريخ 2021/6/5 ، الساعة العاشرة صباحاً على الرابط الإلكتروني: https://cutt.ly/pRKX9oC

غالباً تغييرات فيزولوجية في الجسم، تنتج عنها تغيرات كيميائية في الدماغ، تخلق بيئة سامة لخلايا الدماغ، وتؤثر هذه البيئة السامة على وظائف تلك الخلايا، فضلاً عن تأثيرها على بناء وهيكلية الدماغ، وبسبب تلك التغييرات سينشأ الصغار بقدرات ذهنية ضعيفة، وقصور في التعليم، وباحتمالية عالية للإصابة بالأمراض النفسية، مثل الكآبة، وأمراض القلق بمختلف أنواعها، وكبت المشاعر داخلياً، أو الانفعال الشديد والغضب والعدائية، فضلاً عن ممارسة العادات الضارة مثل التدخين وتعاطي المخدرات.[175]

يحتاج دماغ الإنسان في مرحلة الطفولة إلى ما هو أكثر من الغذاء حتى ينمو ويتطور بشكل جيد. إن النمو والتطور يكمل أحدهما الآخر غير أنهما ليسا متطابقين: فعلى سبيل المثال، إذا كانت عضلات الطفل لا تنمو فلن يتمكن من تطوير المهارات الجسدية للركض واللعب. أما إذا نمت عضلات الطفل ولكن لم يلعب معه أحد ما، أو لم نعرض عليه طريقة للعب فهو لن يتعلم اللعب أيضاً. ولكي ينمو الاطفال ويتطورون فهم يحتاجون إلى الرعاية، والاستجابة، والتحفيز. والبيئة التي ينمو فيها الطفل هي التي تنحت دماغه، حرفياً. وعندما يستجيب أحد الوالدين أو كلاهما للطفل بطريقة دافئة وحنونة، فإن الطفل يتعلم أن احتياجاته ستلبى. فهو يشعر بالأمان والحب. ويتعلم الطفل التواصل عندما تغني له الأم أو تتحدث معه حتى قبل أن يتمكن من التكلم. وعندما يشجع الوالدان اهتمام الطفل بالعالم وفضوله فإن الطفل يسعى إلى التعلم أكثر. كل هذه الأنشطة تسمى التحفيز. ونقص التحفيز ونقص الجودة في علاقة الرعاية التي يعيشها الطفل في هذه المرحلة الحرجة من حياته سيوقفان تطوره العاطفي والاجتماعي والجسدي والمعرفي.

كذلك هناك دليل على أنه إذا عاش الطفل محنةً شديدةً ومتكررة أو مطولة (وكما هو الحال مع أطفال داعش) من دون تلقي الدعم من شخص راشد سوي المشاعر والسلوك والميول، فإن التفعيل المطول للتعامل مع الضغط النفسي يمكن أن يعيق تطور الدماغ، نتيجةً للحرمان العاطفي والحسي على الدماغ. وعندما يتعرض طفل ما لسوء التغذية ويفتقد الاستجابة الوالدية والتحفيز، يتفاعل هذا العجز مع عواقب عميقة وسلبية للطفل وتأثر على حياته في المستقبل المنظور.

175 أ. م. د. جمان مكي كبة، «**أطفال الحرب وما يحمله المستقبل: القنبلة الموقوتة**»، مجلة حوار الفكر، العدد 40، (بغداد- المعهد العراقي لحوار الفكر، حزيران)، 2017، ص105-106

اللعب هو المكون الأساسي لتحفيز الطفولة المبكرة، وهو محوري في التفاعل الجيد بين الأسرة والطفل. يمثل اللعب فرصة لاداء الأنشطة المهمة التي تحسن التطور الجيد. فالاطفال يتعلمون من خلال اللعب. واللعب يقوي الروابط بين الاهل والاطفال. يوفر اللعب منذ الولادة فرصة لتلقي وإظهار الحب من خلال الاهتمام الدافئ والابتسام والتحدث، كما يوفر فرص التواصل من خلال اللمس والتعبير والاصغاء وتجربة كلمات جديدة. وهو فرصة لاستكشاف العالم وفهمه من خلال اللمس والنظر والبناء وتطوير مهارات جسدية وحسية جديدة فيما هم يفعلون تلك الامور. واللعب يتطلب الاهتمام والتركيز. فهو يطور مهارات الطفل في حل المشكلات واتخاذ القرارات والتعلم. ويحسن اللعب العلاقات مع الوالدين وحتى مع الاطفال الاخرين، حيث يتعلم الاطفال التناوب والتعاون، ويتعلمون القواعد والمفاوضة وحل النزاعات. ومن خلال اللعب يمكن للاهل أن يقدموا نماذج عن الطرق الأفضل في جميع الامور المذكورة أعلاه ومن ثم يسمحون للطفل بأن يختبر ويستكشف بنفسه بأمان. كذلك يوفر اللعب مساحة لاختبار هويات متعددة. ويتقن الأطفال من خلال اللعب الخيالي وتمثيل الأدوار التعامل مع الخوف، ومع الأحداث المزعجة، ويستكشفون الأحاسيس الصعبة ويطورون المرونة المطلوبة للتعامل مع الضغط النفسي والخسارة. كما يمثل اللعب فرصة للاهل ومقدمي الرعاية لتوفير الاهتمام غير المجزأ للطفل ورؤية العالم من منظور الطفل نفسه.[176]

توجد أعداد متزايدة من الدلائل الواردة من أوضاع قليلة الموارد، على أن البرامج التي تهدف إلى تحسين تحفيز الطفل وتعزيز الرعاية الوالدية تترك آثارًا مفيدة على الصحة النفسية للطفل في المدى البعيد. كما تترك آثارًا إضافية إذا جمعت مع برامج التغذية. فهي تحسن نتائج نمو الاطفال وتطورهم على المدى البعيد. فعلى سبيل المثال، في دراسة عن أثر إعطاء المكملات الغذائية والتحفيز لأطفال ما بين سن التسعة أشهر إلى أربعة وعشرين شهرًا في جامايكا، ممن تعرقل نموهم وممن لم يتعرقل، تبين أن الأطفال الذين تعرقل نموهم ولكنهم تلقوا كلا التدخلين –الغذائي والتحفيزي- أسبوعيًا طوال سنتين، حققوا نتائج نمائية أعلى مقارنة بالاطفال الذين لم يتلقوا أياً من التدخلين أو تلقوا التدخل الغذائي فقط. وبشكل ذي دلاله فإن مجموعة الأطفال

176 لينى جونز، **وثيقة ارشادية لدمج أنشطة تنمية الطفولة المبكرة في البرامج الغذائية في حالات الطوارئ**، منشورات اليونسيف ومنظمة الصحة العالمية واخرون، د.ت، ص3.

الذين تلقوا التحفيز فقط أو التحفيز مع الغذاء، أظهرت فوائد معرفية ثابتة وكانت ملحوظة حتى في سن السابعة عشر. غير أن هذه الفوائد لم تدم عند الأطفال الذين تلقوا الغذاء وحده.[177]

كذلك يوجد دليل آخر على أنه في البيئات غير المواتية اجتماعيا، يميل أطفال الامهات المكتئبات (اللواتي تم تشخيص إصابتهن بالاكتئاب واللواتي ظهرت أعراض االكتئاب عليهن) إلى التعرض لسوء التغذية وأن تكون صحتهم سيئة. والالية المحتملة هنا أن الامهات اللواتي تظهر عليهن أعراض الاكتئاب ينخرطن أو يشاركن أقل من غيرهن مع الاطفال، كما يلعبن معهم أقل ويستجبن لاحتياجاتهم بدرجة أقل. والطفل الصغير المهمل يفقد الاهتمام ويصبح قابلا للانفعال وتنخفض قدرته على إشغال أمه به. وفي المدى البعيد، يمكن أن يسهم الطفل الذي يعاني نقص التغذية في اكتئاب أمه لان الام تعيش شعورًا متزايدًا بالذنب وعدم الكفاءة. وهناك دوامة تنازلية تخلق سوء التغذية والصحة الرديئة أو تفاقمهما. أما تبعات ذلك على الطفل، على المدى البعيد، فهي تشمل مشكلات في السلوك والادراك والتأخر، وأداءاً أكاديمياً ضعيفاً واكتئاباً في مرحلة الطفولة يتواجد الاباء والاطفال الاكثر ضعفاً في البيئات الاكثر قسوة خصوصاً بعد الكوارث الطبيعية أو في النزاعات أو في مناطق ما بعد النزاع، أو في المناطق التي تعاني جفافاً وفي مخيمات اللاجئين والنازحين. ففي حالت الطوارئ هذه، تتقطع شبكات الرعاية التي عادة ما تحمي الصحة والسلامة وأمن الطفل، كما يشح الغذاء. وتنخفض قدرة الاباء النازحين المنهمكين على توفير التحفيز والتغذية والرعاية التي يحتاجها أطفالهم الرضع و تكون الامهات بوجه خاص عرضة للاصابة بالاكتئاب في هذه المناطق. ومن المرجح أن تؤدي الاثار التفاعلية المجتمعة التي تحدث في مثل هذه الأوضاع إلى الاسهام في ظهور نتائج ضعيفة عند الأطفال. يوجد العديد من نقاط الدخول لكسر الدورة المعروضة أعلاه، نقاط الدخول الواضحة هي توفير الدعم الصحي والغذائي للام والطفل، مع المزاوجة ببرامج التعلم من خلال اللعب. وهذه هي الأولويات المعتادة في حالات الطوارئ. كما توفر برامج الصحة الجنسية والصحة الانجابية الشاملة الدعم للامهات. والبرامج التي تعالج احتياجات الام النفسية والاجتماعية مباشرة، بما فيها معالجة أحداث صادمة سابقة وأمن الام في المخيم

177 المصدر نفسه، ص4.

وسهولة وصولها إلى الدعم الاجتماعي، تساعد في زيادة استجابتها لطفلها، أما ما هو معروف بشكل أقل فهو أن برامج تحفيز الأطفال المصممة لتحسين استجابة الاهل من خلال الزيارات المنزلية والتدخلات الجماعية، تحسن أيضاً مزاج الام تحسينًا مباشراً.

كما أظهرت مراجعة دراسة أخرى أن البرامج التي استخدمت فيها مجموعات الدعم من أم إلى أم والزيارات المنزلية من أجل تحسين التفاعل بين الام والطفل، تمكنت هي الاخرى من ، تحسين مزاج الام وحسن حالها كما عززت وضع الطفل الغذائي ونتائج نموه حيث باتت الام أكثر استجابة لاحتياجات الطفل. وأظهرت نتائج دراسة أخرى تجريبية عشوائية دامت خمسة أشهر من التدخل النفسي الاجتماعي نفذت مع أمهات تأثرن بالحرب وأطفال كانوا أكبر سنًا (في سن الخامسة تقريباً) في البوسنة ما بعد النزاع، تحسنًا في الصحة النفسية للأمهات وزيادة في الوزن على مستوى الأطفال. شمل التدخل: التثقيف النفسي والدعم لتعزيز التكيف الطبيعي بين الأمهات والاطفال الذين عانوا أحداثاً صادمة، والتدريب على تعزيز التواصل العاطفي الحساس والمعبر، وتعزيز التفاعل الغني والمحفز، وإعادة تفعيل ممارسات التربية الاصلية.[178]

تقدم الحالات الطارئة الفرصة للتأثير فيما يتعلمه الأطفال أو تغييره بحيث يصبح أكثر صلة بحياتهم اليومية، حيث لا يستطيع الأطفال مطلقاً الوصول الى تجارب التعليم المنظمة في كثير من أوضاع الأزمات. وفي أوضاع أخرى, عندما يكون التعليم المدرسي ملائماً, تُطرح أسئلة تتعلق فيما إذا كان التعليم ذا صلة أو شاملاً. وفي كلتا الحالتين ثمَة قرارات تُتخذ بشأن ما يتعلمه الأطفال وكيفية تعليمهم. فالأزمة تغير البيئة بطريقة تصبح معها الأساليب الجديدة ملحَة والطرق الجديدة لتدريس الموضوعات القديمة ضرورية لكي تكون فعَالة. ويُفترض أن يساعد أدخال محتوى تعليمي أو مراجعة المحتوى الموجود بالفعل للطلاب في أن يعيشوا بصورة أفضل في الظروف المتغيرة ويتطوروا فردياً وإجتماعياً ويبنوا المهارات اللازمة لتعلَم يتواصل طيلة العمر.

ما الذي يجب أن يتضمنه التعليم لمعالجة الحالات الطارئة؟

غالباً ما يكون هناك في الحالة الطارئة إحساس بأن إجراء تغييرات فيما يتعلم الأطفال أمر ضروري. لكن قبل تطوير المواد الجديدة أو إجراء تغييرات محددة على

178 المصدر نفسه، ص5.

المنهاج, يجب أن يكون لدى المرء إحساس بما هو ضروري لكي يعرفه الأطفال – لا بسبب الحالة الطارئة فحسب وإنما من أجل حياتهم ككل ايضاً. وإذ ذاك فقط يمكن تقييم ما إذا كانت المدارس تستطيع توفير المجال الكامل للمحتوى التعليمي أو إذا كانت البدائل خارج المدرسة ضرورية. ومن بين ما ينبغي التركيز عليه مجموعة من القضايا سندرجها على نحو تفصيلي:[179]

1- مهارات البقاء «تعلم الحياة»:

مهارات البقاء جزء لا يتجزأ من التعليم في أوضاع الطوارئ. يجب أن يتمكن الأطفال من الوصول إلى المعرفة والمهارات الضرورية التي تمكنهم من التعامل مع الطوارئ. في الأوضاع المستقرة, يتعلم الاطفال عادة الجوانب الأساسية للبقاء من الأهل. في حين تجعل الأزمة الأهل دون المعرفة أو القدرة على مواصلة ذلك الدور. وفي الحالات الطارئة تزداد موضوعات مثل السلامة والصحة والبيئة إلحاحاً.

2- المهارات التنموية «تعلم أن تكون»:

يجب ألا يكون التعليم عن البقاء فحسب في أحسن الأحوال, وألا يكون عن الأهداف الأكاديمية فحسب. فمهارات التنمية الفردية والاجتماعية لا تقل عنها أهمية. ويمكن أن تساهم فرص التعليم البنيوي في إحساس الأطفال بأنفسهم وتفاعلهم مع المجتمع. ووجود ثابت واحد على الأقل في حياة يومية مليئة بالتغيير يمكن أن تساعد الأطفال في مواصلة النمو على الصعيد الفردي والإجتماعي على السواء. ويمكن تحقيق ذلك عن طريق إدخال محتوى موضوع معين مثل حالة الصراع أو وعي حقوق الإنسان أو النشاطات الإجتماعية. ويمكن أن يعني على نحو بديل تعليم موضوعات أخرى بطريقة تشدد على الإتصال وتشجع على التفاعل الإيجابي للمجموعات وتتيح للأطفال التعامل مع التأثير العاطفي للأزمة.

3- المهارات الأكاديمية «تعلم التعلم»:

لا يمكن تجاهل المهارات الأكاديمية الأساسية التي تعلم بطريقة تساعد الأطفال على «تعلم التعلم», في أثناء الأزمات. فالأزمات غالباً ما تؤخر الأطفال من الناحية الأكاديمية, إما لأنهم يواجهون إنعدام تجارب التعليم المنظم لفترة من الوقت وإما لأن

179 سوزان نيكولاي، **ما الذي يجب أن يتعلمه الأطفال؟ بحث لمحتوى التعليم أثناء الأزمات**، نشرة الهجرة القسرية العدد(15), كانون الأول 2002, ص22.

التعليم يتقطع باستمرار. ويعتبر تعلم القراءة والكتابة والحساب، فضلاً عن موضوعات مثل التاريخ والعلوم والفنون أمراً حيوياً لاستقلالية الفرد وكفايته الذاتية. ويمكن أن تكون فرص التركيز على الموضوعات التقليدية والتقدم فيها إحدى آليات الدعم النفسي الاجتماعي حيث توفر إحساساً بالحالة السوية وفرصاً للإنجاز.

ما الذي يجعل التعلم فعالاً؟

إن الأساليب المستخدمة لنقل المعارف الجديدة إلى الأطفال لها أهمية حاسمة. وتضم مجموعة من الجوانب الاساسية، وهي:[180]

1- أن يكون متركزاً على الطفل:

التعليم والتعلم المتركز على الأطفال يجعل تقدم كل طفل بوصفه فرداً جزءاً لا يتجزأ من التجربة التعليمية. ويكون التركيز على ما يتعلمه الأطفال لا على ما يدرسه الأساتذة. وتخاطب الأساليب المتركزة على الطفل الأطفال ككل من قبيل مهارات البقاء والتنمية الفردية والتفاعل الاجتماعي والتعلم الأكاديمي.

2- التعلم من خلال النشاطات:

يكون التعلم فعالا عندما يستطيع الطفل العمل على ما تعلمه. ويجب أن يربط التعليم معارف موضوع معين ومهاراته بكفاءة إستخدامها. فالحفظ عن ظهر قلب ليس كافيا. ففي حين أن التعليم يجب أن يشمل النظري بشكل أكيد, فأنَه يجب أن يشغل المتعلم في الإستخدام العملي لنشاط معين أو في بحث يؤدي إلى توعية جديدة. ويسلم هذا النهج بأن الأطفال عندما يلعبون فأنهم يشتغلون في الغالب في نشاط جاد مصمم لتعلم شيء يريدون معرفته أو فهمه. حيث لا يمكن تجاهل المهارات الأكاديمية الأساسية...في أثناء الأزمات أو بعدها.

3- البنية والإبداع على السواء:

يجب أن يقدم التعليم في بنية تحقق التوقعات للأساتذة والطلاب على سواء. وذلك مهم بوجه خاص أثناء الطوارئ عندما يبدو العالم خارجا عن السيطرة. وفي هذه البيئة, يتوقف إحساس الطفل بالأمان على يقينية الروتين وألفته. غير أن البنى لا تعني أنها مساوية للتصلب بالضرورة, كما أن إعطاء الأطفال مجالا للتعبير أمرلا يقل أهمية.

180 المصدر نفسه، ص23.

جهاديات داعش (الأدوار والعومل المؤثرة في التجنيد)

هدفت إحدى الدراسات المتعقبة للنساء الجهاديات وطبيعة تجنيدهن والاسباب والعوامل المساعدة على ذلك، والتي جاءت تحت عنوان (عاشقات الشهادة) إلى اختبار فرضيات مسبقة متداولة إعلامياً وسياسياً عن النساء الجهاديات وعن أسباب انخراطهن مع الجماعات الارهابية وسعيهن للهجرة إلى أراضي التنظيم. ومن بين تلك الفرضيات ربط الظاهرة بمتغيرات مثل مستويات التعليم المنخفضة، والحالة الاقتصادية المتدنية، والخلفيات العائلية غير المستقرة، إذ اعتمدت الدراسة على منهجية دراسة الحالة عن طريق اختيار العينة غير المتماثلة للنساء الداعشيات، اذ تم اختيار الحالات بما يتوافر من معلومات اعلامية وعلى مواقع التواصل الاجتماعي، وقد بلغ عددهن (47) حالة، إلى جانب استعمال منهجية الدراسة التاريخية والايديولوجية على صعيد واقع المرأة في أرضي تنظيم داعش. وقد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج المشار اليها، وعلى النحو الآتي:[181]

أ- الفروق بين القاعدة وتنظيم الدولة:

امتاز تنظيم الدولة بكفاءته في عمليات التجنيد، مقارنة بتنظيم القاعدة، وذلك عائد لامتلاكه قدرات أفضل في التجنيد والدعاية السياسية، واستعمال اللغات المحلية والإنترنت والتكنولوجيا، وتغلغله في وسائل التواصل الاجتماعي.

ب- التحولات في النسائية الجهادية:

تحول مسار النساء الجهاديات من القاعدة إلى الدولة الإسلامية، من ناحية الكم والدور مقارنة بالدور الثانوي والمحدود للمرأة في تنظيم القاعدة، وظهور شخصيات قيادية للمرأة في التنظيم وظهور ادوار ومهام متعددة للنساء مثل الطبابة والتعليم والفتوى والحسبة وصولاً إلى القيام بالعمليات القتالية، ومن بينها الانتحارية، وهو ما لم يكن متوافرا في الحالة القاعدية.

ج- التمييز بين الأسباب والديناميكيات:

من الفرضيات الخاطئة التي سادت في الإعلام الغربي والعربي، وحتى لدى المسؤولين والعديد من الباحثين، إلصاق تهمة التجنيد والتأثير على الفتيات بعالم الإنترنت ومواقع

181 للمزيد ينظر: محمد ابو رمان وحسن أبو هنية، **عاشقات الشهادة: تشكلات الجهادية النسوية من القاعدة إلى الدولة الإسلامية**، مؤسسة فريدريش ايبرت، مكتب الاردن والعراق، عمان، 2017.

التواصل الاجتماعي، وبما يسمى بعملية غسيل الدماغ وذلك صحيح بوصفه ديناميكيات مستعملة في عملية التجنيد والتثقيف لدى تنظيم داعش، لكن هنالك فرقاً بينها وبين الشروط والأسباب التي تدفع المرأة إلى الانخراط في الحركات الجهادية، فالديناميكية جزء من العملية، أما الأسباب الموضوعية فأمر مختلف تماماً، لأنها تفسر لنا لماذا تتأثر (س) وليس، (ص) في محتوى دعاية داعش، في حال تعرضت كلتاهما للمادة نفسها.

د- الخلفية الاجتماعية وكسر الصورة النمطية:

العينة تشير إلى وجود نسبة هامة من الحالات التي كانت فيها النساء والفتيات مثقفات ومتعلمات، ومن الطبقة الوسطى، مما يعني بدرجة رئيسة أهمية ومركزية العوامل الأخرى مثل الفقر والبطالة ونقص التعليم والبحث عن الزواج... الخ. وأن اغلب النساء الداعشيات في العشرينيات من العمر مما يجعل من فتيات المدارس والجامعات المرشحات بدرجة رئيسة لهذا التأثير.

هـ- المسؤولية بين العاملين الإيديولوجي والمجتمعي:

هنالك شريحة واسعة من النماذج النسائية درسن في مدارس وجامعات غربية وعلمانية، كما هو الحال في بريطانيا وفي دول عربية أخرى، من قبيل الفتيات السودانيات أو لفرنسيات أو السعوديات، أو الحالات الأخرى التي تثبت دور المناذج التعليمية في تدريس السلفية والوهابية في الدفع نحو طريق الجهادية، إلى جانب عوامل إخرى مؤثرة مثل اقاربهن، ازواجتهن، أو الآباء وحتى الأبناء.

و- بعض النساء الجهاديات كانت علاقتهن بالظاهرة محدودة وثانوية في البدايات، ثم أخذن يتدرجن فيها، مع توغل أزواجهن وانجابهن للأطفال، إذ انتقلن من الدور الثانوي إلى الدور الرئيس، إلى جانب تكوين علاقات الصداقة بين عائلات الجهاديين، وما آلت اليه علاقات النسب والمصاهرة بينهم، إذ اصبحت شبكة من الروابط التي تشكلت وأخذت تجمع بينهم وتكون مجتمع، وضمن هذا المسار، أصبح من الصعب الفكاك منها، أو تفكيكها، لاحقا.

ز- يلعب الوازع الديني دوراً حيوياً، حيث يعتقدن أغلب الجهاديات أن محاربة المهاذب الدينية المنحرفة واجب ديني. وبالمثل فإن الكثير منهم متحمسات، لفكرة قيام دولة إسلامية تقوم على الشريعة الإسلامية في العراق وسورية.

ح- أشارت نتائج دراسة أخرى أجريت على نساء التنظيم المعتقلات والمحكومات في السجون العراقية أن نحو (62%) من مجموع وحدات العينة من النساء كانت مهامهن)ناقلات(يعملن على نقل المواد المتفجرة والأسلحة والعبوات والأحزمة الناسفة والسيارات المفخخة والأشخاص الانتحاريين، وهذا يدل على أهمية دور النساء في داخل التنظيمات الارهابية، بينما كانت نسبة (38%) من النساء مهمتهن (إنتحاريات). كما إن نحو (48%) من مجموع وحدات العينة من النساء المجندات ينتمين إلى اسر تعاني من تدني المستوى المعيشي والظروف الاقتصادية الصعبة.[182]

التوصيات والمقترحات:

1- أن يوعز مجلس الوزراء العراقي بتشكيل لجنة عليا مهمتها الإشراف على «عمليات معالجة قضايا ومشكلات العراقيين في مخيم (الهول)» وبالتنسيق مع المنظمات الدولية والحكومة السورية والجهات المسؤولة عن إدارة المخيم, على أن تضم في عضويتها ممثلين بمستوى مدير عام فأعلى من (وزارة الهجرة والمهجرين, مستشارية الأمن الوطني, جهاز المخابرات, وزارة الداخلية, وزارة الدفاع, وزارة العمل والشؤون الإجتماعية, لجنة المصالحة الوطنية, إقليم كردستان) وتكون برئاسة الأمين العام لمجلس الوزراء، وتعمل اللجنة على ما يأتي:

أ- التفاوض مع إدارة المخيم والحكومة السورية لمعرفة أعداد وأسماء العراقيين المتواجدين في المخيم وتدقيقها وتصنيفها (متورطين مع داعش/غير متورطين).

ب- إرسال فريق ميداني لزيارة المخيم ومقابلة العوائل والتعرف على ظروفهم ونواياهم بشأن العودة من عدمها، ومعرفة أبرز المشكلات التي يواجهونها، والحلول المقترحة من وجهة نظرهم.

182 حوراء علي عبد الزهرة، تجنيد النساء في العمليات الإرهابية، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة إلى قسم علم الاجتماع- كلية الآداب- جامعة بغداد، 2018.

ج- تهيئة مخيم بديل داخل العراق ويفضل أن يكون في إقليم كردستان،[183] في منطقة معزولة ومؤمنة وتضم كافة المستلزمات والمرافق والمنشآت الصحية والتعليمية والترفيهية, فضلاً عن الحماية القانونية والنفسية والإجتماعية، وبالتنسيق والتعاون والمشاركة مع المنظمات الدولية, إذ يخصص المخيم لإستقبال العوائل المرتبطين بداعش عند عودتهم.

د- توزيع اللاجئين العراقيين العائدين من مخيم الهول (غير المرتبطين بداعش) في المخيمات المتواجدة حالياً في العراق, كل عدد محدد من العوائل في مخيم, على أن يتم نشرهم في قواطع المخيم الواحد وعدم تجميعهم ومجاورتهم بعضاً لبعض, مما يساعد في عمليات إعادة بشكل أسرع.

هـ- حسم قضايا المرتبطين بداعش والمتورطين بقضايا جنائية وإحالتهم للقضاء أصولياً.

و- تكليف وزارة الداخلية بمعالجة مشكلات إصدار الوثائق لمعروفي النسب (أحد الوالدين على قيد الحياة ويطالب بإثبات النسب وإصدار الوثائق الثبوتية), وكذلك لمجهولي النسب، الأطفال الأيتام (كلا الأبوين متوفين)، وبالتنسيق والتعاون مع وزارة العمل والشؤون الإجتماعية وبحسب القوانين والتعليمات العراقية النافذة في هذا الخصوص.

2- أن تقوم وزارة الهجرة والمهجرين وبالتنسيق مع المنظمات الدولية بتنفيذ سلسلة من برامج إعادة الإندماج والتأهيل النفسي والإجتماعي لكافة العائدين من مخيم الهول ولمدة زمنية تخصص بحسب كل حالة من قبل الباحثين المعنيين بالحماية النفسية والإجتماعية.

3- يفضل أن تكون دورات وبرامج إعادة التأهيل النفسي والإجتماعي للأطفال المرتبطين بداعش خارج المخيمات لضمان التنوع البيئي والإختلاط وإتاحة فرص للمقارنة والتعايش.

183 مبررات إنشاء المخيم في الإقليم: **أولاً:** المغايرة الثقافية واللغوية تساعد على تقليل الوصم الاجتماعي وتسهل عمليات إعادة الإندماج. **ثانياً:** وجود مخيمات مثالية أنشأت بالتعاون مع منظمات الأمم المتحدة. **ثالثاً:**حرية وقوة عمل المنظمات الدولية في الإقليم. **رابعاً:** منع حالات الثأر والثأر المتبادل التي من المحتمل أن تحصل لو أقيم المخيم في مناطق الأصل أو محافظات أخرى. **خامساً:** بعيدة عن المناطق الرخوة التي من الممكن أن يستغلها التنظيم لإعادة كسبهم وتنظيمهم مرة أخرى. سادساً: أرتفاع مستويات الأمن والرقابة والحماية من الإعتداء الجنسي والتحرش والتعنيف.

4- التاكيد على تنفيذ برامج التعليم وإعادة التأهيل للأطفال العائدين سواء أكانو بعمر الطفولة المبكرة أو المتأخرة من خلال (التعليم وإعادة الإندماج بأساليب اللعب), حيث أثبتت التجارب والدراسات نجاح مميز لتلك البرامج على أن تنفذ من قبل المنظمات الدولية وبالتعاون مع منظمات مجتمع مدني عراقية ذات خبرة في هذا المجال.

5- طبع كراسات تعليمية على شكل قصص وحكايات أطفال ويافعين وبرسوم تصويرية وكريكاتيرية، لتدريب التلاميذ عليها في أوقات الدوام وفي العطل الصيفية، فضلاً عن توزيعها مجاناً على الأهالي في المخيمات والمناطق المحررة، تقوم على تعزيز الثقة والتسامح لدى الأطفال، تتبناها دار ثقافة الطفل في وزارة الثقافة الاتحادية.

6- أن تقوم منظمات المجتمع المدني العراقية وبالتنسيق مع المنظمات الدولية و وزارة الهجرة والمهجرين والعمل والشؤون الإجتماعية ووفقاً (لتوزيع أدوار وتقسيم عمل وتشبيك) دراسة أحوال العوائل بشكل منفرد (دراسة حالة لكل عائلة) للكشف عن قدراتهم ومهاراتهم ونواياهم إزاء:

أ- ما العمل الذي يفضلون مزاولته أو يطالبون بالتدريب عليه وتمكينهم للحصول عليه؟

ب- ما نواياهم إزاء العودة لمناطق الأصل, وهل لديهم مشكلات تحول من دون ذلك؟ ما طبيعتها وما الحلول من وجهة نظرهم؟

ج- من الحلول المستدامة لحالات النزوح المطول (حالتي الإندماج في المجتمع المضيف أو إعادة التوطين في منطقة ثالثة غير منطقة النزوح)، لذا ينبغي الكشف عن إستعدادات وتوجهات العوائل فيما يتعلق بخياري التوطين والاندماج ومدى رغبتهم بذلك؟ وما المناطق التي يفضلونها للسكن.

7- بعد مضي نحو ستة أشهر من عودتهم وتخطيهم برامج إعادة التأهيل، أن تقوم لجنة المصالحلة الوطنية بتقديم ورقة تفصيلية لرئيس مجلس الوزراء توضح إمكانية إصدار عفو يسمح برأب الصدع ويمنح فرصة جديدة للعوائل التي تم التأكد من رغبتها وجديتها ترك الماضي والعودة للحياة الطبيعية.

المناقشات

د. وليد عبد الملك الراوي

هناك ملاحظتان: الأولى موضوع إعادة التأهيل، قام الدكتورالحمود بشرح تفصيل دقيق حول موضوع مخيم الهول ومعسكرات النزوح وكيف تعاملت معهم الدولة، إلا أنّ هنالك الآن في العراق قوائم الأسماء موثقة لدى المتحدث حول ما لا يقل عن 300 ألف عراقي شباب متهمين بالإرهاب، نتيجة مخبر سري أو معلومات بأنّه ليسوا من التنظيم فعليا لأنّ الذي بالتنظيم إما قتل أو سجن أو أعدم أو لا يزال يقاتل بالخلايا، وخصوصاً في المحافظات الغربية، وهذه القوائم موجودة عند الأجهزة الأمنية و أفراد الميليشيات، والقوائم غير موحدة، مثلاً كثير من الناس الناجين دخلوا على نقاط تفتيش عائدة للجيش لا توجد لهم أي تهمة، لكن عندما ذهبوا إلى نقطة التفتيش الموجود فيها الميليشيات حيث تتوفر لديهم الحواسيب والمعلومات، ألقي القبض عليهم. وغالبية هذه المواقف هي نتيجة مخبر سري، من الشخصيات التي أُجبرت عندما جُمع بعض شيوخ العشائر واضطروا للبيعة في المسجد، فالقصد أن هؤلاء المتهمين ليسوا مقاتلين إنما متهمين نتيجة عداوات أو ظروف خاصة، إشكالية بين العشيرة أو مخبر سري هؤلاء عددهم كبير جدًّا، هذه النقطة الأولى.

الموضوع الثاني، أنّ هنالك تجربة الأمير غازي بن طلال، الذي كلّف بموضوع برامج إعادة التأهيل في الأردن، حيث وقع الأمير غازي كونه مستشار جلالة الملك على برنامج مع الأمم المتحدة لإعادة التأهيل، أما في العراق فلم يكن شيء من هذه البرامج. أما السعودية فلديها برنامج المناصحة الذي يعد إعادة تأهيل بعض المقاتلين أو المتهمين أو الذين يؤمنون بالفكر. موضوع الإجرام هذا موضوع آخر، الذي قام بعمل إجرامي القضاء هنا يأخذ مجراه لكن البرنامج يستهدف المتهمين أو من عليهم شبهات.

د.محمد العظامات

ألّفتُ كتاباً وأسميته «العائدون» وتناولت فيه البرامج الراديكالية وبرامج اجتثاث التطرف، استعرضت في الكتاب كل التجارب الدولية بما فيها التجارب المحلية أو التي تحدث عنها الدكتور وليد في السعودية «المناصحة» أو في الغرب وما إلى ذلك، وما وصلت إليه لنجاح هذه البرامج سواء إعادة التأهيل الفكري وإعادة تأهيل تمهيداً للاندماج

في المجتمع (يجب أن نفصل بين البرنامجين)، أنّ من شروطها الأساسية « الحجر الأيديولوجي»، بمعنى أن نقوم بعزل كما نقوم بحجر صحي -وهذا المصطلح (استمد) من جائحة كورونا- لكن نقوم بشيء اسمه حجر ايديولوجي من ثم نطبق البرامج سواء مداخل دينية أو مداخل إرشادية أو مداخل نفسية، وبالتأكيد أهم شيء في هذه المرحلة مراحل تنفيذ مدخلات برنامج إعادة التأهيل هو أن نفهم الأسباب الدافعة والمؤثرة والمحفزة لتبني الفكر المتطرف، فالباحث أبو رمان عند حديثه استشهد بمقولة للدكتور حازم «ابحث عن السيسيولوجيا قبل أن تبحث عن الأيديولوجيا»، فكثير من برامج التأهيل في العالم العربي، و من ضمنها برنامجنا في الأردن أو برنامج المناصحة، يفترض افتراض مطلق بأن التحاق الشباب بالجماعات المتطرفة هو جهل في فهم الأحكام الشرعية خاصة فقه جهاد ومسائل التكفير وما إلى ذلك، لكن في الحقيقة الحكم على النزلاء أو الخاضعين للبرنامج بأنهم التحقوا بالجماعات المتطرفة أو حاولوا الالتحاق بسبب هذا الجهل،يقفز عن أنّ هناك أسباباً اجتماعية، واقتصادية، وسياسية، وأخرى. وحتى كلمة «أسباب» نتحفظ عليها في ظاهرة مثل ظاهرة التطرف والإرهاب؛ هنالك عوامل محفزة وهنالك مؤثرات، لكن كلمة «أسباب» تفسر سبب وجود علاقة سببية سبب ونتيجة، وهذا الشيء ليس ثابتاً علميًّا أو أكاديميًّا. بالمختصر هذه البرامج حتى تنجح لا بد من مسألة السيطرة المطلقة على الخاضعين للبرنامج، ولابد من الحجر الأيديولوجي من الاختلاط مع مشارب الفكر المتطرف من جهة اليمين أو اليسار أو ما إلى ذلك. فالسؤال للدكتور علي، من خلال تجربتك مع مخيم الهول، هل تعتقد أن هنالك مجالاً لتطبيق مثل هذه البرامج داخل المخيم؟ وهل يمكن أن تنجح مثل هذه البرامج في ظل الأعداد الغفيرة الكبيرة التي تحدثت عنها؟

تحدثت الورقة عن النساء أنهن شكلن مجموعات الحسبة وما إلى ذلك. من الممكن وجود أشياء سرية نحن لا نعرف عنها، يعني نفترض أن هنالك اتصال بينهن وبين أزواجهم خارج المخيم وما إلى ذلك، فهل يمكن في ظل هذه الظروف؟ طبعاً هنالك تجربة اسمحوا لي أتحدث عن تجربة معتقل بوكا العراقي الذي كان الأميركان يعتقدون أنه ينفذ برامج إعادة تأهيل للمقاتلين المجاهدين العراقيين في فترة 2003 - 2006، وتبين فيما بعد -بعد ظهور داعش- أنه كان عبارة عن أكاديمية، عبارة عن مدرسة لتدريس وتدريب التطرف والإرهاب، حتى أنه يقال إن أبو بكر البغدادي وكثير من قيادات داعش الذين أسسوا

التنظيم فيما بعد كانوا من ضمن نزلاء هذا المعتقل، فهل في حال تطبيق هذه البرامج على مخيم الهول هي مثالية أو هي نظرية؟ أو هل هي شيء نحلم به أن نطبق برامج داخل المخيم؟ أم نقترح بأن يتم اختيار أشخاص من داخل المخيم وحجزهم في ظل ظروف معينة نطبق عليهم برامج من ثم بعدها نفكر في إعادة اندماجهم في المجتمع؟

حسن أبو هنية

في الموجة الأولى بعد 11/ سبتمبر 2001، وحتى الموجة الثانية بعد احتلال العراق 2003 دائماً كانت المقاربات الدوليّة التي تتعامل مع الإرهاب تستند إلى مقاربتين، مقاربة صلبة ومقاربة ناعمة. كان هناك المقاربة الأولى، مقاربة الحرب التي ترتكز على القوة العسكرية والأمنية والعدالة الجنائية وتحويل للمحاكم، وكان إلى جانبها مقاربة ناعمة تستند الى إعادة التوجيه والدمج من خلال البرامج سواءً كانت في أوروبا أو حياة أو برامج عديدة أو حتى المناصحة أو غيرها. لكن هنا غيابا كاملا في هذه الموجة الجديدة بعد انقلاب على ثورات الربيع العربي لبرامج إعادة التوجيه والدمج الدوليين. هناك اهتمام دولي لكن لا توجد اهتمامات محلية حقيقية، تركيز على مقاربة العدالة الجنائية والمحاكمة، وأحياناً حتى هذه تكون ظالمة؛ فالمعلوم أنّ هذه القوانين هي في حد ذاتها تحتاج إلى مراجعة لأنها لا تستوفي معايير العدالة الدوليّة على الإطلاق.

المقاربة الرئيسية هي مقاربة الحرب، شاهدنا ما حدث منذ عام 2014 حتى الآن هو مقاربة عسكرية، يأتي تحالف دولي بالتعاون مع قوات محلية، ثم يبدأ في طرد وتدمير مدن. حتى هذه المقاربة العسكرية أصبحت متطرفة لا تعتمد على تكتيكات مكافحة الإرهاب بمعنى أن تعتمد على قوة استخبارية وأجهزة متخصصة، وإنما تعتمد على قصف الطائرات وقصف مدفعي وبالتالي عملية تدمير ممنهج. ما حدث في الموصل والرقة وبقية المدن، عملية تدمير. وبالتالي تحدث مشكلة مضاعفة بعدم التعامل مع مجاميع أو أعداد قليلة وهذا أحد التحديات ربما التي أدت إلى عدم الاستجابة لعمليات إعادة توجيه والدمج فضلاً عن -أيضاً كما أشار الأستاذ محمد العظامات وهو مختص- فشلها، يعني كبرنامج المناصحة معظم الذين دخلوا في البرنامج ذهبوا إلى القاعدة في جزيرة العرب، بالتالي هذه معضلة يجب العالم العربي التعامل معها، فالمعروف أنّ هناك غيابا لهذه المقاربات في إعادة التوجيه والدمج حتى مع مقاتلين محدودين.

يعني ما يحدث في مخيم الهول للمقاتلين الأجانب الأوروبيين تحديداً والذين هم حوالي 2500، بينهم رجال ونساء. وهناك دول منها فرنسا وكل الدول الأوروبية ترفض استقبال هؤلاء المقاتلين ولا محاكمتهم في داخل دولها. وقد شاهدنا اقتراح لودريان وزير الخارجية الفرنسي بمحاكمتهم وتقديم رشوة للعراق بمقدار مليار ونصف لمحاكمتهم وفقاً للقانون العراقي وبالتالي إعدامهم، هذه وصفة جنونية، والأمم المتحدة ليس لديها أي صيغة دولية للتعامل مع هذا الوضع، والعالم العربي كما نرى لا يوجد فيه أي دولة تطالب بمواطنيها الموجودين في هذه مثلاً. دعكم من الأوضاع الإنسانية الكارثية، لكن حتى الجهات التي مطلوب منها إنفاذ القانون والعدالة تقوم بعمليات اغتصاب عمليات مقززة لا يستطيع الانسان حتى أن يتخيلها، هذه معضلة كبيرة تعد أحد أسباب التطرف لأنه كما أشار الضيوف أصلاً في النهاية هذه الظاهرة تنشأ من المعتقلات والسجون، مثل سجن بوكا، وسجن أبو غريب، وكل السجون التي أدت إلى ظروف التطرف..

د. مؤيد الونداوي

نتحدث عن أرقام كبيرة في الواقع مقابل عدم وجود استراتيجيات واضحة لا للدول المعنية ولا للدول المحيطة. جرت محاولات مبكرة في 2015 بمؤتمر شاركت به الولايات المتحدة، وكانت بدايات رؤى تشكيل استراتيجية دولية لمرحلة ما بعد داعش، مع الأسف مع عصر كورونا العالم بات بعيداً عن هكذا استراتيجيات من نواحٍ مختلفة، سواء لعدم إمكانية الحضور والمشاركة أو بنقص الأموال التي ممكن أن تقدم. حتى الآن هنالك محاولات بسيطة من بعض الأطراف الدولية لتقديم بضع ملايين هنا وهناك في مشاريع لا تقدم الكثير مقابل غياب استراتيجيات محلية. أعتقد أنّ مركز الدراسات الدولية يستطيع تقديم مشاريع كهذه، لأنه يظهر لنا جليًّا أن بقية الحركات والمراكز العربية غير معنية، كيف نستطيع أن نرفع من درجة الانذار؟ بحيث نجنب المنطقة العربية كوارث إضافية لأنها هي التي جاء العالم كله إليها بالتحالف الدولي، وهو الآن يغادر تاركاً الأنقاض وما موجود من بشر تأثر بهذه الظواهر العنفيّة التي واحدة من أسبابها المعروفة هي الظلم والإقصاء.

الكارثة أكبر بكثير، أعتقد كان الأستاذ أبو هنية أكثر وضوحاً من الأستاذ علي بما يجري. كما كانت تجري حفلات اغتصاب جماعي للنساء في المعسكرات التي أعقبت إعلان التحرير من داعش في العراق قبل سنوات، وهنالك متاجرة باتت في هؤلاء الأطفال،

سواء في تبنيهم من أطراف غير معروفة أو ترحيلهم إلى دول أخرى بطريقة سرية، فالنساء يتعرضن للإساءة والاغتصاب عند المراجعات فيما يتعلق بإعادة ترتيب أوضاعهن. لدينا في الواقع حالات إيجابية جرت، في المجتمعات المحلية سواء في الموصل وصلاح الدين والأنبار استطاعت إلى حد كبير تسوية أو تأجيل الكثير من الخلافات بين السكان المحليين، وبعضها حل بأسس عشائرية من نوع معاً، يجب أن تترك فرص كافية وندرس هذه الفرص، كيف تستطيع التنظيمات المحلية، العشائر، الحكومات المحلية، القيام بمهمات رئيسية في إعادة الدمج، فهي أفهم بواقع الحال بدلاً من أن تأتي جماعات من الخارج ترغب بالانتقام والقتل. القضية لا تتعلق بالأرقام، بل بالمجتمعات التي تمتد من شمال بغداد إلى حلب، رقعة جغرافية كبيرة تعاني ذات المشكلة، فالعراقيون بالتأكيد ليست لديهم قدرات لأن اقتصادهم لا يحتمل، وضع النظام السياسي ليس فيه الكثير الذي يساعد، هنالك رغبات عنيفة لا معنى لها من قتل من كل الأطراف لهؤلاء والتخلص منهم بطريقة غير معقولة كثير منهم ضحايا، نحن نتكلم عن أنواع من الضحايا لا أتحدث عن زوجة داعشي أو ابن داعش، بل عن ضحايا العنف كلهم في هذه المنطقة الشاسعة..

لا نتوقع في ظل ما يجري حالياً وأزمة كورونا أن تكون هنالك استراتيجيات فاعلة عملية. يجب أن نؤكد على الحاجة إلى أهمية الدعم الدولي، نؤكد أكثر أمام مؤتمرات القمة العربية كباحثين أن هنالك حاجة عربية وإسلامية لأن تخصص أموال كافية لأجل مساعدة هؤلاء لإعادتهم واندماجهم في المجتمعات، يجب أن ننهي الطرق التقليدية التي جرت حتى الآن في التعامل. الأمم المتحدة تعلم كل شيء، ولكن السياسة التي تجعل من الأمم المتحدة تضع التقارير التي تصلها حول الفساد والعنف والاغتصاب الذي يجري دون الإشارة إليها في تقاريرها الدولية.

مشكلة تركة داعش، بخاصة معسكرات الاعتقال، هي مشكلة عربية وإسلامية أولاً، المشكلة إقليمية وستبقى إقليمية إلى حد كبير. إذاً ما هو النداء الذي يوجهه هذا اللقاء إلى الحكومات العربية؟ كيف يجب أن نقنع الحاكم العربي بأن يساعد بشكل أوضح بالتخلص؟ لأنه يجب أن يعلم هو أيضاً أن بقاء هذه المشكلة سيرتد بطريقة أو بأخرى على هذه الحكومة، أو تلك، أو هذا القائد الحزبي، أو ذاك الزعيم. يجب أن نكون أكثر واقعية فيما يجب. اعتقد أن معهد السياسة والمجتمع يجب أن يؤكد في تقريره النهائي على تقديم توصيات في اتجاه حل المشكلة؟ وليس شرح المشكلة فقط.

سعود الشرفات:

سؤالي محدد جدًّا، معلوماتي الدقيقة أنّ الأكراد ليس لهم علاقة بالموضوع بأي شكل من الأشكال إنما الأميركان هم الذين يسيطرون على المخيم، من يدخل ومن يخرج إليه، ويقومون بعملية (مراقبة ومتابعة) filing منذ سنوات ومازالوا مستمرين بهذه العملية، لأنه على المستوى الشخصي كانت لدينا مصادر فحاولنا أكثر من مرة خلال الثلاث سنوات الماضية أن نحصل على معلومات عن عدد الأردنيين، كنا معنيين إذا كان هناك أردنيون داخل المخيم؟ هذا السؤال لم نستطع الإجابة عليه للأسف الشديد نظراً لأن المخابرات الأميركية تحديداً هي التي تسيطر على الموضوع بشكل مؤكد.

مروان شحادة:

إنّ التوحش والعنف الذي مارسته الدول وتخلت عن مسؤولياتها تجاه الأطفال والنساء سيولد توحشًّا أكبر من توحش داعش السابق، فهنالك عدم مسؤولية أخلاقية ولا قانونية تجاه النساء والأطفال.

إن رفض جميع الدول قاطبة استقبال مواطنيها من النساء والأطفال الذين بعضهم لا ذنب لهم في الواقع، وتم الحكم عليهم بالموت البطيء، ومورست عليهم أقصى أنواع الجرائم سواء الاغتصاب أو الحرمان من السكن أو الحرمان من الدفء والمياه الباردة وغير ذلك في ظل ظروف قاسية غير إنسانية.

خالد سليم

من واقع التجربة في تونس عملت مع السجون، كان هناك برنامج لسجناء الحق العام، لكن لم يكن هناك برنامج لسجناء التطرف العنيف، فهل في هذا المخيم برنامج بمستويات بخصائص مختلفة سواء للنساء أو للأطفال أو الـ 8% الذين تحدثت عنهم؟ خاصةً كما أشار دكتور علي أنّ 40% من المتواجدين في هذا المخيم هم من الأطفال، تحدثت عن التجربة النموذجية في بغداد للأطفال، فإذا كان بالإمكان أن تعطينا إضاءة أكثر عن هذا البرنامج ومميزاته، إذا كان هناك مقاييس لنجاحه أو لعدم نجاحه.

أما السؤال الثاني، أحد الزملاء تحدث عن فكرة الحجر الفكري أو الحجر الصحي، وهنا ممكن أن تركيزه على de-radicalization مواجهة التطرف، سؤالي لك في هذا المخيم

هل التركيز على de-radicalization أم على الـ dis-engagement ام أن هنالك مقاربة مختلفة؟ خاصة أننا نتحدث عن أطفال 40% وإذا كان هنالك مجال حبذا لو تعطينا إضاءة على هذا الجانب.

السؤال الثالث، إذا كانت هناك رغبة سياسية يعني هنالك غياب الإرادة السياسية في التأهيل والإدماج وإنهاء هذه الإشكالية، فإلى أي حد أنت تشعر أن وجود رغبة سياسية باستثمار هذا المخيم لأغراض سياسية يؤثر على ناجح للتأهيل والإدماج؟

ماهر الفرغلي :

مصر العام منذ العام الماضي بحسب المعلومات المتوفرة لدي كانت ترفض استقبال أي عنصر، حتى لو بناء على طلبه، حتى لو استطاع أن يصل إلى السفارة، أو يتخذ أي وسيلة للوصول إلى مصر، كانت مصر ترفض استقباله تماماً. في نهاية العام الماضي بدأت مصر تستقبل نساء داعش، واستقبلت حتى الآن بحدود من 60 - 70 سيدة، ولكن فرضت عليهم نوعا من الحصار الإعلامي، ممنوعات من أن يقابلهن أحد، ومن تبادل الأحاديث ومقابلة مختصين لأي شيء، استقبلت مثلاً من القاعدة ابنة «أيمن الظواهري» قبل حوالي أربعة أو خمسة شهور، وهنا كانت معضلة مع ابنة أيمن الظواهري وتحديداً معضلة قانونية، أنها كانت متزوجة من ثلاثة والثلاثة قتلوا وأنجبت من الثلاثة أحد عشر طفلاً، وهؤلاء من جنسيات مختلفة، باكستاني واثنان مصريان ولا تعلم الأجهزة الأمنية ماذا تفعل مع الأطفال، لا توجد أوراق ثبوتية للأطفال مطلقاً، ما جعل حتى الأجهزة الأمنية تجد صعوبة كبيرة جدًّا في استيعاب العائدات أو العائدين.

بدأت مصر بعد فترة تستقبل العائدين من أعضاء داعش وتخضعهم لمحاكمات، هي مقاربة أمنية عن وضعهم في السجون وتقسيمهم إلى عناصر (أ، ب، ج) وعناصر مؤثرة، وعناصر فعالة، وإخضاعهم لتحقيقات، وبرامج تقوم دار الإفتاء المصرية بإعدادها، وهي جزء من مؤسسة الأزهر ولكن هي الأقرب إلى الرئاسة المصرية، وتقوم بالبرامج التوعوية داخل السجون لهذه العناصر، لكن هذا ليس معناه الإفراج عن هذه العناصر، بمعنى هم يخضعون لهذه البرامج ويبقون لفترة يخضعون لمحاكمات بحسب القاضي والأحكام، وفي النهاية من الممكن أن يخفف عليهم أحكام القضاء فقط، لكن لن يفرج عنهم . فهذه هي المقاربة الأمنية المصرية وهذه من غير مقاربة المراجعات الفكرية التي كانت مع الجماعة الإسلامية المصرية، كانت تجربة مختلفة تماماً عن هذا الأسلوب.

د. محمد أبورمان

الورقة والمداخلات أوضحت بشكل كبير أننا في كارثة حقيقية للأسف كمن يركبون سفينة نصفها قد غرق، والنصف الآخر لا يدرك أن النصف الأول قد غرق، ومن الضروري النظر إلى موضوع تركة داعش الإنسانية من أكثر من مستوى.

المستوى الأول في منطقة أصبحت نسبة كبيرة من السكان نازحين ولاجئين ومغتربين، وهذه مشكلة كبيرة ليس فقط معسكر الهول، ولكن الحديث عن مخيمات اللاجئين السوريين على الحدود الأردنية وفي الأردن أيضاً تشكل أزمة كبيرة ومشكلة كبيرة.

المستوى الثاني أننا أمام أجيال من الأطفال والرجال والنساء برسم الضياع وهناك مستقبل خطير جدًّا، وهنالك إشكاليات كبيرة قانونية وإدارية وإنسانية وسياسية.

المستوى الثالث أنه لا توجد إلى الآن أي تصورات حقيقية لحل المشكلة، في الغرب يتحدثون عن استقبال العشرات وتقام هناك برامج ودراسات كيف نستقبلهم، وكيف نتعامل معهم وهم يتحدثون عن ستة أو سبعة أو ثمانية، الباحث علي طاهر يتحدث في ورقته عن آلاف العراقيين وعن آلاف السوريين وإلى الآن لا يوجد لدينا أي اهتمام بهم. فالحكومة الأردنية والحكومات العربية جميعاً لا تقبل باستقبال عائلات داعش ولا أبناء داعش وهذه أزمة كبيرة. هنالك الآن هؤلاء جزء منهم موجود في معسكرات الاعتقال وأعداد كبيرة هربت إلى تركيا اليوم موجودة في تركيا من العائلات والأطفال لا توجد أي معلومات ومعطيات عنهم.

أوصي بأهمية «أنسنة» التعامل مع هذا الموضوع، اليوم داعش أحدثت طفرة كبيرة جدًّا، لم تعد قضية المقاتلين والجهاديين مرتبطة بأفراد ذكور، أصبحت عائلات ارتبطت بهذه المسألة وسيطرت على أراض، وهنالك آلاف النساء والأطفال لابد أن نحكم المنظور الإنساني في التعامل معهم لأنه لا يمكن إدانة العشرات من آلاف.

أرى أنّ الأمر انتقل من سيطرة داعش إلى التدعيش، هذه المعسكرات عمليًّا تدفعهم إلى التدعيش وإلى الدعشنة حتى لو لم يكونوا مؤمنين بداعش، معسكرات في ظروف غير إنسانية، ظلم، قهر، شعور بالابتزاز، شعور بأنهم تحت رحمة الآخرين، عبيد بمعنى الكلمة. كيف يمكن الآن أن نطالبهم بعد ذلك أن يخرجوا بصورة بشر؟ ما يحدث

خطير، التعامل مع أطفال الخلافة أو أشبال الخلافة الموجودون الآن بالآلاف كما قال الأستاذ علي 40% في مخيم الهول من الأطفال. الحديث هنا عن «قنابل موقوتة» قادمة، فالحكومات العربية دائماً تتعامل بعقلية المياومة، لكن لو أخذنا هذا الموضوع من منظور استراتيجي فالحديث عن أكبر تهديد يهدد الأمن القومي العربي أو الأمن الإقليمي في هذه المنطقة، آلاف العراقيين وآلاف السوريين.

تعقيب

د.علي طاهر الحمود

د. محمد العظامات تحدث عن الحجر الأيديولوجي، أؤكد على دعوته لوجود مخيم مغلق مراقب بشدة دوليًا وأمنيًا وفي مكان أمين من الثأر في إقليم كردستان، هذه هي نقطة البداية. ثم نتعامل مع الحالات هناك،

وإجابة على سؤال الأستاذ خالد سليم في قضية التأهيل التركيب، هل هو على إعادة مكافحة التطرف أو الاندماج أم ماذا؟ نتعامل مع أطفال من فئات متنوعة من حيث العمر ومن حيث تأثرهم بأيديولوجيا داعش، ونتعامل مع نساء أيضاً منتميات للتنظيم وغير منتميات للتنظيم، فهناك فئات متعددة، إذا شعرنا بأن هؤلاء النساء والأطفال ليس لهم علاقة بداعش وغير متشربين في أيديولوجيتهم، بالإمكان إعادة دمجهم بالمجتمع بالتدريج، وكلمة بالتدريج معناه توزيعهم على مخيمات النازحين الأخرى الطبيعية الموجودة داخل إقليم كردستان أو في الحكومة الاتحادية، توزيعهم وليس جعلهم في مكان واحد، ومن ثم يأخذون طريقهم بالتدريج للاندماج. أما الأطفال لكل فئة برنامج للتأهيل يفترض أن يكون قائم على عناصر ثلاثة هي الرعاية والاستجابة والتحفيز. هل هناك برنامج أستاذ خالد؟ لا، لا يوجد برامج لإعادة التأهيل بالعراق، ما هو موجود هو ما نقترحه على الحكومة العراقية. المقاربة العراقية الآن بالفعل مقاربة أمنية على غرار المقاربة المصرية.

ما تحدث به الأستاذ مؤيد الونداوي كثيراً عن المجتمع العراقي هذا المجتمع ممزق، في الوقت الذي لدينا بالفعل حالات إيجابية من حل المشكلات العالقة منذ زمن داعش بشكل عشائري، مثلاً في بعض المناطق حالات ناجحة جدًّا وجميلة جدًّا، لكن بنفس

الوقت هناك حالات سلبية مثل ظاهرة ظهرت بعد التحرير، اسمها ظاهرة «الجلوة» التي هي الترحيل الإجباري للأُسر المتهمة بالعلاقة مع داعش من مناطق هي مقفولة ربما عشائريًا في مدينة حديثة في أطراف الموصل،

في إجابة على سؤال حول أعداد النساء والأطفال المهاجرين في مخيم الهول عدا النساء العراقيات والسوريةت، تتوافر بعض الأرقام وسيجري التأكد منها لاحقاً أيضا عن النساء العربيات المهاجرات وأطفالهن في مخيم الهول عددهم بالمجموع 1453عدا العراقيات والسوريةت، المغرب على رأس القائمة بـ582، ثم مصر عددهم 377 امرأة وطفل ثم تونس 251 نقوم، ثم الجزائريات وأطفالهن 98، ثم الصومال 56، ثم لبنان 29، السودان 24 امرأة وطفل، أما عن فلسطين 8 نساء وأطفالهن، والرقم نفسه لليمن 8، و9 من جنسيات أخرى غير محددات، لا يوجد لدي رقم بخصوص الأردنيين والأردنيات في الدراسة.

عودة للأستاذ خالد سليم، مقاييس النجاح في إعادة تأهيل الأطفال تجربة بغداد، بالحقيقة الحديث يتمحور حول الأطفال، لا النساء المتشربات بأيديولوجيا داعش، وكذلك الرجال، فالحديث عن الأطفال بطفولة مبكرة فهنالك دور الأيتام داخل العراق بموجب القانون العراقي لا تستقبل الأطفال إلاَّ من هم دون عمر 18 عام وهم مقسمون لفئات أصغر في كل دار أيتام. كل الذي فعلوه انهم وضعوا هؤلاء الأطفال إلى جانب أطفال طبيعيين، وكان هناك شيء من الرقابة والشفافية موجودة بالتعامل مع هؤلاء الأطفال من دون إساءة، وتعاملوا معهم بطريقة طبيعية، وهم يعيشون حياة مؤثرة جدًّا بالحقيقة بالنسبة لنا كباحثين. على سبيل المثال طفل أفغان يتحدث باللهجة العراقية، طفل يضحكك ويبكيك بنفس الوقت بالحقيقة، لكن مسكين هذا الطفل لا يتمتع بأي ورقة ثبوتية وهذه المشكلة التي نعاني منها، وإلا فهم أطفال طبيعيون، وكلمة «إعادة التأهيل» كبيرة عليهم بالحقيقة، هم يحتاجون إلى تحفيز إلى لعب إلى طعام لا يعانون من سوء التغذية، هذا الذي يحتاجه بالنسبة للأطفال. بالنسبة للنساء ربما الأمر أكثر تعقيداً.

مثلما أشار الكثير من الأساتذة أيضاً، لا توجد استراتيجية دوليّة، وكل الاستراتيجية الدولية هي إعطاؤهم شيئاً من المال، الرشوة السياسية للإدارة الذاتية في هذه المناطق الكردية في سورية لغرض التعامل مع مخيم الهول، وهذا الخيار الوحيد المتاح الآن.

إجابة على سؤال هل هناك برامج داخل المخيم؟ بالحقيقة لا يوجد أي برنامج داخل المخيم لإعادة التأهيل وما إلى ذلك، وإلا لما شهدنا حالات الاغتيالات هذه والمواجهات وحرق الخيام، والجرائم المنظمة ومجموعات الحسبة الموجودات داخل المخيم.

أقترح أن يوجد مخيم في إقليم كردستان بعيداً عن محاولات الثأر وما إلى ذلك، وبرنامج فيه شيء من الشفافية، وأن يكون من منظور إنساني، ويبدو الأمر صعباً للغاية في التعامل مع الرجال المقاتلين، من الناحية الثقافية لدينا مشكلة، من الناحية القانونية لدينا مشكلة، من ناحية الكفاءة الذين يقيمون البرامج وبرامج التأهيل وإعادة تأهيل هؤلاء لدينا مشكلات. لحد هذه اللحظة، توجد سجون خاصة بعناصر القاعدة وداعش، وهناك مسميات لوجود برامج للحوار مع هؤلاء على غرار البرنامج السعودي في المناصحة، لكن هذه المحاولات غير منظمة وأحياناً محاولات عكسية. اكتشفت الأجهزة الأمنية العراقية الكثير من المحاولات من الذين يأتون بغرض المناصحة من المؤسسات الدينية والأكاديمية وما إلى ذلك، تورطوا هم وأصبحوا جنود لقادة داعش الموجودين في السجون.

الفصل الخامس

استراتيجيات وسياسات مكافحة التطرف والإرهاب: مراجعة وتقييم

يناقش الخبراء في هذا الفصل الاستراتيجيات والسياسات الدولية والإقليمية والعربية في مكافحة التطرف والإرهاب، ويراجعون المقاربات الرئيسية فيها، والفرضيات التي اعتمدت عليها وانطلقت منها في ترسيم تصورات الحكومات والدولة المختلفة في العالم لمواجهة التطرف ومكافحة الإرهاب، ما بين نماذج اعتمدت المقاربات الصلبة والقوة العسكرية والأمنية وأخرى اعتمدت المقاربات الدينية وثالثة المقاربات الثقافية.

ولعلّ السؤال الرئيس اليوم بعد الهزيمة العسكرية لداعش في العراق وسورية، ما هي المراجعة المطلوبة للاستراتيجيات العالمية والإقليمية والمحلية المعنية بمحاربة التطرف والإرهاب؟ وينبثق عنه جملة من الأسئلة والتساؤلات: ما هي نقاط القوة والضعف فيها؟ وما هي أوجه القصور؟ وما هو المطلوب في المرحلة القادمة من أجل تجنب صعود وانتشار وتفشي الجماعات المتطرفة والإرهابية؟

في هذا الفصل يقدّم الخبير الأردني د. سعود الشرفات، مدير مركز شرفات لدراسات العولمة والإرهاب ورقة يستعرض فيها العديد من النماذج العالمية والعربية في مجال مكافحة التطرف والإرهاب؟ ويسلط الضوء بصورة خاصة على التجربة الأردنية والاستراتيجية الوطنية لمكافحة التطرف.

ثم يناقش الخبراء والباحثون ورقة الشرفات ويقدمون تصوراتهم لمختلف المجالات والجوانب المعنية في مستويات واتجاهات المراجعة المطلوبة لاستراتيجيات وسياسات مكافحة الإرهاب والتطرف..

مكافحة التطرف: الاستراتيجية الوطنية الأردنية إنموذجاً

د. سعود الشرفات

نماذج عالمية في مكافحة التطرف العنيف والارهاب

هناك إجماع اليوم من قبل الكثير من الباحثين والخبراء في مجال مكافحة التطرف العنيف والإرهاب العالمي على أن الاستراتيجيات (الخشنة) الأمنية - العسكرية لوحدها لم تعد كافية لمواجهة خطر الإرهاب والقضاء عليه. وبناءً عليه لا بد من مقاربات متعددة لمكافحة الإرهاب والتطرف العنيف. وتُعد برامج إعادة التأهيل والإدماج والرعاية اللاحقة من أهم مقومات هذه الاستراتيجيات .

تناقش هذه الورقة بشكل مختصرٍ ومكثف الخطوط العريضة للنماذج العالمية في مجال استراتيجيات مكافحة الإرهاب ، والتركيز على الاستراتيجية الأردنية ومحاورها الرئيسة في مكافحة التطرف العنيف ومكافحة الإرهاب والجهود الأردنية في مجال بناء برنامج لإعادة التأهيل والإدماج والرعاية اللاحقة للإرهابيين أو المتهمين بالإرهاب.

النموذج الأميركي

أولى الملاحظات على النموذج الأميركي هي غياب «دراسات الحالة» لبرامج إعادة تأهيل الارهابيين في السجون الأميركية وهذا واضح؛ ومفهوم لأن المقاربة الأميركية في مكافحة الإرهاب تفضل المقاربة التقليدية والقانون التقليدي، وتقوم أساساً على الحرب الوقائية، ولا ترى في الإرهاب إلا نوعا من «الجرائم العنيفة «. وبالتالي فإن عقوبة الإرهابي هي أما القتل في عمليات مكافحة الإرهاب أو خلال تنفيذ العمليات الانتحارية، أو الاعتقال طويل الآجل بدون تخفيض العقوبة، وبدون برامج إعادة تأهيل.

يُعبرُ النموذج الأميركي في مكافحة الإرهاب عن المدرسة «الواقعية « في السياسية والعلاقات الدولية والدراسات الأمنية التي ترى في «الدولة» وحدة التحليل الأهم في دراسة السياسية الدولية، والطرف الفاعل الوحيد والمسيطر في السياسة الدولية. وبالتالي تقلل من شأن «الأطراف الفاعلة من غير الدول» وأهمها الجماعات الإرهابية، مثل القاعدة وداعش وبوكو حرام، وغيرها من جماعات تاريخية قومية ويسارية معظمها

ترك السلاح وانخرط في العملية السياسية أو انتهى تحت ضغط الحرب العسكرية الشاملة . وبالطبع فأن هذه المدرسة تشكك بقدرة الجماعات الإرهابية على تغير بنية وسلوك الدولة .

ونظراً لقلة عدد الارهابيين في أميركا –نسبياً- ، وقلة عدد العمليات الإرهابية التي يرتكبها هؤلاء في أميركا مقارنة مع دول أخرى في العالم؛ حيث احتلت عام 2020م الترتيب (29) من أصل 193 دولة على مؤشر الإرهاب العالمي[184]، فإن الإرهابيين لا يشكلون مشكلة تستحق الاهتمام ببرامج إعادة التأهيل والدمج والرعاية اللاحقة ، والتعامل معهم قانونياً ، وسياسياء، وأمنياً لا يختلف عن التعامل مع الجرائم العنيفة الأخرى في أميركا.

النموذج الباكستاني

تعتبر الباكستان من أكثر الدول تعرضاً لخطر الهجمات الإرهابية. فقد احتلت عام 2020م الترتيب السابع على مستوى العالم على مؤشر الإرهاب العالمي[185]. وهي تمر بمرحلة انتقالية بين دولة في حالة صراع الى أخرى خارجة من مرحلة صراع عنيف خلفاتها عقود طويلة من الإرهاب الداخلي والعالمي المرتبط بالحروب بالوكالة والتوترات مع الروس سابقا ، وأفغانستان والهن ؛ وأميركا بعد هجمات -11أيلول 2001م ، والضغوطات الأميركية الحالية على المؤسسة العسكرية والأمنية الباكستانية، واتهامات بضلوعها بدعم الجماعات الإرهابية مثل طالبان، والقاعدة، والجماعات المتطرفة في كشمير. وهي اتهامات بلغت ذروتها خلال رئاسة الرئيس الأميركي دونالد ترامب، وعمران خان في باكستان . فقد اتهم ترامب باكستان بأنها حصلت على الكثير من المساعدات المالية والتدريب لكنها لم تقم بما هو مطلوب منها في مكافحة الإرهاب، بخاصة أن البرامج الباكستانية مسيطر عليها كلياً من الأجهزة الأمنية. ولذلك فإن الوضع معقد جدا في باكستان هذه الأيام و- ربما - يهدد جهود مكافحة الإرهاب وبرامج إعادة التأهيل المعمول بها حالياً والتي يسعى القائمين عليها الى الاستفادة من التجارب والأساليب المعمول بها في سنغافورة.

184 Institute for Economics & Peace. Global Terrorism Index 2020: Measuring the Impact of Terrorism, Sydney, November 2020. Available from .p 8 (accessed 15 - 6 - 2021): http://visionofhumanity.org/reports

185 Ibid.

النموذج الدنماركي

تُعتبر الدنمارك الدولة الثانية في أوربا مقارنة بعدد السكان تصديراً «للمقاتلين الإرهابيين الأجانب «في سورية والعراق بواقع (145) مقاتل نصفهم تقريباً عاد الى الدنمارك. رغم أنها من الدول منخفضة تهديد الإرهاب الداخلي. حيث كان ترتيبها 85 على مستوى العالم في مؤشر الإرهاب العالمي عام 2020م[186].

والدنمارك؛ مثال يُحتذى في برامج إعادة التأهيل والإدماج المجتمعي، واستراتيجيات منع التطرف، ويعتمد على المشاركة بين المؤسسات الحكومية ومؤسسات المجتمع المدني، والتي تتركز في ثلاث مناطق أصبح يشار اليها في دراسات وأدبيات إعادة التأهيل والإدماج، هي (Aarhus, Copenhagen, Odense,). وتركز على كيفية مواجهة تزايد التطرف والراديكالية في قطاع الشباب ولا تقتصر فقط على الجماعات الإرهابية الاسلاموية فقط بل جماعات اليمين المتطرف والجماعات الشعبّوية التي تنشط في قارة أوربا بشكل عام.

النموذج السعودي

تمتلك السعودية استراتيجية وتجربة مميزة في مكافحة التطرف العنيف والارهاب وإعادة التأهيل والدمج، تعود إلى عام 2004م بعد سلسلة من العمليات الإرهابية التي نفذها تنظيم القاعدة. وما زالت تعاني من تهديد خطر الإرهاب بالنظر لأنها من أكثر الدول العربية والإسلامية تصديرا للمقاتلين الأجانب في سورية والعراق، ونظرا لأنها تحتل المرتبة (32) على مستوى العالم في مؤشر الإرهاب العالمي (GTI) لعام 2020 [187].

وتشرف وزارة الشؤون الدينية ووزارة الداخلية على البرامج التي نالت شهرتها عقب إشرافها على تأهيل المعتقلين السعوديين المحولين من معتقل غوانتانامو بعد هجمات 11 أيلول 2001م الذين بلغ عددهم 1200 معتقل . ثم من خلال برنامج الأمير نايف للرعاية والمناصحة الذي شكل عام 2007م. والذي يتكون من ثلاثة مكونات هي: المناصحة، وإعادة التأهيل، والرعاية اللاحقة.

186 Ibid.p9
187 Ibid.p8

النموذج العراقي

يعتبر العراق مختبراً فوضوياً ومرعبا للارهاب العالمي ودراسات الإرهاب والتطرف العنيف وحركات التمرد. وهو يتصدر منذ أكثر من عقدين من الزمن ترتيب الدول الأكثر رعبا وإرهاباً حيث حل عام 2020م في المرتبة الثانية بعد أفغانستان على مؤشر الإرهاب العالمي[188].

وبالرغم أنه لا يوجد حالياً برامج لإعادة التأهيل في السجون العراقية؛ إلا أن الأميركان عقب احتلال العراق 2003م كانوا يشرفون من خلال القوات الأميركية في العراق على برامج إعادة التأهيل في السجون العراقية من خلال العميد / جون .دي . غاردنر (Lt. Gen. John D. Gardner,). وقد تم الاعتماد في هذا البرنامج على التجربة الماليزية. وبالرغم من السلبيات والانتقادات التي تعرض لها برنامج إعادة التأهيل في العرا ؛ الا أنه من المفيد الإشارة الى أن تلك التجربة كانت حجر أساس مهم في تجارب وأدبيات مكافحة التطرف العنيف وكيفية بناء برامج إعادة التأهيل والدمج والرعاية اللاحقة .

النموذج المصري

تعتبر التجربة المصرية مميزة وفريدة؛ نظراً لأن السجون المصرية أول من شهدت نجاحات مؤكدة لبرامج إعادة التأهيل من خلال المراجعات الدينية التي قام بها الكثير من قادة الجماعات الإسلامية الإرهابية، بخاصة الجماعة الإسلامية، والجهاد الإسلامي. لذلك يمكن القول بأن قادة هذه الجماعات الإرهابية والمتطرفة هم من قام بالمبادرة لمراجعة الأفكار المتطرفة وليست الدولة ومؤسسات الحكومة. وبشكل عام فإن تجربة مصر في مكافحة الإرهاب والتطرف العنيف تعتمد المقاربات الخشنة. لكنها في الوقت نفسه سمحت باستقبال النساء والأطفال من ساحات القتال في سورية. ومثال على ذلك انها سمحت لأبنة ايمن الظواهري بالعودة الى مصر .

ونظراً لاستمرار تهديد الإرهاب لمص ، حيث احتلت عام 2020م المرتبة 14 على مؤشر الإرهاب العالمي[189]. فإن التجربة المصرية بحاجة الى تفعيل خاصة في ظل تهديد تنظيم داعش المستمر خاصة من خاصرة سيناء .

188 Ibid.p8
189 Ibid.p8

النموذج السنغافوري

تعتبر سنغافورة من الدول الأكثر عولمة في العالم، ومن الدول التي تخلو من الإرهاب . ففي عام 2020م جاءت في المرتبة 135 على مستوى العالم في مؤشر الإرهاب العالمي[190]، لكنها تملك تجربة فريدة تم الإشادة بها كثيرا من قبل الباحثين تتكون من ثلاثة مكونات رئيسة هي : التأهيل السيكولوجي –النفسي، والتأهيل الاجتماعي، والتأهيل الديني. وتشرف عليها «دائرة الأمن الداخلي» (ISD) بالاشتراك مع المنظمات الإسلامية للتأكد من عدم عودة المعتقلين المفرج عنهم إلى سلوك التطرف، حيث يتلقى القائمون على البرنامج المساعدة والاستشارات السيكولوجية من (ISD) والتوجيه الديني من «مجموعة إعادة التأهيل الديني» (RRG). والرعاية والدعم من «مجموعة الرعاية اللاحقة» (ACG) وهي شبكة من الجمعيات الإسلامية الملاوية

النموذج الألماني

تحتل المانيا المرتبة(38) على مؤشر الإرهاب العالمي (GTI) لعام 2017 [191]. ما زالت التجربة الألمانية في مكافحة التطرف، وإعادة التأهيل والاندماج تفتقر للاستمرارية، والمراجعة، والاستراتيجية الصلبة (grand strategy,) . والتي تستند على دعامة محاربة جذور الإرهاب من خلال الوقاية، ومنع الراديكالية التي تشرف عليها وزارة الداخلية الفيدرالية، وتعزيز قيم الديمقراطية في المجتمع. وأهم مثال على الاستراتيجية الألمانية البرنامج الذي تشرف عليه الحكومة تحت اسم «أحيا الديمقراطية» (Live democracy) والآخر المدعوم من مؤسسات المجتمع المدني خاصة من الاكاديميين والخبراء تحت اسم « شبكة الوقاية من العنف» (Violence Prevention Network) وبرنامج (Exit Programme)على مستوى الحكومة المحلية في منطقة شمال الراين – وستفاليا نظراً لوجود جالية إسلامية كبيرة في المنطقة تقدر بأكثر من مليون مسلم، وكل هذه البرامج مخصصة لمكافحة التطرف الإسلامي، رغم أن الأولوية في مكافحة التطرف ما زالت لجماعات اليمين المتطرف الألمانية.

190 Ibid.p9
191 Ibid

النموذج الصيني

تعتمد تجربة إعادة تأهيل الارهابيين في الصين الشعبية على «قانون مكافحة الإرهاب» (CTL) الذي صدر عام 2015م. والمكرس للتعامل مع المسلمين الإيجور في منطقة (Xinjiang) ذات الحكم الذاتي، ويعتمد على ثلاثة مكونات هي : إعادة تأهيل الموقوفين، إعادة تأهيل السجناء السابقين، وإعادة التأهيل الاجتماعي. وبالرغم من أن هذا البرنامج يدعي انه مُكرس لكسب عقول وقلوب المسلمين الإيجور إلا أن السمعة الدولية لهذا البرنامج سيئة جداً في العالم خاصة في ظل التنافس السياسي مع الولايات المتحدة التي تستغل هذا الملف سياسيا لمحاصرة النفوذ الصيني في العالم.

الإستراتيجية الوطنية لمكافحة التطرف العنيف

(countering violent extremism CVE)

قام «مجلس السياسات الوطني» واللجان المتخصصة التابعة له منذ عام 2014م بحملة واسعة على كافة المستويات الحكومية الأمنية، والوزارات المعنية (وزارة الداخلية، وزارة الثقافة، وزارة الأوقاف، وزارة التنمية الاجتماعية، وزارة الخارجية، وزارة التربية) للخروج باستراتيجية شاملة لمكافحة الإرهاب والتطرف العنيف تمخضت عن إنتاج «الإستراتيجية الوطنية لمواجهة التطرف العنيف» عام 2014. والتي تم نشر تفاصيلها في الصحف المحلية الأردنية عام 2016 تحت اسم «الخطة الوطنية لمواجهة التطرف». وقامت الحكومة بتشكيل لجنة لمكافحة التطرف قامت بوضع إطار مرجعي يتكون من ثلاثة محاور رئيسية هي المحور الثقافي الديني والمحور الديمقراطي ومحور حقوق الأنسان.

تقول الاستراتيجية « ونقصد بمكافحة التطرف العنيف «الإجراءات الاستباقية في مواجهة جهود المتطرفين في سعيهم لتجنيد وتعبئة المؤيدين للتطرف والعنف، ثم الحد من العوامل التي من المرجح أن تساهم في عملية التجنيد والتطرف من قبل المتطرفين العنيفين»[192].

يؤكد المحور الثقافي الديني في الاستراتيجية الأردنية على ضرورة دعم وترويج ثقافة دينية إسلامية صحيحة أصيلة منطلقة من مقاصد الشريعة الإسلامية التي جاءت

192 Official website of the Department of Homeland Security,(2016) Countering Violent Extremism Task Force, What is CVE?, https://www.dhs.gov/cve/what-is-cve

لحفظ المقاصد الخمس الأساسية وهي ما يسميها الأصوليون المقاصد الكلية التي جاء الدين لتحقيقها، وهي أن يحفظ للناس (دياناتهم وأنفسهم وعقولهم وأنسالهم وأموالهم).

ما بالنسبة للمحور الديمقراطي، فيرى الأردن أن غياب الديمقراطية غالبا ما يؤدى إلى زيادة العنف والتطرف بأشكاله المختلفة. ومن ثم، دعت الإستراتيجية إلى تعزيز القيم الديمقراطية في الحرية والعدالة والمساواة واحترام الأديان والأقليات ونبذ التشدد الديني والطائفي. وفى يخص محور حقوق الأنسان، ودعت الإستراتيجية إلى تأصيل قيم التسامح والتعددية وثقافة احترام حقوق الإنسان وترسيخها وقبول الآخر من خلال المؤسسات المعنية بالتوجيه والتربية مثل وزارة التربية والتعليم ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي ووزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية ووزارة الثقافة والمؤسسات الشبابية والإعلامية ودائرة الإفتاء.

تقيم الاستر اتيجية الأردنية

إنّ أهم الانتقادات التي وجهت لتلك الإستراتيجية أنها تعاني من ضعف شديد في إدراك الأسباب والمداخل التي يتسرب منها الفكر المتطرف، كما أخفقت أيضا في إيجاد روابط قوية متينة بين المؤسسات والوزارات ودفعهم على التنسيق في ما بينهم لبناء خارطة متكاملة. فعلى الرغم من تأسيس «وحدة مكافحة التطرف الديني العنيف والإرهاب» في الأردن المنبثقة عن الاستراتيجية الوطنية، إلاّ أنّ التصور الرسمي لها بقي متذبذباً غير مدرك للدور الذي يمكن أن تؤديه على الصعيد المدني، فتم ربطها بداية بوزارة الداخلية، ثم نقلها إلى وزارة الثقافة ، ثم نقلها مرة أخرى الى رئاسة الوزراء ،حيث قرّر مجلس الوزراء في جلسته التي عقدها ، الأحد، 2018/8/19 برئاسة رئيس الوزراء الدكتور عمر الرزّاز، نقل «وحدة مواجهة التطرّف» من وزارة الثقافة إلى رئاسة الوزراء، وذلك لتوسيع نطاق عملها، وتفعيل دورها في مواجهة أفكار التطرّف، علماً بأن هذه الوحدة لم تخصص لها موارد مالية حقيقية، ولم تعط نفوذاً للدخول إلى عمل المؤسسات والوزارات المعنية والتنسيق الكامل معها.

وعلى الرغم من أن أهم ما يميز الإستراتيجية الوطنية هو أنها تشاركّية، إلا أن ملفها لا زال يصنف على أنّه «سري» ويخضع لإشراف دائرة المخابرات العامة، مديرية الأمن العام، وزارة الداخلية، وزارة التنمية الاجتماعية، ووزارة الأوقاف. كما يؤخذ على

الإستراتيجية أيضا أنها لم تتطرق بتوسع وعمق إلى الأسباب الاقتصادية والاجتماعية والسيكولوجية التي تؤدى إلى التطرف منها فشل مشاريع التنمية، وتفشى الفقر والبطالة، وغياب العدالة الاجتماعية، والفساد، واحتكار الثروة، والشعور بانسداد الأفق، والارتياب، والخوف من المستقبل وغيرها من التحولات القيمية الخطيرة في المجتمع والتي تعتبر إرهاب رمزياً لا يقل خطورة عن الإرهاب العملي بالقتل والتدمير كالتنمر وعدم التسامح ومهاجمة الآخر المختلف.

تطرقت الإستراتيجية أيضا لدور وزارتي التربية والتعليم ووزارة التعليم العالي وتناولت موضوع تحديث لمناهج بشكل يتوافق مع «الإسلام الوسطى»، وهو مصطلح غير منضبط – مبهم علميا ولا يوجد له تعريف دقيق. وبدلاً من أن تقوم الإستراتيجية بتقييم أداء وزارة الأوقاف التي تشكل «المنظومة الفكرية الإسلامية» التي ترعاها كأحد مصادر التطرف العنيف، قامت الإستراتيجية بمحاولة تبرئة الوزارة من تلك الاتهامات وعمدت إلى تعزيز قدراتها وتمكينها من خلال زيادة عدد الوعاظ والأئمة والمؤذنين.[193]

بالإضافة إلى ذلك، تبنت الإستراتيجية مقاربة لمواجهة التطرف تُمكّن كلا من وزارة الأوقاف ودائرة الإفتاء من احتكار شرعية الحديث باسم الإسلام وتفسيره وتأويله، حيث قدمت بعض الخطوات الإجرائية التي تتحكم في منظومة الوعظ، والإرشاد والخطابة والمساجد لضمان الالتزام بالخطاب الديني للدولة. ومن الجدير بالذكر أن تلك الشرعية التي يُراد احتكارها لا تعترف بها تيارات الإسلام السياسي العنيفة وغير العنيفة مما يساهم في تعزيز حجج تلك التيارات من خلال متناقضة الاعتدال والوسطّية التي تتبناها الإستراتيجية.

في المجمل أرى أن بِنّية الخطة صيغت بطريقة دينية وعظّية. ومعظمها له علاقة مباشرة بتحسين ظروف وبيئة العمل في الوزارات والمؤسسات المشاركة في الخطة، وليس في كيفية معالجة الإرهاب والتطرف العنيف. أكثر من ذلك فمن الواضح أنّ الموظفين البيروقراطيين في المؤسسات والوزارات حاول أن يستثمر في حماس الدولة والنظام لمكافحة التطرف العنيف والارهاب وإعداد استراتيجية فعالة بهذا الشأن ليطرح متطلباته (التي قد تكون حقة ومشروعة) خاصة بالدعم المالي وتحسين ظروف العمل لديها.

193 - Al-Sharafat, Saud (2018) Assessing Jordan's National Strategy to Combat Violent Extremism, The Washington Institute for Near East Policy, https://cutt.ly/kRK6GLA

نلاحظ أن وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية، ودائرة الإفتاء العام تصدرت قائمة الأطراف الفاعلين المشاركين في الخطة البالغ عددها (14) طرفاً ، والتي قدمت ما مجموعة (195) مقترحاً إجرائياً، 30% منها قُدم من وزارة الأوقاف ودائرة الإفتاء، حيث قدمّتا (59) مقترحاً، (10) منها لدائرة الإفتاء أذكر من أهمها :

- معالجة النقص الحاصل في الخطباء والأئمة والمؤذنين بما يضمن سد النقص المقدر بـ: (3300) وظيفة إمام و(700) وظيفة مؤذن بحجة ضمان التوجيه السليم وعدم السماح بتحويل هذه المساجد مرتعاً للفكر المتطرف، وضبط عمليات جمع التبرعات المالية والعينية في المساجد بشكل تام وسليم واقتصارها على اللجان المرخص لها حسب الأصول، وإجراء المقتضى القانوني بحق المخالفين.
- وضع برنامج للإشراف على الأنشطة الوعظية والدينية في مخيمات اللاجئين السوريين. وتفعيل التنسيق مع وزارة الداخلية والأجهزة الأمنية لوضع البرامج والخطط اللازمة لإطلاق برنامج حوار مع المتطرفين في مراكز الإصلاح والتأهيل .
- تقديم رؤية تتضمن آليات اطلاق حوار مع المعتدلين من اتباع التيار السلفي المعتدل وجماعة الدعوة والتبليغ والمتصوفة لغايات كسب تأييدهم وضمان عدم انحيازهم إلى صف الجماعات الإرهابية، وذلك لتفويت الفرصة على المتربصين، بما يضمن إيجاد تقارب ديني وطني بين هذه الجهات، على أن تكون وزارة الأوقاف مرجعية العمل الدعوي.
- تكثيف الجهود ووضع الخطط اللازمة لنشر الفكر المستنير وبيان صورة الإسلام بوسطية واعتدال وخاصة في المدن التي تشهد تمدداً للفكر التكفيري (معان، الزرقاء، الرصيفة، إربد، السلط، الكرك). ومتابعة الفتاوى الصادرة عن الأحزاب والأفراد والتنظيمات المتطرفة التي تخالف النصوص الشرعية ودراستها والرد عليها وبيان بطلانها ودحضها، وإنشاء مرصد متخصص لهذه الغاية، وعقد الندوات والملتقيات العلمية والمؤتمرات والمشاركة في الندوات الداعية إلى الوحدة ونبذ العنف والتطرف وجميع مظاهر الإرهاب بأشكاله المختلفة.

أما أبرز اقتراحات الأطراف الأخرى (على سبيل المثال) فهي: اقتراح وزارة الثقافة مواصلة البرنامج الثقافي لمراكز الإصلاح والتأهيل بالتعاون مع مديرية الأمن العام. وتبني تأليف كتب وأبحاث ومسابقات في التأليف حول الفكر المتطرف وجذوره وسبل معالجته

والإرهاب وأسبابه وسبل مقاومته. وعقد المؤتمرات المتخصصة في إشاعة الفكر المعتدل ومقاومة الفكر المتطرف.

واقترحت وزارة الداخلية عدم السماح بترخيص أحزاب ذات طابع ديني، سواء أكانت إسلامية أو مسيحية أو غيرها.

أما وزارة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات فاقترحت الطلب إلى المركز الوطني لتكنولوجيا المعلومات السيطرة على مواقع التنظيمات المتطرفة والتكفيرية، التي تبث فكر التكفير أو تشجع عليه أو تدعو له أو تشكل وسيلة تواصل بين عناصره على شبكة الإنترنت العالمية.

فيما اقترحت القوات المسلحة تعديل منهاج العلوم العسكرية الذي يدرس في الجامعات الأردنية وكليات المجتمع ومدارس الثقافة العسكرية المنتشرة في محافظات المملكة كافة وتطويره والتركيز على مناهضة التطرف والفكر التكفيري، واستمرار «كلية الدفاع الوطني» في إجراء المزيد من الدراسات عن التطرف والفكر التكفيري وأثره على الأمن الوطني، ووضع منهاج لمكافحة الفكر المتطرف لغاية تدريسه في جامعة مؤتة (الجناح العسكري) وجميع الكليات والمعاهد العسكرية. وبالفعل قامت «كلية الدفاع الوطني» بطرح برنامج ماجستير لمدة سنه يتكون من 36 ساعة دراسية بعنوان» استراتيجيات مواجهة الإرهاب والتطرف» تخرج الفوج الأول منه عام 2018م. وتم تأسيس مركز لمكافحة التطرف تابع إدارياً لكلية الدفاع بتمويل من الحكومة اليابانية .

واقترحت مديرية الأمن العام مجموعة من السياسات والإجراءات، أهمها:

- استحداث شعب وأقسام متخصصة مهنياً لمكافحة الفكر المتطرف ومتابعة مستجداته لدى إدارة الإفتاء ولدى الأمن الوقائي. وتطوير مهارات المحاورين في مجال مواجهة المتطرف والفكر التكفيري سواء أكان ذلك لدى مرتبات إدارة الإفتاء أو الأمن الوقائي من خلال دورات متخصصة.
- تعزيز دور «مراكز الإصلاح والتأهيل» في مكافحة الفكر المتطرف من خلال، والاستمرار في سياسة عزل النزلاء المتطرفين عن باقي النزلاء، وتفعيل برامج الحوار مع النزلاء المنتسبين إلى الجماعات المتطرفة التنظيمات الإرهابية، مع إمكانية والاستفادة من المتعافين من الفكر المتطرف نتيجة الحوار في محاورة النزلاء، ووقاية وتحصين

باقي النزلاء من الانخراط في هذا الفكر، وشمول المتعافين من الفكر التكفيري بعد خروجهم من تلك المراكز بخدمات «الرعاية اللاحقة» بالتعاون مع الجهات المعنية مثل: وزارة العمل ووزارة التنمية الاجتماعية وصندوق الزكاة.

- عدم السماح للمنظمات الحقوقية غير الحكومية بزيارة «مراكز الإصلاح والتأهيل» إلا بعد التنسيق مع «المركز الوطني لحقوق الإنسان».

بشكلٍ عام هناك الكثير من الاقتراحات التي تم تنفيذها بالفعل خاصة على الجانب العسكري والأمني ، وهناك مقترحات أخرى لم تنفذ بعد ، وأخرى قيد المتابعة والتنفيذ لكن لم يصرح عنها .

يصنف ملف « الاستراتيجية الوطنية لمواجهة التطرف العنيف» الذي يتكون من 400 صفحة على أنه «سري»[194] ويخضع لإشراف دائرة المخابرات العامة، مديرية الأمن العام، وزارة الداخلية وزارة التنمية الاجتماعية، ووزارة الأوقاف. وكان مسؤولون رسميون اعتبروا أن الخطة الوطنية لمكافحة التطرف مطبقة على أرض الواقع، ضمن جداول زمنية محددة، لكنها واجهت ضعف في التنسيق بين الجهات الشريكة في الاستراتيجية[195].

وقد أشاد تقرير لوزارة الخارجية الأميركية حول الإرهاب بجهود وإجراءات الأردن في مواجهة الإرهاب والفكر المتطرف وسعيه لإضعاف الإيديولوجية العنيفة، التي تدعم «داعش» وغيرها من المنظمات المتطرفة العنيفة، لكنه؛ سجل بعض الانتقادات لسير وشروط تنفيذ بعض محاور الاستراتيجية الوطنية الأردنية[196].

وعلى الرغم من التقييم الإيجابي لنتائج هذا البرنامج من قبل الأشخاص (الذين تحدثت معهم) في الأجهزة الأمنية، و وزارة الثقافة ، لكن؛ للأسف الشديد فإنّ النتائج الحقيقية لهذا البرنامج ليست معروفة لدى الخبراء والمتابعين والدارسين والإعلاميين، وليست هناك شفافية وحرية للوصول للمعلومات حول تفاصيل هذا البرنامج وإنجازاته حتى الآن.

194 المرجع السابق
195 المرجع السابق
196 المرجع السابق

التوصيات

لم تقضِ جائحة كورونا على الإرهاب في الأردن، ولا يزال تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" يشكل تهديدًا كبيرًا على الأمن القومي الأردني. حيث يشير التراجع الملحوظ للنشاط الإرهابي في الأردن خلال العام الماضي2020م حسب «مؤشر الإرهاب في الأردن»(Terrorism Index in Jordan -TIIJ) الذي يصدره سنوياً «مركز شُرُفات لدراسات وبحوث العولمة والارهاب « (Shorufat Center for Globalization and Terrorism Studies-SCGTS) إلى أن تهديد تنظيم داعش" في البلاد قد انخفض بشكلٍ كبيرٍ . حيث خلا الأردن من الإرهاب فعلياً عام 2020م. ولم يشهد أي عملية إرهابية. وهذه هي المرة الأولى منذ عام 2011م التي يخلو منها الاردن من العمليات الإرهابية[197]. لكن هذا لا يعني أن تهديد الإرهاب ضد الأردن قد انتهى.

فعلى ضوء الارتفاع المحتمل للعمليات الإرهابية على المستوى المحلى خلال السنوات القادمة (بحسب توقعات «مؤشر الإرهاب في الاردن»)[198]، واحتمال عودة المزيد من المقاتلين الأردنيين الى الأردن؛ أعتقد بأنه يجدر بنا إعادة النظر في تلك الإستراتيجية الوطنية وتقيمها، نظرا لان بنية تلك الإستراتيجية قد صيغت بطريقة دينية وعظّية، ومعظم بنودها مرتبطة فقط بتحسين ظروف وبيئة العمل في الوزارات والمؤسسات المشاركة في الإستراتيجية، وليس في كيفية معالجة الإرهاب والتطرف.

وحتى يتسنى لتلك الاستراتيجية أن تنجح، فمن الضروري إخضاعها لمبدأ الشفافية والتقييم النقدي، والتغذية الراجعة، وتسهيل حصول الباحثين والدارسين والإعلاميين على المعلومات اللازمة ضمن إطار المبدأ المعروف «الحاجة إلى المعرفة» بما يساهم في النهاية في تشارك كافة الأطراف الحكومية ومؤسسات المجتمع المدني في مسيرة مكافحة الإرهاب والتطرف العنيف دون المساس بالأمن الوطني أو الدولي.

كما يجب تعزيز تلك الاستراتيجية بخبراء في علم نفس والسياسة، والاجتماع والشريعة، وأشخاص خبراء في الإرهاب والتطرف العنيف مؤهلين للحوار والنقاش مع حملة الأفكار الإرهابية. ومن ثم، فإن إشراك قطاعات واسعة من المجتمع الأردني بشكل

197 مركز شُرُفات لدراسات وبحوث العولمة والارهاب (2021)مؤشر الإرهاب في الأردن 2020-م. على الرابط: https://cutt.ly/0RLqGbr

198 مرجع سابق ، مركز شُرُفات لدراسات وبحوث العولمة والارهاب .

يتجاوز القنوات الحكومية التقليدية، سيساعد السياسة الأردنية في مجال مكافحة الإرهاب لأن تصبح أكثر فعالية وأكثر مراعاة للتهديدات الحالية والمستقبلية.

كذلك من المهم تجديد وتحديث هذه الاستراتيجية لتصدر سنوياً ولتكون ضمن مشروع لاستراتيجية الأمن القومي، ومكافحة الإرهاب، ونشرها في وسائل الإعلام، وعقد حوارات ونقاشات بين كافة الأطراف الفاعلة في المجتمع حولها كما هو معموم في الولايات المتحدة الأميركية، وأن تعامل مثلها مثل موازنة الدولة، وديوان المحاسبة من حيث الأهمية والالتزام بالتوقيت. وأن تُدرج لها الموارد المالية اللازمة من الموازنة العامة للدولة ومن الشركاء العالميين خاصة من مكتب مكافحة الإرهاب التابع للأمم المتحدة.

المراجع

المراجع العربية

1- الشَرَفات، سعود (2011)،العولمة والارهاب :عالم مُسطح أم وديان عميقة، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع ،عمان –الأردن ، الطبعة الأولى ، مطبعة السفير ، ص61.

2- حسن أبو هنيّة، محمد أبو رمان وأخرون (2016)، مؤسسة فريدريش ايبرت مكتب عمان، وسائل منع ومكافحة الإرهاب في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا والغرب 32-42.

3- حامد السعيد(2014)، إصلاح المتطرفين، مجلة يونيباث العسكرية، على الرابط : https://cutt.us/MyVcb

4- حسين هزاع المجالي، محمد أبو رمان (2016). صحيفة الغد الأردنية، مركز الدراسات الاستراتيجية في- الجامعة الأردنية، سلسلة أوراق العمل. دروس من الحدث في مكافحة الإرهاب والتطرف، على الرابط : https://cutt.us/BNJlc

5- الطراونة ، محمود(2016)، استراتيجية وطنية جديدة لمكافحة التطرف، صحيفة الغد الأردنية، على الرابط:https://cutt.us/sVB3K

6- المصري، ريم 2015). موقع حبر الإلكتروني الأردني، قانون منع الإرهاب: بين ملاحقة الفكر الإرهابي والرأي المعارض، على الرابط التالي: https://cutt.us/2VXzE

7- الموقع الرسمي لمديرية الأمن العام، إدارة مراكز الإصلاح والتأهيل (2018)- على الرابط https://www.psd.gov.jo/index.php/ar/2015-07-16-03-2015/06-25-08-19-01-32--08

8- صحيفة عربي 21، لندن (2018) ماذا قال البغدادي عن هجوم الفحيص وعملية السلط؟ على الرابط: https://cutt.us/Y12nP

9- مركز شُرُفات لدراسات وبحوث العولمة والارهاب (2021)مؤشر الإرهاب في الأردن 2020-م. على الرابط: https://cutt.us/9IaX8

المراجع الإنجليزية

1- Al-Sharafat, Saud (2018) Assessing Jordan's National Strategy to Combat Violent Extremism, The Washington Institute for Near East Policy. https://www.washingtoninstitute.org/fikraforum/view/assessing-jordans-national-strategy-to-combat-violent-extremism.

-2 Angell, Ami and Rohan Gunaratna (2011) Terrorist Rehabilitation: The U.S. Experience in Iraq. Boca Raton, FL: CRC Press: 230–233, 270.

-3 Anne, Speckhard (2017) The Jihad in Jordan: Drivers of Radicalization into Violent Extremism in Jordan, The International Center for the Study of Violent Extremism (ICSVE), http://www.icsve.org/research-reports/the-jihad-in-jordan-drivers-of-radicalization-into-violent-extremism-in-jordan/.p.

-4 Rohan Gunaratna (2011) Terrorist rehabilitation: a global imperative, Journal of Policing, Intelligence and Counter Terrorism, 6: 1, 65-82, DOI: 10.1080/18335330.2011.553182.

-5 Rohan Gunaratna (Author, Editor), Mohamed Bin Ali (Editor)(2015), Terrorist Rehabilitation: A New Frontier in Counter-terrorism (Imperial College Press Insurgency and Terrorism),p5.

-6 The Washington Institute for Near East Policy) 2018), Taking Stock of U.S. Counterterrorism Efforts Since 9/11, https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/view/policy-forum-july-10-2018.

-7 7Official website of the Department of Homeland Security,(2016) Countering Violent Extremism Task Force, What is CVE?, https://www.dhs.gov/cve/what-is-cve.

-8 8The Institute for Economics & Peace (IEP) http://visionofhumanity.org/app/uploads/2017/11/Global-Terrorism-Index-2017.pdf

المناقشات

تشارلز ليستر

بداية مع سياسات مكافحة الإرهاب، فإنّ للولايات المتحدة الأميركية سجل حافل بالمشكلات المتعلقة بسياسات مكافحة الإرهاب ومكافحة الأيدولوجيات العنيفة المتطرفة، لذلك فإنّ العديد من الباحثين والمتحدث منهم وجهوا انتقادات كثيرة لسياسات مكافحة الإرهاب الأميركية، وتعالت الأصوات حول أخطاء السياسات الأميركية المتراكمة حيال الارهاب منذ هجمات الحادي عشر من سبتمبر 2001 إلا أنّ التحدي يتمثل بجذب السياسيين وصناع السياسات للإصغاء إليهم؟

من وجهة نظر أميركية واوروبية فإنّ التركيز على مواجهة الإرهاب عسكريا و(ميدانيا) يعاني من عيوب ومشاكل كثيرة، أود القول أنّ الإصرار على توظيف هذا المنهج قاد لبعض التحسن في التكتيكات العسكرية العملية على أرض الواقع مع مرور الوقت، بالنظر إلى استخدام القوات الأميركية (الطائرات المسيرة) في شمال شرق سورية وأفغانستان واليمن خلال السنتين الأخيرتين، وهي طائرات تصيب اهدافها بدقة عالية، فمثلا تستطيع هذه المسيّرة إصابة شخص يركب بجانب السائق في السيارة دون إصابة السائق، بالمختصر الحديث عن المقاربة العسكرية لا تنتهي.

لن تتوقف الولايات المتحدة عن استخدام القوة العسكرية، الا أنها من الممكن تقلل من استخدامها في الفترات الأخيرة، لكن المشكلة الحقيقية التي نواجها مع صناع القرار والسياسيين في الولايات المتحدة منذ خمسة عشرة او عشرين عاما الماضية، هي تفضيلهم لاستخدام القوة العسكرية في مكافحة الإرهاب بهدف حماية الأراضي الأميركية، فلا يعنيهم حماية في الواقع حماية السوريين او الأفغان أو غيرهم، إلا أنّ السياسيين الأميركيين يرون أنّ هذا النهج أتى بثماره خاصة ضد السلفيين الجهاديين، حيث أنّ الأراضي الأميركية أكثر أمنا من ذي قبل.

المشكلة الأخرى المعقدة التي نواجهها حتى في حال الولايات المتحدة أصبحت أكثر أمنا، أنّ الوضع في الشرق الأوسط وجنوب آسيا وأماكن أخرى أصبح أكثر سوءا، فاتسع نطاق التهديدات ورقعة الأيدولوجيات المتطرفة فيه أكثر من ذي قبل، وقد قمت بتأليف كتاب (انتصار في المعارك.. لكن الحرب خاسرة) أصف فيه ما حدث خلال

العقدين الأخيرين، لذلك هناك حل جزئي طرحه الرئيس الحالي بايدن بمواصلة مكافحة الإرهاب لكن بقوات أميركية أقل بكثير من السابق بالشراكة مع القوات المحلية لأي دولة منخرطة فيها، فالعمل هنا يركز على بناء القدرات والتعاون الشركاء المحليين، ممكن أن تكون جهات غير حكومية مثل قوات سورية الديمقراطية في سورية، وجهات حكومية كذلك، وهناك العديد من الاستثمارات في هذا المجال بعمليات فرض القانون والعمليات الاستخباراتية، في هذه الإدارة والإدارات القادمة، ربما تكون هذه خطوة في الاتجاه الصحيح مع الأفكار المذكورة آنفا في هذه المناقشات حول نزع التطرف (Deradicalization) وإعادة التأهيل (Rehabilitation) إلا أنه لا توجد هناك أية اهتمامات نهائيا بما يتعلق بحل مشكلة المخيمات، إعادة المواطنين المهاجرين في سورية والعراق إلى أرضهم!

المشكلة الرئيسية التي يمكن وصفها بالسامة أنّ السياسيين عندنا لا يستطيعون حتى التفكير بإعادة المواطنين المهاجرين إلى أراضيهم ذلك بأنه لن يعاد انتخابهم مرة اخرى. كنتُ قد التقيت مع أحد الضباط ذوي الرتب العالية، دون ذكر اسمه، طرحتُ عليه سؤالا حول كيفية التعامل مع مقاتلي تنظيم داعش وعوائلهم بعد السيطرة منطقة الباغوز في سورية، فأجابني بأنهم في حرب إبادة ضد هؤلاء المقاتلين وأنهم يأملون بقتل أكبر عدد ممكن منهم، نتيجة لهذه الاستراتيجية العسكرية الباردة، فإنّ أعداد مقاتلي تنظيم داعش قد ازدادوا بشكل كبير يصعب السيطرة عليهم ولا استراتيجية واضحة حيال هذا الأمر!

بالنتيجة فإنّ الحل لا يكمن فقط بوجود قوات محلية تحارب التنظيم، بل حتما بتشجيع الحكومات المعنية بالحديث بصوت واحد لزيادة الضغط على المجتمع الدولي لإصدار قرارات تدعم هذه الحكومات بشكل قوي ما يزيل العبء الكامل عنها وتصبح هناك مشاركة في تحمل المسؤولية بين جميع الأطراف.

بالنظر إلى الصورة الكبرى للواقع، فإنّ الحل لا يكمن فقط بمحاربة أيدلوجيا التنظيم، فالأيدلوجية ليست القضية او السبب النهائي لهذا كله، بل هي اداة لتحريك (تحفيز) هذا التنظيم، الجذور الرئيسية للأزمة تكمن في السياسات، الاقتصاد، التمثيل السياسي غير المتكافئ، الفساد، سوء الغدارة والعديد من المشاكل الاجتماعية الاقتصادية.

طالما هذه العوامل بقيت موجودة، فإنّ سنرى المزيد من الشباب والناس المحبطين، ورجال ونساء سينضمون الى هذه الحركات والتنظيمات والاجيال الاخرى ستفعل ذلك أيضا، هذه العوامل تم التعامل معها من قبل، ولكن الأفضل القيام بتحييد الأيدولوجيات المتطرفة وعدم التعامل مع هذه القضايا، لأننا أذا نظرنا بعمق الى جذور هذه المشكلات الرئيسية

فسنرى أنّ كثير من الناس الذين انضموا الى التنظيم ربما لم تكن دوافعهم أيدلوجية، بل السياسة والسياسيات المحلية والدوافع الداخلية في المجتمعات المحلية.

محمد العظامات

أرى أن الاستراتيجية الوطنية لمكافحة الإرهاب والتطرف باتجاه الخطاب الوعظي أكثر منها خطاب إصلاحي أو تأهيلي، لأنّ التصور العام حول الإرهاب والتطرف في الأردن وكافة الدول العربية بنيت على فرضية عدم فهم الإسلام بشكل صحيح، في العالم العربي عموما يغلب فيه استخدام المسميات والشعارات ذات الصبغة أو النكهة الإسلامية لتوصيف ظاهرة التطرف والإرهاب، ذلك يعني بأنه إقرار ضمني من قبل المؤسسات والحكومات في الأردن بأنّ الدين الإسلامي سبب رئيسي للإرهاب والتطرف، على النقيض من الدراسات الأوروبية الحديثة التي خلصت إلى أنّ الأسباب السياسية والاقتصادية هي التي تدفع الشباب للالتحاق بالمنظمات الإرهابية والمتطرفة.

بالتعامل مع الشباب ذوي الفكر المتطرف خلال سنين عملي في أحد الأجهزة الأمنية، توصلت إلى نتيجة مفادها أنّ نسبة عالية منهم لم ينضموا إلى المنظمات الإرهابية بدافع الامتثال للأيدولوجيات، إنما كان انضمامهم بدافع البحث عن المغامرة، امتلاك السلاح، البحث عن العنف. كل ذلك تحت العنف المشرّع تحت غطاء الدين وانتحال صفة المجاهد.

أرى أنّه لابد من الفهم العميق لظاهرة التطرف من مداخل أخرى غير المدخل الديني، في الأردن يوجد برنامج إصلاحي إلا أنه لا يقوم على المدخل الديني الشرعي، فالنتيجة واضحة أنّ الجهل بالدين الإسلامي سبب رئيسي لالتحاق الشباب بالجهاد. كما أنّ هذا البرنامج لا يتطرق الى الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي تدفع الشباب للالتحاق بهذه التنظيمات.

خلاصة القول أنّ المشكلة في الأردن والعالم العربي هي أننا ما زلنا نتعامل مع التطرف والإرهاب بأنه خلل في فهم الدين والأحكام الشرعية المتعلقة في فقه الجهاد وما إلى ذلك. وهذا القالب سيقودنا إلى حلقة مفرغة لن تكافح التطرف والإرهاب. كأننا نرسل رسالة واضحة للعالم بأن مشكلة التطرف والإرهاب بسبب الدين الإسلامي. هذا في الحقيقة يسيء للدين أكثر من الحفاظ عليه.

حسن أبو هنية

خلاصة القول أنّ الإستراتيجية الاردنية ترتكز على البعد الأيديولوجي وكأن هذه ظاهرة تعني استسلام للمقاربات الاستشراقية والثقافية بأنّ هي الثقافة والدين هما المحددان الأساسيان لظاهرة العنف في المنطقة، ولكنّ الباحثين والخبراء يعلمون بأنّ هذه الظاهرة معقدة ترتبط بظرف محلي يستند إلى انغلاق آفاق أي حل سياسي. الفساد غياب التمثيل، والديموقراطية، وحقوق الإنسان، والحريات.

كذلك الظرف الإقليمي المرتبط بعدم التوصل إلى أي حل للقضية الفلسطينية، وبالتالي الأمور تراوح مكانها، بالإضافة إلى خلق مشكلة أخرى التي تتمثل بالحرب الطائفية الباردة بين العالم العربي بين إيران ودول الخليج تحديدا المنخرطة فيها كل الأطراف.

وهناك الظرف الدولي بالتأكيد الذي يتمثل بالتدخلات الخارجية والعولمة النيو ليبرالية التي أدت إلى إفقار الطبقات الوسطى، وبالتالي كل هذه الظروف المحلية والإقليمية والدولية تخلق ظاهرة الإرهاب، وهذا هو ما نجد بأنه هذه الأنظمة في النهاية تستثمر. يعني يجب أن نفهم بأن هناك تواطؤاً مع الغرب كما تحدث الباحث شارل ليستر. ما يهم الغرب ألا يكون هناك هجمات على غرار سبتمبر، ونعلم أن الجماعات الجهادية قد تنهت كتنظيم الدولة وأصبح هدفها سيطرة مكانية إبتداءا. يعني حتى تنظيم الدولة لم ينفذ هجمات إلا بعد أن تعرضه لهجوم وبالتالي بدأ هجماته الخارجية لأنه يفضل العدو القريب، وحتى القاعدة في إطار تحولاتها ذهبت إلى منظومة أنصار الشريعة والحوكمة المحلية والسيطرة المكانية لتجنب هذه الذريعة.

إنّ الخلل في الدين يحتاج إلى مقاربة ثقافية، وبالتالي التركيز على قضية المساجد والخطاب وقضية المناهج المحلية دون النظر إلى كل هذه الظروف الإقليمية والمحلية والدولية العميقة التي تؤدي إلى ظهور وتنامي الدوافع للانضمام للتنظيم. ونحن نشاهد

بعد قرابة عشرين عاما على إحدى عشر سبتمبر 2001 نجاحات تكتيكية دون وجود نجاحات استراتيجية. أعتقد أن الأنظمة العربية عموما تستثمر في مكافحة الإرهاب، بمعنى أننا نريد أن نضع استراتيجية إلا أنّ هناك افتقارا إلى المخصصات والموارد، بالتالي نريد أن نحصل على أموال لتنفيذ مثل هذه البرامج، لذا فإنّنا من مجتمع الخبراء والباحثين نرى ضرورة تحرير مكافحة الإرهاب من هذه العلاقة، كي لا يكون ذلك مؤشراً إلى أنّ الاستبداد هو المقاربة الأساسية، فالاستبداد هو أحد أهم مكونات بعث هذه الجهادية العالمية، ونحن نشاهد بعد كل هذه السنوات أنها تزداد سوءا، بالتالي هذه ليست مشكلة في النهاية مهما تحدثنا عن مطالبات غربية وأميركية. لكن المشكلة في داخل هذا العالم العربي. شاهدنا هذه الطفرة التي أحدثها تنظيم الدولة هو نتيجة الانقلاب والثورات المضادة على مطالب الشعوب بالحرية والعدالة والكرامة.

خالد سليم

إنّ تغليب مقاربة الحديث عن الفكر المتطرف على الأقل يلغي المسؤولية الحكومية عن الأوضاع الاقتصادية، الاجتماعية والثقافية، بالتالي الحديث عن برامج التأهيل والإدماج مثل برنامج المناصرة في السعودية، أو البرنامج الذي تتولاه الرابطة المحمدية في المغرب للتركيز على الجانب الفكري يعد محاولة للتنصل من التحديات السياسية الاقتصادية والاجتماعية المؤدية لموضوع التطرف، وهذه حقيقة فيها إشكالية وتحتاج إلى مراجعة نقدية. الجانب الآخر أنّ ما يسمى بالاستراتيجية عبارة عن خطة وطنية وليست استراتيجية فالمسمى الدقيق حسب ما نشرت هي الخطة الوطنية لمكافحة التطرف وليس التطرف العنيف، يعني حتى المصطلح بحاجة إلى تدقيق.

بالعودة إلى رسالة الماجستير للطالبة رشا فتيان التي قدمت في الجامعة الهاشمية، نرى أنّ أربعة عشر مؤسسة ساهمت في وضع هذه الخطة، ثلاثة منها أمنية وإحدى عشرة مؤسسة غير امنية، هذا مؤشر ايجابي على اتباع أسلوب الوقاية في الخطة، إلا أنّ هناك تغليب للجانب غير الأمني في الخطة، على النقيض من الاسلوب المتبع في بريطانيا الذي يعتمد على التقاطع ما بين أسلوبي الوقاية والتتبع، فلا يمكن عمليا الفصل بينهما، الجانب الآخر هو (عدد التدخلات) كما أطلق عليها المتحدث، فإجمالي عدد التدخلات في صياغة الخطة حوالي (195) تدخلا، (18%) تدخلات امنية و (82%) تدخلات غير

الامنية فهذا يعطي مؤشرا على أنّ هناك تغليب للجانب الديني في هذا الامر كما ذكر الباحث أبو هنية، كذلك الأمر فإنّ هناك (45) تدخلا للشؤون الدينية كأعلى نسبة، يليها (17) تدخلا لوزارة التنمية السياسة ثم نسب أخرى أقل، برأي المتحدث انّ هذا الامر يعد تغليبا للجانب الفكري على الجوانب الأخرى.

قضية مهمة اخرى، فبالنظر إلى خطابات الملك في فترات سابقة، فقد كانت خطابات الملك في فترة (2000-2005) تدور حول الفكر، ثم فترة (2006-2011) كانت الخطابات تدور حول الظروف الإقليمية والدولية، ومن عام 2011 حتى اليوم فإنّ أغلب الخطابات تدور حول الظلم وإشكالية الديمقراطية ومحاربة التطرف، الملاحظ أنه هناك ارتباكا ما بين الخطابات المتقدمة لجلالة الملك التي لم يتم التعبير عنها في ورقة السياسات الوطنية أو الخطة الوطنية لمكافحة التطرف، فالسؤال هنا لماذا لم يتم الحديث بشكل واضح عن الظروف والعوامل المؤدية إلى التطرف رغم تأكيد الملك على محاربتها في خطاباته الأخيرة؟

محمد أبو رمان

بداية لا أعتقد أن هنالك جدية في مكافحة التطرف والإرهاب، بل هناك بزنس واستثمار في التطرف والإرهاب في العالم العربي، وهنالك حرص من الدول العربية على رعاية التطرف والإرهاب بوصفه البديل عن الأنظمة الموجودة في كل الحالات. رأينا أن الأنظمة استثمرت سياسيا في علاقتها مع الغرب في فكرة مكافحة التطرف، ولكن أعتقد أن التطرف والإرهاب هو مولود شرعي لسياسات الأنظمة العربية، وبالتالي هذه معضلة حقيقية لابد أن نتعامل معها.

الملاحظة الثانية مثل ما ذكر الباحثان تشارلز لستر وأبو هنية، فالولايات المتحدة ليست معنية كسياسة خارجية لمكافحة التطرف والإرهاب بقدر ما هي معنية بحماية الأمن القومي الأميركي، وأعتقد أنّ هنالك فجوة ما بين رؤيتها للأمن القومي الأميركي وما بين ما تطلق من برامج لمكافحة التطرف والإرهاب يبقى على صعيد الدول هنالك محاولات أوروبية في مكافحة التطرف والإرهاب. ذكر الدكتور سعود تجارب مهمة كنا أشرنا لها في أكثر من مؤتمر سابق مع فريدريش إيبرت من ضمنها التجربة الدانماركية، فهذه التجربة تعد جيدة، التجربة البريطانية فيها محاولات، التجربة السعودية فيها مشكلة وكذلك

التجربة الإماراتية أنهما أولا تعتمدان المنظور الديني وتقزم قضية مكافحة التطرف والإرهاب، فإذا دخلت إلى موقع السكينة مثلا الموجود في السعودية مرتبط بمكافحة التطرف ستجد تحريم الديموقراطية وتحريم المظاهرات وتحريم العمل السياسي.

الأنظمة التي تحرّم وتحول دون تكريس الديمقراطية هي التي تصمم استراتيجيات وسياسات مكافحة الإرهاب، والمفارقة أنّ الإغلاق السياسي هو الذي أدى إلى التطرف وهذا هو جوهر التناقض في أغلب الدول العربية.

نأتي إلى الأردن لدي ملاحظات سريعة جدا وخاطفة مع تأكيد وتأييد لكل ما ذكره الدكتور سعود، وما ذكره الدكتور محمد العظامات وذكره طبعا خالد لأننا نعمل على دراسات سوسيولوجيا التطرف في الأردن، أولا لا بد من الحديث عما قبل دخول السجن وخلال دخول السجن وما بعد دخول السجن، فهناك ثلاث مراحل في الأردن تختزل بشكل خطير. اليوم السجون تفرخ التطرف والإرهاب في الأردن.

إنّ أكبر جريمة ارتكبناها في الأردن، بتعديلات قانون الإرهاب لأن تعديلات قانون الإرهاب وضعت من يروج للإرهاب في السجن ووضعناهم في مهاجع الإرهابيين، فهنالك اليوم مئات من الشباب فقط لأن وضع اعجاب أو لأنه قال كلمة أو لأنه كتب على الواتس أب جروب دخل السجن فأصبح مع داعش. قدمنا خدمة توصيل لداعش. خطير. الأخطر من ذلك أن ما بعد السجن أيضا نحن نذل هؤلاء بعد الخروج من السجن، وبالتالي لا نفتح لهم، لا نبقي الباب مواربا لهم، من يدخل السجن ثم يخرج نبقى نضيق عليه بعد الخروج، وكأننا نقول له عمليا ليس لك خيار إلا الإرهاب والتطرف. نغلق عليه الأبواب، لا يأخذ شهادة عدم محكومية، يمنع من السفر، ويتم التعامل مع أهل المتطرف وكأنهم متطرفون، وكأنهم أنجبوا هذا الشخص فهذه مسؤوليتهم. نرتكب أخطاء فادحة في قضية مكافحة التطرف والإرهاب.

تعقيب سعود الشرفات

أود أن أعلق على المناقشات الواردة في المؤتمر بعدة نقاط:

- بداية فإنّ ما يعرف بالسلفيين والتكفيريين لا علم لهم حقيقة بفكر السلفية أو السلفية التكفيرية، لدرجة انهم لا يصلون في المساجد، فكيف تقوم الدولة بتكريس استراتيجية كاملة ودعم مالي للمساجد؟
- الدولة ممثلة بوزارة الثقافة ووزارة الاوقاف تعتقد انها تحتكر المجال العام خاصة في الأمور الدين، لذلك فإنها تعتقد أنّ ما يدعون بالإرهابيين ينافسونها في هذا المجال الذي تسيطر عليه، وتتحدث بنفس الخطاب واللغة التي تتحدث بها هذه الجماعات.
- هناك (لغط) في فهم وتوظيف كلمة الخوارج في خطابات الدولة حول الإرهاب، فلفظ الخوارج نفسه ليس مضبوطا في هذه الخطابات ولا ينطبق على حالة أولئك الإرهابيين، فالخوارج نص معروف مضبوط تاريخيا وقيميا، فهل هذا المصطلح يتوافق مع استراتيجية وطنية لمكافحة الإرهاب؟ ألم يعلم هؤلاء بأن هناك شارع في حي الشميساني يسمى قطري بن الفجاءة؟ وبينما الدولة تهاجم الخوارج وتفتح له شارع وتسميه قطري بن الفجاءة أشهر قادة الخوارج؟!
- أرى العالم العربي انجرف إلى جغرافية الغضب، ظروف سياسية واقتصادية واجتماعية وتحولات ومتغيرات على مسرح الأحداث ساهمت كلها في حالة الفوران وحالة الغضب والتي تعد أحد تجليات التطرف العنيف، إن هناك تجليات أخرى الفقر والبطالة والتهميش والشعور بالاغتراب والشعور بالاستسلام والشعور بالغبن الذي يعني يدفع إلى حالة الكراهية، وحالة الارتياب التي تتجلى في الخوف من الآخر.
- هناك فجوة ما بين الخطاب الذي تحدث به جلالة الملك عن موضوع التطرف والإرهاب، وربطه بموضوع العولمة واستراتيجية مكافحة التطرف، الملك مدرك للعملية، ومدرك للترابط العولمي بمعنى أنها لا تنحصر كقضية تطرف ديني فقط ويؤكد على منهجية شمولية في مكافحة الإرهاب، بصورة أدق فإنّ المنهجية (كلانية) بمعنى أنها أكثر من مجموع الاجزاء مجتمعة ويجب النظر الى الصورة الكلية أكثر، فالعوامل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعوامل الدينية المتعلقة بالإسلام والمدونة الإسلامية بمجموعها يجب النظر إليها بصورة كلية دون التركيز على الجزئيات وإغفال طرف أو آخر.

الفصل السادس

مستقبل الجهادية العالمية: اتجاهات ومقاربات

يتناول هذا الفصل الآفاق المستقبلية على صعيد الجهادية العالمية والجماعات المرتبطة بها، بخاصة سؤال الخلاف بين تنظيمي داعش والقاعدة، وتأثير ذلك على امتدادات الجهاديين والجماعات المحلية في مناطق مختلفة من العالم.

يضم هذا الفصل ورقتين رئيسيتين؛ الأولى لحسن أبو هنية، الباحث الأردني في شؤون الإرهاب والتطرف، ويتحدث فيها عن المدارس المختلفة في الجهادية العالمية والآفاق المستقبلية، ويقدم الورقة الثانية الباحث السوداني، عباس صالح، المتخصص في قضايا الإرهاب، ويتناول فيها انتشار الجماعات الجهادية في أفريقيا وكيفية مواجهة ذلك.

ثم يناقش الباحثون والخبراء المشاركون في هذه الحلقة البحثية الآفاق المستقبلية للجهادية العالمية ولمرحلة ما بعد خلافة داعش، ويقدّمون أراءهم واستنتاجاتهم وخلاصاتهم وتوصياتهم النهائية في هذا الفصل الختامي من الكتاب.

انشطار الجهادية العالمية.. المدارس والاتجاهات

حسن أبو هنيّة

بعد مرور نحو عشرين عاماً على هجمات الحادي عشر من سبتمبر 2001، حققت الحملة الدولية على الإرهاب بقيادة الولايات المتحدة الأميركية انتصارات تكتيكية وقتية واضحة، دون تحقيق نجاحات استراتيجية مستدامة، فقد يرهنت الجهادية العالمية بقيادة القاعدة على مرونتها وقدرتها على التكيّف والصمود والتمدد والانتشار، وقد فوجئ العالم قبل نحو ست سنوات في يونيو/ حزيران 2014، بظهور نهج جهادي جديد، عندما أعلن أبو بكر البغدادي قيامَ خلافة في العراق وسورية ونصّب نفسه خليفة، وقد سيطرت مجموعته، التي أعاد تسميتَها تنظيم «الدولة الإسلامية» على أراض تقدر مساحتها بمساحة بريطانيا، وتضمّ 10 ملايين شخص، حينها بدت أهمّية إنجازات تنظيم القاعدة وغيرها من المجموعات الجهادية ضئيلة أمام هذا التنظيم. ولا تزال قدرة الجذب التي تتحلّى بها أيديولوجية تنظيمَي «الدولة الإسلامية» و «القاعدة» قويةً، وستسعى أعداد ضئيلة من التابعين لهما في الغرب إلى حمل السلاح. ورغم أنّ الخطر اليوم أقلّ تهديداً ممّا كان عليه في العام 2014، فإن على صانعي السياسات الإقرار بأنّ تحقيق نجاح جزئي قد يكون أفضل ما سيحصلون عليه. [199]

لم تكن مهمة طرد تنظيم الدولة الإسلامية من مناطق سيطرته في العراق وسورية سهلة، بقدر السهولة التي سيطر بها تنظيم الدولة الإسلامية على الرقة في سورية والموصل في العراق عندما انهارت ستة فرق من الجيش العراقي إضافة إلى انهيار قوات الشرطة الاتحادية وقوات البيشمركة الكردية، إذ لم تتمكن القوات المحلية من كبح جماح التقدم السريع لمقاتلي تنظيم الدولة تجاه أربيل وبغداد، إلا بعد تشكل تحالف دولي واسع في أيلول/ سبتمبر 2014 بقيادة الولايات المتحدة الأميركية وبمشاركة أكثر من

199 انظر: دانيال بايمان، ماذا بعد تنظيم الدولة الإسلامية؟، 22 فبراير 2019، معهد بروكنجز، على الرابط: https://tinyurl.com/22j7h938

80 دولة، لصد هجمات التنظيم وإخراجه من أماكن سيطرته المكانية، حيث أطلقت عملية «الحل المتأصل» في تشرين أول/ أكتوبر 2014 بالتنسيق مع الحلفاء الميدانيين في العراق وسورية.[200]

منذ خسارة تنظيم الدولة الإسلامية آخر جيب يسيطر عليه في منطقة «الباغوز» شمال شرق سورية في آذار/ مارس 2019، تراجعت قدرات التنظيم على شن هجمات كبيرة، وتحول من نهج الحروب الكلاسيكية والسيطرة المكانية والتمكين، إلى نهج الاستنزاف وحرب العصابات والنكاية، وتحول من حالة المركزية إلى اللامركزية، وأثناء ذلك تراجع الاهتمام بمكافحة الإرهاب مع حلول جائحة «كورونا»، وتغير الأولويات الأميركية إلى التركيز على المنافسة الاستراتيجية مع الصين وروسيا، ومواجهة عواقب الأزمة الصحية والاقتصادية التي خلفتها الجائحة، وتبدو المقاربة الأميركية حول التعامل مع الظاهرة الإرهابية في غاية الأهمية، فهي الدولة القائدة لجهود مكافحة الإرهاب، فقد برهنت السنوات الماضية منذ عقدين على ضعف الأنظمة المحلية في مواجهة الإرهاب وافتقارها إلى القدرات العسكرية والأمنية والاقتصادية الكافية لمواجهة الحركات الجهادية، فضلاً عن عجزها عن إرساء نظم سياسية تتمتع بالشرعية والاستقرار، وافتقارها إلى قواعد الديمقراطية ومبادئ حقوق الإنسان، وهي الأسباب الجذرية للتطرف العنيف والبيئة المثالية لنمو الإرهاب.

في هذا السياق فإن المراجعة الأميركية لأولوية الحرب على الإرهاب لها تداعياتها على بقية دول العالم، ورغم النجاحات التكتيكية، فإن المقاربة الأميركية تكتنفها عيوب استراتيجية، إذ تحولت الحرب على الإرهاب إلى أطول صراع مسلح مستمر في تاريخ الولايات المتحدة، حسب بروس هوفمان؛ فقد استمرت لفترة أطول من مشاركة أميركا في الحربين العالميتين وتجاوزت حتى الفترة التي كان الجيش الأميركي يشارك بنشاط في العمليات القتالية خلال حرب فيتنام.

ولقد كلفت حرب الإرهاب الولايات المتحدة أكثر من 5 تريليون دولار ولقى أكثر من 7000 جندي عسكري أميركي حتفه. ومع ذلك، ومع دخول الحرب على الإرهاب عقدها الثالث، فإن أي نوع من أنواع الانتصار الحقيقي يبدو بعيد المنال أكثر من أي وقت

200 انظر: مايكل نايتس، هزيمة تنظيم «الدولة الإسلامية» في العراق بالأرقام، معهد اشنطن، 29 مارس 2017، على الرابط: https://tinyurl.com/4ncsc526

مضى، واليوم، يظل الاستقرار والأمن في العراق سلعتين قابلتين للتلف. وبعد مرور ثمانية عشر عاماً، ما زالت بذور الديمقراطية التي كان مخططو الغزو يأملون في غرسها في بغداد، ومن ثم السماح لها بالانتشار في المنطقة بأسرها، لم تتحقق بشكل مأساوي، ولكن أدت تجربة أميركا الكئيبة في العراق إلى عواقب غير مقصودة لنشر البؤس والموت والدمار المستمر هناك، وقد امتد ذلك إلى الدول المجاورة أيضًا. وبعد مرور 20 عاماً من تحرير أفغانستان من حكم طالبان، دخلت الولايات المتحدة بحماقة في اتفاقية مستعجلة والتي تتمتع بكل الإمكانية لإعادتهم مرة أخرى إلى السلطة.[201]

في حقيقة الأمر فإن غزو العراق 2003 شكّل كارثة بكافة المقاييس، فقد مكّنت من صعود القاعدة والجهادية العالمية، وفي نفس الوقت مكّنت إيران من التمدد والانتشار، حيث ساهم التدخل الأميركي بتقلة نوعية للجهادية السنيّة والشيعية، وفي أفغانستان أسفر الغزو الأميركي 2001، في النهاية بتنامي الحركة الجهادية، توشك طالبان إلى العودة إلى نظام الإمارة الإسلامية بمجرد خروج القوات الأميركية بحلول سبتمبر القادم، مع تعهد بايدن بإنهاء «حروب أميركا إلى الأبد».

يشير مصطلح الحرب «إلى الأبد» أو «التي لا نهاية لها»، والتي يجب التخلص منها التي يرددها الرئيس الأميركي الحالي جو بايدن ومن قبله الرئيس دونالد ترامب، ببساطة إلى حروب أميركا على مدى العقدين الأخيرين عقب هجمات 11 سبتمبر تحت مسمى «الحرب على الإرهاب»، باعتبارها حرب مفتوحة في الزمان والمكان، فهي «الحرب إلى الأبد» أو «الحرب التي لا تنتهي» كما يسميها كثيرون، وتستند أساساً إلى مجموعة واسعة من الأعمال العسكرية خارج أميركا، على عدوٍ غير مرئي يسمى الإرهاب، وأخبرنا وزير الدفاع الأميركي آنذاك، دونالد رامسفيلد، أنه «لم يكن في أفغانستان فقط»، بل في العراق كذلك، ويتواجد في «50 أو 60 دولة، ويجب ببساطة تصفيته»، وكان وزير الخارجية في إدارة بايدن أنتوني بلينكين قد أكد خلال جلسة تثبيته في مجلس الشيوخ على القول «نريد إنهاء ما يسمى الحرب الأبدية»، وربما يكون من الصعب على الأشخاص الذين وُلِدوا منذ الحادي عشر من سبتمبر/أيلول أن يتخيَّلوا مدى التغيير بعد أحداث سبتمبر، فبعد خمس سنوات، وحربين لا نهاية لهما في الأفق، دخلت أميركا حالة الحرب

201 انظر: بروس هوفمان، مكافحة التطرف: 20 عاما من الحرب على الإرهاب: مفترق طرق أم طريق مسدود؟، 25 مارس 2021 بوابة المصري اليوم، على الرابط: https://tinyurl.com/4shns598

الدائمة، ووصف ما كان يسمَّى آنذاك بالحرب على الإرهاب بأنه «صراع أجيالٍ شبيه بالحرب الباردة، وهو نوع الصراع الذي قد يستمر لعقودٍ من الزمن، حيث يعمل الحلفاء من أجل استئصال الإرهابيين في جميع أنحاء العالم ومحاربة المتطرّفين الذين يريدون حكم العالم».[202]

لقد تَميز نهج الولايات المتحدة في مكافحة الإرهاب ما بعد أحداث 11 أيلول/سبتمبر بموقف عالمي قائم على الدفاع الأمامي العدواني. وكما قال وزير الدفاع الأميركي السابق روبرت غيتس، «من الأفضل محاربتهم على خط العشر ياردات لديهم بدلاً من مقاتلتهم على خط العشر ياردات لدينا». وقد حقق هذا المشروع لمكافحة الإرهاب نجاحاً ملحوظاً من منظور تكتيكي، حيث أسفر عن إحباط هجمات وتعطيل شبكات إرهابية. وتتطلب الحماية من الهجمات المستقبلية تيقظاً وحذراً مستمرين، ولكن بعد مضي ما يقرب من عشرين عاماً على أحداث 11 أيلول/سبتمبر، حسب ماثيو ليفيت؛ هناك إجماع متزايد على أن موقف الدفاع الأمامي الذي تنتهجه الولايات المتحدة في مكافحة الإرهاب غير مستدام مالياً وغير متوازن استراتيجياً مع احتياجات الموارد الخاصة بتهديدات الأمن القومي الأخرى. وقد اتفقت الإدارتان الأميركيتان السابقتان على وجوب قيام الولايات المتحدة بتقليص وجودها العسكري في جميع أنحاء العالم، وعكْسْ النموذج القائم منذ وقت طويل لنهج مكافحة الإرهاب العالمي الذي تقوده الولايات المتحدة ويمكّنه الشركاء، وتركيز جهودها على الجماعات الأكثر قدرة على استهداف الوطن الأميركي. وكما توضح «استراتيجية الدفاع الوطني» لعام 2018، فإن «التنافس الاستراتيجي بين الدول هو اليوم الشاغل الرئيسي للأمن القومي الأميركي، وليس الإرهاب». ولكن مع بدء إدارة بايدن في تنفيذ قرارها بسحب جميع القوات الأميركية من أفغانستان، أثبتت ترجمة هذه الأفكار على أرض الواقع أنها هدف بعيد المنال.[203]

تنطوي النظرة الإيجابية للتخلص من الحرب الأبدية على النجاح بمنع هجمات على الأراضي الأميركية على غرار هجمات 11 سبتمبر، والنجاح بمنع هجمات كبيرة واسعة النطاق على على الغرب من قبل تنظيم «الدولة الإسلامية» وتنظيم «القاعدة»،

202 انظر: رغم وعوده المتكررة بذلك.. لماذا سيفشل بايدن في إنهاء حروب أميركا «طويلة الأمد»؟، عربي بوست، على الرابط: https://tinyurl.com/tuabrebv

203 انظر: ماثيو ليفيت، المواءمة بين مكافحة الإرهاب وتنافس القوى العظمى، معهد واشنطن، 9 مايو 2021، على الرابط: https://tinyurl.com/kw9tp6h4

وهو ما تحقق إلى حد كبير إذ لم تشهد الولايات المتحدة هجمات كبيرة منسقة، ولا دول أوروبا منذ هجمات باريس في تشرين ثاني/ نوفمبر 2015؛ وكان آخر هجوم كبير قام به تنظيم الدولة الإسلامية هو ذلك الذي وقع ضد ملهى «رينا» الليلي في إسطنبول في كانون الثاني/يناير 2017. فقد أدتجهود التحالف الدولي بقيادة واشنطن إلى هزيمة خلافة تنظيم «الدولة الإسلامية» والقبض على قادتها وقتلهم إلى الحد من احتمال وقوع هجمات واسعة النطاق، موجهة من الخارج.

رغم كل تلك الجهود، فما زال هناك مزيج من العوامل الشخصية، والجماعية، والمجتمعية، والاجتماعية -السياسية، والأيديولوجية المستمرة في توليد التطرف وحشد الناس للعنف. حسب راسل ترافرز؛ فهناك اليوم ما يقرب من أربعة أضعاف عدد الأفراد المتطرفين الذي كان في 11 أيلول/سبتمبر، كما أن قاعدة البيانات الأميركية للإرهابيين المعروفين أو المشتبه بهم قد نمت بمعدل عشرين مرة منذ ذلك الحين. ومع ازدياد عدد السكان المتطرفين، ستنخفض قدرة الولايات المتحدة على تحديد الإرهابيين والقبض عليهم وقتلهم. بالإضافة إلى ذلك، فإن الهجرة من أفريقيا، التي تعود جزئياً إلى الاحتباس الحراري، تُولّد التطرف في صفوف العناصر من أقصى اليمين ضد اللاجئين وطالبي اللجوء في أوروبا. ويتطلب ازدهار المجتمع الراديكالي بذل جهود قوية لمنع الإرهاب. والحقيقة هي أن عقوداً من الاستثمار للتصدي لتهديد حاد يمكن أن يأتي، بمرور الوقت، على حساب الاستثمار في مواجهة تهديدات أخرى بنفس القدر من الإلحاح. وفي تشرين الثاني/نوفمبر 2019، قال القائم بأعمال «مدير المركز الوطني لمكافحة الإرهاب» في الولايات المتحدة، راسل إي ترافرز، «لن نقضي على الإرهاب قط، ولكن تم إنجاز قدر هائل من الأعمال الهامة، مما يسهل إجراء محادثة حول المخاطر المقارنة».[204]

ومع ذلك، بعد قرابة عقدين من الزمن، ورغم كل ما ينبغي أن نفخر به بحق، حسب مايكل اللفتنانت ومايكل ك. ناغاتا، فقد حان الوقت لنسأل أنفسنا بعض الأسئلة الصعبة ولكن الضرورية: على الرغم من القدرات التي قمنا بتطويرها والتقدم الذي حققناه، لماذا أصبح الإرهاب اليوم أكثر انتشاراً وتعقيداً مما كان عليه حين بدأنا؟ لماذا أثبت الإرهاب أنه قادر على الصمود والتكيّف بالرغم من نجاحاتنا ورغم الضغط

204 انظر: راسل ترافرز، مكافحة الإرهاب في عصر الأولويات المتنافسة: عشرة اعتبارات رئيسية، معهد واشنطن، 12 نوفمبر 2019، على الرابط: https://tinyurl.com/829var2d

والقوة المتواصلين اللذين نستخدمهما نحن والعالم للوقوف في وجهه؟ إنّ التقييم المنبّه والمستمد من «قاعدة بيانات الإرهاب العالمية» التي جمعها برنامج «ستارت» التابع لـ«جامعة ماريلاند» هو خير مثال عن أن الاتجاهات الأساسية للإرهاب بالرغم من جهودنا الكثيفة، أصبحت مثيرة جداً للقلق. فمنذ عام 2010، ازداد عدد الوفيات المرتبط بالإرهاب في جميع أنحاء العالم بنسبة تزيد عن 300 في المائة، كما ازداد عدد الهجمات الإرهابية مع ما يقترن بها من ضحايا بحوالي 200 في المائة. وبمعزل عن ذلك، هنا في الولايات المتحدة، تجري السلطات الفدرالية المعنية بإنفاذ القانون حوالي ألف عملية تحقيق متصلة بالإرهاب في مجتمعاتنا المحلية في جميع الولايات الخمسين.[205]

إن الاعتراف أن الإرهاب اليوم أصبح أكثر انتشاراً وتعقيداً مما كان عليه حين بدأت الحرب على الإرهاب، وأن الإرهاب بات أكثر قدرة على الصمود والتكيّف بالرغم من النجاحات التكتيكية ورغم الضغط والقوة المتواصلة، لا يحتاج إلى أدلة وبراهين ساطعة، فتنظيمي الدولة الإسلامية القاعدة خارج العراق وسورية، لا تزال تتوافر على فروع وولايات ناشطة في بلدان عديدة ، ورغم تنامي قدرات بعض الفروع وخصوصاً في أفريقيا فمن الصعب انتقال ثقل مركز تنظيم الدولة وتنظيم القاعدة من معاقلهم التفليدية، إلى مواقع في دول أخرى أنشا فيها التنظيمن فروع وولايات، مثل: سيناء أو ليبيا أو اليمن وجزيرة العرب أو نيجيريا وغرب أفريقيا أو الصومال وشرق أفريقيا أو أفغانستان أو الفلبين وجنوب شرق أسيا أو الشيشان وشمال القوقاز، فهي تفتقر جميعا إلى تحقيق سيطرة مكانية واسعة وتمويلات كبيرة، وهي تتعرض للضغط من قبل وكالات مكافحة الإرهاب المحلية والإقليمية والدولية،

ثمة مساران مُتوقعان لتنظيم الدولة الإسلامية في المرحلة المقبلة: الاحتمال الأول، هو أن يؤدي تفكك التنظيم إلى تمركزه في مجموعة صغيرة مركزية، حتى لو كانت أضعف. أما الاحتمال الثاني، فهو أن يسلك التنظيم نهج القاعدة في بدايات الألفية الجديدة بأن يضعف تأثيره في المركز (العراق وسورية)، في حين يُعطي الزخم لعملياته الإقليمية في مناطق مثل أفغانستان، ليبيا، شبه جزيرة سيناء واليمن.[206]

205 انظر: مايكل اللفتنانت ومايكل ك. ناغاتا، تقييم الجهود الأميركية لمكافحة الإرهاب منذ أحداث 11 سبتمبر، معهد واشنطن، 10 يوليو 2018، على الرابط: https://tinyurl.com/mp2a8y33

206 انظر: تشارلي وينتر وكولين كلارك، هل بدأ داعش بالتفكك؟، فورين أفيرز، ترجمة خاصة، عرب 48، على الرابط: https://tinyurl.com/htyu8yay

يجب الالتفات إلى أن إلحاق هزيمة نهائية بالحركة الجهادية غير واقعي ولا ممكن، فلا زالت الجهادية العالمية تتمتع بجاذبية كافية، إذ لا يتعلق الأمر بمقاربة عسكرية لمجموعات تعمل خارج سياقات الدولة والمجتمع، إذ تستند الجهادية إلى أسباب جذرية عميقة سياسية واقتصادية واجتماعية، وهي تأخذ أبعاداً متغيرة ومرنة، وتتمتع بالقدرة على التكيّف مع التحولات، وبعد أن كانت القاعدة تنظيماً نخبوياً طليعياً مركزياً في أفغانستان، أصبحت الآن أكثر انتشاراً، وباتت تتنافس فيما بينها على النفوذ والسيطرة، وأصبحت أشد خطورة بعد انقسامها إلى ثلاث مدارس جهادية، حيث شهدت الجهادية العالمية انشطاراً وانقساماً، عقب ثورات الربيع العربي، إلى ثلاث مدارس رئيسة:

المدرسة الأولى: تتمسك بأجندة القاعدة التقليدية بزعامة أسامة بن لادن، والتي تنص أولويّاتها على أولوية قتال العدو البعيد ممثلاً بالغرب عمومًا والولايات المتحدة خصوصًا، باعتبارها حامية للأنظمة العربية الاستبدادية، وراعية لحليفتها الاستراتيجية «إسرائيل»، وتبنت نهجاً قتالياً واسترتيجياً بقوم على تنفيذ عمليات قتالية انتقامية تستند إلى مفهوم جهاد «النكاية»، من خلال طليعة مهمتها الوصول إلى خلق حالة إسلامية تصل إلى جهاد الأمة، بصرف النظر عن مذهبيتها الدينية الطائفية السنية والشيعية، ولذلك عمل على نسج علاقات مع إيران والتعاون مع كافة الجماعات الإسلامية رغم اختلافاتها الداخلية حول تدبير الشأن العام ومناهجها الدعوية والسياسية والجهادية، ولذلك عمل على فتح علاقات مع الإخوان وغيرهم من الجماعات، فهذه المكونات بمجموعها حسب القاعدة تشكل الأمة التي تقوم بمهمات تطبيق الشريعة الإسلامية وصولاً إلى هدف إقامة الخلافة، وقد عمل خليفة بن لادن أيمن الظواهري على تجسير الفجوة بين النزعتين النخبوية والشعبوية من خلال طرح نظرية «أنصار الشريعة»، التي أصبحت الاستراتيجية الأساسية للقاعدة، وهي التي ستؤدي إلى تفكك القاعدة.

المدرسة الثانية يقودها الفرع العراقي المعروف بـ «الدولة الإسلامية» بزعامة أبوبكر البغدادي، وترتكز أجندتها على أولوية مواجهة العدو القريب، في إطار عقيدة شمولية تقوم على دمج الأبعاد الجهادية المحلية والإقليمية والدولية، والجمع بين أنماط وأساليب الجهاد المختلفة، وفي مقدمتها، أولاً: جهاد «التمكين» من خلال فرض السيطرة المكانية على الأرض، وفرض حكامتة وتطبيق الشريعة، وإعلان الخلافة، وثانياً: جهاد «النكاية» من خلال تنفيذ عمليات عسكرية انتقامية تستند إلى تكتيكات عنيفة جداً من

الذئاب المنفردة، إلى الهجمات المنسقة، وصولاً إلى العمليات الانتحارية والانغماسية، وثالثاً: جهاد «التضامن» من خلال دعم ونصرة القضايا التي تعتبرها شرعية، فتنظيم الدولة الإسلامية يصر على قتال العدو القريب من الأنظمة ويعتبرها كافرة مرتدة، ويؤكد على قتال العدو البعيد الأميركي والأوروبي باعتباره كافر صليبي، ويشدد على قتال العدو الوسيط الإقليمي الإيراني الشيعي ويصفه بالكفر والإقليمية من خلال تنفيذ «المشروع الصفوي»، ويدعو إلى قتال العدو الإسرائيلي اليهودي، ويصفه بالكفر والعنصرية من خلال تحقيق «المشروع الصهيوني»، ولذلك فقد أصبح الأساس الهوياتي الديني (الإسلامي المسيحي/ اليهودي)، و(السني الشيعي) هو المحرّك الإيديولوجي الرئيس لسلوك الفرع العراقي المنشق عن القاعدة، ويعتبر تنظيم الدولة الإسلامية القاعدة انحرفت عن مسار الجهادية العالمية ووقعت في مخالفات شرعية تتناقض مع الدين الإسلامي، وذلك بنسجها علاقات مع الكفار والمرتدين كإيران، وبتحالفها مع حركات إسلامية دعوية وسياسية وجهادية كالإخوان المسلمين وحركة طالبان، يصفها تنظيم الدولة بالكفر والردة، باعتبارها حركات وطنية لا تستند إلى المفاهيم لإسلامية كالتوحيد والولاء والبراء والكفر بالطاغوت، وتسعى لإقامة حكومات محلية وطنية وموالاة الكفار، وتخلت عن تطبيق الشريعة، ولا تسعى لإقامة الخلافة الإسلامية.

المدرسة الثالثة تتشكل من مجموعات جهادية تتبنى مواقف محلية أقرب إلى الفرع السوري المنشق عن القاعدة بقيادة جبهة النصرة بزعامة أبو محمد الجولاني، وهي قريبة من نهج حركة طالبان في أفغانستان وحركة حماس في غزة، فقد دخل تنظيم هيئة تحرير الشام في إدلب في سلسلة تحولات عميقة منذ إعادة تسمية التنظيم الأخيرة في كانون الثاني/ يناير 2017، باسم هيئة تحرير الشام، حيث سعت الهيئة للتخلص من إرث القاعدة باعتبارها تتوافر على أجندة متشددة على الصعيدين الإيديولوجي والاستراتيجي، وشرعت بتقديم نفسها كمجموعة جهادية محلية تهدف إلى محاربة النظام السوري، دون أي أجندة جهادية عالمية، فقد تحوّل خطابها من تبني الجهاد العالمي إلى التركيز على الشأن المحلي، ولم تعد تستخدم مصطلحات االجهادية العالمية، فقد اختفت مصطلحات المعجم الجهادي القاعدي؛ مثل «جهاد الأمة» أو جهاد الأمة الإسلامية، والمعجم الجهادي الطائفي مثل «الجهاد ضد النصيرية»، وحلّ مكانها مصطلحات مختلفة؛ مثل «الجهاد» للدفاع عن الثورة السورية، و «النضال من

أجل حرية الشعب السوري»، وعملت بجد للتخلص من تصنيفها حركة إرهابية، وفتح قنوات للتواصل مع الدول الإقليمية والعالمية، إذ لم تكتفي بقطع علاقاتها مع كل من الدولة الإسلامية عام 2013، والقاعدة في عام 3017، بل دخلت معهما في صراع دموي مسلح للبرهنة على صحة اعتدالها، وهي تعمل بجد من أجل رفعها من قوائم الإرهاب العالمية، باعتبارها خطوة لا غنى عنها لإعادة تأهيلها واستدخالها، والاعتراف به كحركة تحر وطني، وغدت أولوية الهيئة السعي لتأمين مستقبلها السياسي في سورية، ونموذجه أقرب إلى طالبان وحماس.

في الوقت الذي عانت فيه «الجهادية العالمية» من صعوبات عملياتية بالغة في إعادة التكيّف الهيكلي والمالي وتنشيط عمليات الدعاية والاستقطاب والتجنيد الضرورية لمواصلة التمدد والانتشار وتنفيذ الهجمات في ظل تركيز الجهود العالمية والمحلية أولوياتها على المخاطر «الإرهابية» الأمنية، حلّت جائحة فيروس كورونا المستجدّ (كوفيد 19) في أسوأ وقت لمنطقة الشرق الأوسط، مانحة ممثلي «الجهادية العالمية» الأبرز تنظيم «الدولة الإسلامية» وتنظيم «قاعدة الجهاد» فرصة مثالية نادرة لاستثمار الوباء للانبعاث من جديد، فقد استثمرت الجهادية العالمية حالة الفوضى والانشغال العالمي بأولوية الحفاظ على الصحة العامة من منطلق وبائي أولا، ثم بإعادة تشغيل المحرك الاقتصادي العالمي ثانيا، وبات الاهتمام بحرب «الإرهاب» في مرتبة ثالثة.

وتبدو أفريقيا ساحة واعدة لتنظيمي الدولة الإسلامية والقاعدة في زمن جائحة «كورونا»، فقد كثّف التنظيم من هجماته في مناطق غرب أفريقيا ومنطقة الصحراء والساحل، وشرق أفريقيا في الصومال، حيث نشطت الجهادية في غرب أفريقيا، شمال شرقي نيجيريا، وحول بحيرة تشاد، وشن فرع تنظيم الدولة في ولاية وسط أفريقيا هجمات عنيفة ما بين النيجر ومالي وبوركينا فاسو وصولًا إلى خليج غينيا، وتمدد التنظيم وشن هجمات في موزمبيق وفي الصومال تنامت هجمات ولاية شرق أفريقيا، إلى جانب هجمات حركة الشباب[207]. وكان واضحاً تزايد حضور تنظيمي الدولة الإسلامية والقاعدة في القارة الإفريقية، فحسب نشرة «مؤشر الارهاب العالمي» التي نشرت في نوفمبر/ تشرين الثاني 2020 نقل تنظيم الدولة الاسلامية «مركز ثقله» من منطقة الشرق الاوسط

207 انظر: حسن أبو هنيّة، الجهادية العالمية تنتعش بفضل جائحة «كورونا»، معهد السياسة والمجتمع، على الرابط: https://tinyurl.com/2rrtb6jy

إلى القارة الأفريقية وإلى جنوب القارة الاسيوية بدرجة إقل. وقد لاحظ التقرير قدرة التنظيم على استغلال النزاعات الأخرى المشتعلة في أفريقيا والتي اندلعت بسبب مظالم ومطالب محلية، حيث قام بإعادة تشكيل هذه الحروب المحلية بناء على صورته، وقد أشار لكاتبين كولين كلارك وجاكوب زين، في تقرير آخر إلى أن تنظيمى داعش والقاعدة سيكثفان من هجماتهما فى الأشهر المقبلة مستغلين ضعف الدول الإفريقية والصراعات والمشاحنات الداخلية، بالإضافة إلى اعتزام الدول الغربية سحب قواتها من القارة مقابل التركيز على مواجهة روسيا والصين.[208]

إن التنافس العالمي مع دول أمثال روسيا والصين والانسحاب لإعادة التوازن الاستراتيجي نحو آسيا المحيط الهادي، التي بدأت مع الرئيس أوباما وتواصلت مع ترامب وتترسخ مع بايدن، سوف يلقي بظلاله على جهود الشركاء المحليين في محاربة الإرهاب، فتراجع الدور الأميركي بفسح المجال لتدخلات دول أخرى كالصين وروسيا وغيرها، فأنشطة مكافحة الإرهاب الأميركية في أفريقيا، التي تمثل حوالي 0.3 في المائة من أفراد وموارد الميزانية الخاصة بوزارة الدفاع وتتضمن بشكل أساسي أدواراً تدريبية وإرشادية. ففي كانون الأول/ديسمبر 2019، وفي إطار المراجعة التي أجراها وزير الدفاع الأميركي مارك إسبر لعمليات الانتشار العالمية، قدم «مقترحات لخفض كبير في عدد القوات الأميركية، أو حتى سحبها بالكامل من غرب أفريقيا»، وقد شهدت «أفريكوم» تخفيضات وصلت إلى 10 في المائة من قواتها في القارة الأفريقية، من أجل التصدي لتحديات أمنية في أماكن أخرى، وحسب ماثيو ليفيت؛ سواء كان تنظيم «القاعدة» أو «الدولة الإسلامية» أو الجماعات الإرهابية الأخرى في أفريقيا تشكل تهديداً مباشراً للوطن الأميركي اليوم أم لا، فقد أصبحت أفريقيا بؤرة إرهابية سريعة النمو، حيث تتضاعف حوادث التطرف العنيف في منطقة الساحل كل عام منذ 2015. ومن الحماقة الانتظار إلى أن ينتشر هذا التهديد ويشكل فجأةً تهديداً للوطن الأميركي قبل اتخاذ قرار بالانخراط بشكل ناشط للمساعدة في مكافحة الإرهاب في أفريقيا.[209]

208 انظر:كولين كلارك وجاكوب زين، داعش والقاعدة تستعدان للتوغل أكثر فى أفريقيا فى 2021، موقع ديفنس ون، على الرابط: https://tinyurl.com/f5ey8mw5

209 انظر: ماثيو ليفيت، المواءمة بين مكافحة الإرهاب وتنافس القوى العظمى، مرجع سابق.

رغم انقسام الجهادية العالمية إلى ثلاث نماذج إرشادية إيدبولوجية واستراتيجية، ودخولها في حالة من الصراع المسلح، إلا أن ما يجمع هذه المدارس أكبر مما يفرقها، ويبدو أنها جميعاً بدأت بالاقتراب من تهج تنظيم الدولة الإسلامية الذي يستند إلى حروب التمكين والسيطرة، فبالمقارنة مع الفترة الممتدّة ما بين أواخر التسعينيات إلى منتصف العقد الأوّل من القرن الحالي، يركّز تنظيم «القاعدة» حالياً على إطلاق حركات التمرّد ومشاريع الحوكمة المحليّة في العالم الإسلامي أكثر من تركيزه على التخطيط لتنفيذ هجمات في الغرب، حسب ماثيو ليفيت وهارون زيلين؛ ويعود ذلك إلى التطوّر الداخلي للحركة والفرص الأكبر التي أتيحت له لتحقيق هدفه النهائي وهو: إنشاء دولة إسلامية بناءً على تفسيره للشريعة. وإن السياسات الهادفة إلى تخفيف حركات التمرّد ومواجهة مشاريع الحوكمة الجهادية تتطلّب حلولاً مختلفة عن منع الهجمات المُحتمَلة ضدّ المصالح أو الأراضي الغربية. وإذا عجز المسؤولون الأميركيون عن فهم هذا التمييز، سيكون لتنظيم «القاعدة» مجموعة لا تنتهي من العملاء الجُدد القادرين على استبدال أولئك الذين قُتلوا في حملات الطائرات بدون طيّار.[210]

لا يبدو أن عودة الاندماج بين القاعدة وتنظيم الدولة الإسلامية مستحيلاً، بل هو أقرب إلى الممكن والواقع كما حدث سابقاً عندما اندمج أبو مصعب الزرقاوي مع قاعدة أسامة بن لادن، فاحتمالات الاندماج والتوحد ممكنة، فما يجمعها أكثر مما يفرقها، وهذه المرة معاكسة للاندماج الأول، حيث تذهب القاعدة إلى تنظيم الدولة بعد غلبة تموذج الدولة والحوكمة والسيطرة والتمكين، وهو سيناريو «كابوس مكافحة الإرهاب» الذي اقترحه بروس هوفمان، فربما يعود تنظيما «القاعدة» و «داعش» إلى التوحد مرة أخرى، ففي مناطق عدة في أفريقيا دخلا في نوع ما من التحالف أو التعاون التكتيكي. ومع أنه لا يبدو وارداً تماماً في المدى القريب، فإن مثل هذا التقارب سوف ينطوي على الكثير من المنطق لكلتا المجموعتين، وسوف يؤدي بلا شك، إلى نجوم تهديد «سيكون كارثة مطلقة ولم يسبق لها مثيل بالنسبة لحكومة الولايات المتحدة وحلفائنا».[211]

210 انظر: ماثيو ليفيت وهارون ي. زيلين، العمليات الخارجية لتنظيم «القاعدة» بعد عام على هجوم بينساكولا، 11 ديسمبر 2020، معهد واشنطن، على الرابط: https://tinyurl.com/uru9734d

211 انظر: بروس هوفمان، الاندماج القادم بين «داعش» و «القاعدة»: حان وقت أخذ هذا التهديد على محمل الجد، (فورين أفيرز) 2016/3/29، ترجمة: علاء الدين أبو زينة، جريدة الغد، على الرابط: https://tinyurl.com/cz94umbj

إعلان إلحاق هزيمة نهائية للجهادية العالمية، لا ينطوي على حقائق موضوعية، فالمقاربات العسكرية والأمنية التي ترتكز على التدخلات الخارجية ثبت أنها تحقق انتصارات تكتيكية،فضلاً عن كونها سبباً في تنامي التوجهات الجهادية، فالمشكلة الرئيسية لصعود الجهادية ترتبط بالأسباب الجذرية والظروف الموضوعية التي ساهمت بصعود القاعدة وتنظيم الدولة الإسلامية، وهذه الأسباب تبقى دون معالجة حقيقية، فالوضع السياسي والاقتصادي والأمني في منطقة الشرق الأوسط وأفريقيا أكثر هشاشة، وتعاني المنطقة من ضعف الاستقرار، ففي معظم البلدان التي ينشط فيها تنظيمي الدولة والقاعدة، تفتقر القوات الرسمية المحلية إلى الكفاءة والموارد اللازمة في ملاحقة العناصر الجهادية في إطار تحول التنظيمات الجهادية إلى نهج الاستنزاف وتكتيكات حرب العصابات، إذ يشكل ضعف الاستقرار وتراجع عمليات إعادة الإعمار، إلى جانب سوء الحوكمة وسيادة منظومة الفساد وشيوع الاستبداد، وتفشي الطائفية، الحاضنة الكافية لعودة تنظيمي القاعدة والدولة، وفي منطقة رخوة تعاني من التدخلات الخارجية وصراع القوى الإقليمية والعالمية، شكلت جائحة «كورونا» هدية إضافية لعودة أنشطة الجهادية، وسط شكوك حول الدور المستقبلي لمهمة التحالف الدولي في الشرق الأوسط وأفريقيا.

ولا تزال منطقة الشرق الأوسط وأفريقيا بعيدة عن تحقيق استقرار مستدام، إذ تعاني دول المنطقة من وجود أنظمة سلطوية وشبه سلطوية، تفتقر إلى الديمقراطية وتعاني من غياب الحرية، فضلاً عن تصاعد نسب الفقر والبطالة، فالأسباب الباعثة على التطرف العنيف في المنطقة، تتمثل بانسداد آفاق التغيير السياسي الداخلي، وعدم التوصل إلى حل عادل للقضية الفلسطينية، وتنامي حدة التدخلات الخارجية، وقد شكلت جائحة «كورونا» هدية إضافية لعودة أنشطة الجهادية.

ما بعد الخلافة ومستقبل الجهادية في أفريقيا

عباس محمد صالح عباس

إنّ تجربة «داعش» في سورية والعراق، قد شكلت نموذجا ملهمًا لحركات الجهاد العالمي. وفي أفريقيا، حيث بيئة هشة على أكثر من صعيد بشكل عام، تتوفر عدة عوامل مساعدة على إنتاج هذا النموذج في القارة السمراء بأشكال مختلفة، رغم اضمحلاله عالميًا.

على هذا النحو، من القاعدة الى «داعش»، ظلت الفصائل المنتمية لهذين الفصيلين تتعايش لسنوات، واستمر ذلك لسنوات وهو ما أطلق عليه البعض بـ «الاستثناء الجهادي»، غير انه قد تحول مؤخرا الى تنافس حول السيطرة والنفوذ.

باتت أفريقيا حاليًا، وجهة عالمية جديدة للحرب على الإرهاب؛ بعد صعود نماذج جهادية في القارة كجزء مما بات يعرف بـ»شبكات الجهاد العالمي»، وذلك من خلال السيطرة على الأرض وإدارة السكان، وهو ملامح مهمة جدا لفهم مستقبل هذه الحركات.

أولًا: عوامل استمرار خلافات داعش في أفريقيا:

- رخاوة الحدود، وغياب التكامل الإقليمي للتعامل مع التحديات والتهديدات العابرة للحدود، كالإرهاب، فضلا عن فشل التجارب الدولية في مكافحة الإرهاب.
- أزمة الحكم والاضطرابات السياسية، واتساع رقعة المجالات غير المحكومة في أكثر من بلد، وبين الدول أيضا. وكذلك ضعف الحكومات المركزية، ما يشجع هذه المجموعات على التمدد وبسط سلطاتها وإرساء نموذجها في «الحوكمة».
- العامل الديموغرافي: حجم كتلة الشباب من السكان، حيث تشيع بينهم البطالة والفقر والرغبة في الهجرة، في ظل انعدام التنمية وسيادة اليأس.
- فشل سياسات مكافحة الإرهاب: إن مقاربة استخدام القوة فقط ووحشية الأجهزة الأمنية دفعت العشرات الى أحضان التطرف.
- صراع الرعاة والمزارعين: وقد برز هذا العامل مؤخرا في أكثر من بلد وباتت له انعكاسات امنية كبيرة خاصة في دول مثل: نيجيريا ومالي والنيجر وبوركينا فاسو.
- الجهاد: بات هناك ديناميكية تقوم على التدامج بين المحلي والعالمي في الظاهرة الجهادية؛ بمعنى توجد نماذج لمجموعات محلية سعت للارتباط بالجهادية العالمية

او ارتبطت بها على نحو ما. ومن أبرز هذه النماذج الراهنة حاليًا: شمال موزمبيق (مجموعة «الشباب» او «اهل السنة والجماعة»). الكونغو الديموقراطية (القوات الديموقراطية المتحالفة او فرع داعش - ولاية وسط أفريقية». كتائب تحرير ماسينا» والتي تجسد ما بات يعرف في الساحل الكبير بالجهاديين «الفُلان»، إذ تلعب عوامل كالتهميش العرقي والقمع الحكومي وغيرها، في دول كمالي والنيجر وبوركينا فاسو في «عرقنة» الجهاديين المحليين الذين يرون في الارتباط بتيارات الجهاد العالمي وسيلة لنصرة قضاياهم، بخاصة عملية استهداف على أساس عرقية (الوصم العرقي) من قبل القوات الحكومية والأجنبية. جماعة «بوكو حرام» - والدولة الإسلامية (ولاية غرب أفريقيا) في نيجيريا وحوض بحيرة تشاد.

ثانيا: أهم السيناريوهات:

ومما تقدم سوف يستمر الصعود الجهادي في القارة السمراء مستقبلا، ومن هنا نتوقع السيناريوهات التالية:

- سيطرة متقطعة؛ ربما أشبه بعمليات الكر والفر بين الجهاديين والقوات المحاربة لهم سواء كانت محلية او إقليمية او دولية.
- سيطرة من خلال بؤرة جذب جهادية يمكن تؤسس «خلافات» يتفاوت حجمهما من دول الى أخرى ومن منطقة الى أخرى يمكن ان تستمر إذا لم تصطدم بمصالح «الآخرين».
- احتدام التنافس بين الجهاديين: الصراع بين التطرف والأكثر تطرفا؛ حاليا يتصارع الفصيلين «بوكو حرام» والدولة الإسلامية (ولاية غرب أفريقيا) حول بسط السيطرة على المواقع الحصينة والقواعد الخلفية مثل غابات «سامبيسا» الحصينة في نيجيريا مثلا.
- «المقاتلون الأجانب»: قد يأخذ تدفق هؤلاء المقاتلين في حالة أفريقيا نمطًا مختلفًا عن ذلك النمط الذي برز في حالة داعش في سورية والعراق، بأن يكون إقليميًا (من داخل القارة، او من البلدان الواقعة في إقليم واحد)، إذ أن هناك عوامل مساعدة على ذلك، ومنها: أولًا، التجنيد من خلال السيطرة على الأرض والسكان. وثانيًا، تدفق مقاتلين من بلدان مجاورة او من الإقليم. وثالثًا، استمرار إلهام الآلة الإعلامية لداعش، لاسيما

انتاج مواد باللغات المحلية واسعة الانتشار كالفُلانية والهوسا والسواحلية.. إلخ.

ثالثا: التوصيات:

في ضوء مناقشات هذا المؤتمر، والمؤشرات الماثلة بان يكون مستقبل الجهادية العالمية، وتحديدا تنظيم داعش، متركزًا في بعض اجزاء القارة الافريقية، نوصي بالآتي:

أولا، نحو سياسات جديدة تجاه الظاهرة الإرهابية ونزع الراديكالية من خلال برامج وسياسات وطنية، أي امتلاك المؤسسات الوطنية الموثوقة هذه البرامج بدل ان تكون برامج مفروضة من الخارج او لدى المؤسسات الأمنية المحلية في إطار شراكاتها مع الدول الخارجية، بجانب التركيز على تجاوز الثغرات في الخطط «الوطنية»، حيث تطرق بعض المشاركين الى النموذج الأردني على سبيل المثال.

ثانيا، إنشاء شبكات وطنية للبحث وإنتاج المعرفة حول الحركات الجهادية لفهم الديناميكيات وراء انتعاشها وانتشارها على المستويات المحلية الأكثر دقة، وبالتالي تقديم حلول ومقاربات أكثر فاعلية في التعاطي مع هذه الظاهرة.

ثالثا، بعد نموذج التفاوض بين حركة «طالبان» والولايات المتحدة، باتت فكرة الحوار مع الجهاديين مطروحة بقوة في أكبر من بلد في الساحل الكبير، وتحديدا في مالي وبوركينا فاسو، وبالتالي يقتضي هذا دراسة سيناريوهات وطرائق الحوار مع الجهاديين كوسيلة لتسكين الحالة الجهادية، والحد من مخاطرها على بلدان تعاني أصلا من مشكلات هيكلية خطيرة، كما انها لا تقوى على تحمل تبعات أي صعود جهادي كتجربة «داعش» في سورية والعراق، وتفحص التداعيات التي تترتب على هذه المقاربة.

المناقشات

د. محمد أبورمان

بعض الخلاصات التي يمكن الخروج بها من، أولاً، أعتقد أن تراجع التنظيم في العراق وسورية لا يعني بالضرورة نهاية التنظيم، واضح تماماً أن الشروط المنتجة للتطرف والإرهاب في العالم العربي موجودة وما تزال قائمة، وهنالك آلاف الأطفال وعائلات عديدة، هنالك مشكلة حقيقية في هذا الموضوع. أيضاً ضعف التنظيم في مكان يمكن أن يؤدي إلى الصعود في مكان آخر، المؤشرات تؤكد على أن هنالك عودة لصعود التنظيم في أفريقيا بشكل ملحوظ، وفي أفغانستان هنالك أيضاً حضور للتنظيم.

الأمر الثاني، أنّ شروط صعود التنظيمات هذه ترتبط بالسيسيولوجيا أو الجوانب الاجتماعية والثقافية والسياسية، أكثر مما ترتبط بالجوانب الأيديولوجية.

الأمر الآخر، هنالك مشكلة كبيرة في التعامل مع استراتيجيات مكافحة الإرهاب على الصعيد العالمي وعلى الصعيد الإقليمي وعلى الصعيد المحلي، وللأسف ما نراه وما نلاحظه أن هنالك استثمار في الإرهاب أكثر مما أن هنالك مكافحة للإرهاب والتطرف، والتعامل عادة يكون مع النتائج وليس مع الشروط والأسباب

تشارلز ليستر

جوهر المشكلة أو القضية لا تتعلق بالأيدلوجيا أو الدين، فبالنظر إلى واقع التنظيم فإنّنا نصل إلى الاستنتاجات التالية:

أولا المشكلة لا يمكن أن تُقتل، بمعنى أنه لا يمكن القضاء على وجود التنظيم ميدانيا وعسكريا، بل يجب معالجة الموضوع بشكل سياسي واضح، إلا أنّ هذا الأمر يشكل تحديا معقدا، ثانيا معالجة هذا الأمر يحتاج إلى فترة طويلة جدا.

السؤال الذي سأطرحه يتعلق بعملي مع فريقي البحثي حول (منظمة) هيئة تحرير الشام في سورية، التي جمعت معلومات عنها على مدار عشر سنوات، هذه المنظمة حاليا تسعى جاهدة للوصول إلى المجتمع الدولي بغية تحسين سمعتها، الأسئلة المطروحة الآن: هل هذه الجهود حقيقية؟ وإذا كانت حقيقية ما هي الاستجابة المناسبة؟

د. خالد سليم

هناك عدة متغيرات أثرت على بنية وبرنامج الجهاد العالمي، المتغير الاول يتعلق بحالة التطبيع الصهيوني مع بعض الدول العربية السنية والذي سيكون له أثر (برأي المتحدث) على تعزيز حالة الانقسام السني الشيعي، المتغير الثاني حول غياب النموذج الوسطي رغم ادعاء الدول بأنّ خطاباتها وسطية (كذلك تصنيف جماعة الإخوان المسلمين كمنظمة إرهابية رغم الصورة المعروفة عنها كجماعة معتدلة) أثر على موضوع الجهاد العالمي، المتغير الثالث تجذر وتعزز التيار اليميني المتطرف أثر على موضوع الجهاد العالمي، المتغير الرابع تعثر الانتقال الديموقراطي، جزء منه ارتد لنظم عسكرية، جزء منه نتائج الانتخابات سمعناها قبل أسابيع. حتى في النموذج التونسي، ورغم اندماج الحركات السلفية في العملية الديموقراطية، إلا أنه ما يزال هنالك حالة تعثر وحالة التجذر للصراع العلماني الديني.

السؤال أوجهه إلى الأستاذ حسن بنظرك ما أثر هذه المتغيرات على الحركة الجهادية العالمية، وحقيقة ما السيناريو الذي تراه لبنية هذه الحركة؟ هل ستكون مركزية أم ستكون لا مركزية يوحدها افتراضية الخلافة، ما الشكل الذي تراه لبنية الجهاد العالمي خلال السنوات العشرة القادمة؟

سعود الشرفات

من خلال المتابعة سواء على المستوى النظري، أو المستوى العملياتي، أو موضوعات مكافحة الإرهاب، أو نظريات تفسير الإرهاب وأسبابه، يلاحظ أنه حتى اليوم لا زال هذا الموضوع لم يحسم. ماهي أسباب الإرهاب؟ أظن بأنه اللجوء إلى دراسة الأوزان النسبية للأسباب يعني ممكن أن يعطينا مخرج لهذه الأسباب، نحن نستمر بالقول بأن أسباب الإرهاب الرئيسية ليست فقط الأسباب الدينية أو الأيديولوجية، هناك أسباب أخرى. لكن السبب الرئيسي، أنا أريد ان أضع يدي في المنطقة العربية على الأقل، ما هو السبب الرئيسي من ضمن منظومة الأسباب والمصفوفة الطويلة والعريضة والعميقة من هذه الأسباب؟ أنا من وجهة نظري السبب هو سبب ديني في الأوزان النسبية، نعم هنالك أسباب اقتصاديّة واجتماعية واقتصاديّة ومسألة الحروب في مؤشر الارهاب العالمي الذي أصدره معهد الاقتصاد والسلام في استراليا في آخر دراسة، هو تحدث بأن 95%

من أسباب الإرهاب والعمليات الإرهابية على الأقل في منطقة الشرق الأوسط وجنوب غرب آسيا من دولنا العربية العراق وسورية هي دول تقع في قلب جغرافية الغضب، في المناطق التي تعاني من الصراعات. لكن أنت يجب أن تضع لي مصفوفة وترتيبهم وتقول لي ما هي الأسباب، السبب اقتصادي أو اجتماعي وتضع كل وزن نسبي لهذه العوامل، الوزن الاقتصادي هو كذا، والوزن النسبي للعامل الاجتماعي هو كذا، وزن الدين في منظومة التطرف والإرهاب أو التطرف العنيف والراديكالية المفضية للإرهاب هو كذا. هذا لا نشهده كثيراً.

للأسف الأسباب الاقتصادية تم العمل عليها خلال العقدين الماضيين ليس في الوطن العربي لسوء الحظ، لكن المنظومة المعرفية الغربية في الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا وفرنسا وقفت على موضوع الأسباب الاقتصادية، ولا أخفيكم بأن جزءاً كبيراً من النقد الذي يوجه لهذه المقاربة بأن الأسباب الاقتصادية هي وراء التطرف والإرهاب، يقال أنت تريد أن تتهرب عندما تقول بأن أسباباً اقتصادية واجتماعية واستعماراً وهكذاً، تريد أن تتهرب من مشكلة موجودة لديك. الدول إذا أتينا للأسباب الاقتصادية على أساس أنّها المحرك أو الجذر الحقيقي للإرهاب، نجد هناك دول متخلفة وهناك دول لا تجد قوت يومها، ولكنها صفر عمليات إرهابية، وهذا ينطبق أيضا على مستوى القادة، زعماء أغنياء مثل أسامة بن لادن والظواهري وغيرهم لم يكونوا فقراء، لم يكونوا يسفّون التراب وذهبوا إلى الإرهاب، هذا سؤال أظن أنه يحتاج منا الى المزيد من التأكيد.

بالنهاية، حتى لو افترضنا بأن الأيديولوجية أو الدين مهما كان هذا الدين ولا يقتصر ذلك على الدين الإسلامي فهناك موجة عارمة جدًّا من التطرف القومي، واليمين المتطرف الذي بات ينتشر الآن في أوروبا والولايات المتحدة الأميركية، ونحن رأينا في الأيام الأخيرة من عهد ترامب كيف تحرك هذا اليمين المتطرف والأميركان حتى هذه اللحظة محتارون ماذا يسمونه، هناك حاجة إلى مقاربة كلانيّة مقاربة (Holistic Approach) تضع كل المحددات وكل العوامل ولا تستثني أي عامل من العوامل، ونضعها كمسببات للإرهاب، لا نقول ايديولوجية، ولا نقول اقتصاديّة، ولا نقول اجتماعية، بل ندخلها كلها في الدراسة ونفحصها حتى نتحقق من هذا، وطبعاً نفعل هذا بكل بجراءة وبحيادية وموضوعية، لا نريد أن نتهرب من مسؤولياتنا ولا من مسؤوليات الدول التي نمثلها، هذه أفضل مقاربة باعتقادي لفهم الجدل الدائر حول موضوع أسباب الإرهاب.

في السرديات، نعلم أن هناك سرديات تقريباً ثلاث سائدة: لدينا السردية الواقعية فالحديث عن المقاربة الأميركية بأنها المسيطرة، هي الواقعية السياسية، وترى بأن وحدة التحليل الرئيسية هي الدولة ولا تعترف بجماعات ما دون الدولة، الأميركية هناك الكثير من الخبراء الذين يتحدثون عن أهمية (Non State Factor) أو الجماعات ما دون الدولة، لكن عقل الدولة لازال واقعيًا. لا يزال ينظر إلى أنّ الإرهاب ليس مشكلة، بغض النظر ما إن كان الإرهاب يهدد المصالح الأميركية أو لا يهددها. ولديك المقاربة البنائية، وهي تحاول أن تدمج العوامل الاجتماعية التي قلنا عنها مع العوامل السياسية. مشكلتنا نحن في المقاربات الإسلامويّة تعاني من ضعف شديد وتأخذ مسارات إما تبريرية أو تكتفي بالإدانة.

ماهر الفرغلي

لدي جملة من الخلاصات أود البوح بها في نهاية هذا المؤتمر:

أولا، المقاربة الأمنية التي تعالج هذه الظاهرة، التطرف العنيف أو الإرهاب فيها قصور كبير جدًّا، وهي ليست الحل الوحيد لعلاج هذه الظاهرة. من المفترض أن يكون لدينا مقاربة وقائية وأخرى علاجية لمن وقعوا في التطرف، وأخرى تفكيكية للمنظمات الإرهابية؛ الاعتماد الكلي على التفكيك وتغيير مسارات هذه التنظيمات بالقوة وبالأمن هو فاشل إلى حد كبير جدًّا، وهذا يحتاج إلى استراتيجية ضخمة، وهذه الاستراتيجية لا ينفع أن تقوم بها دولة واحدة ولا هيئة واحدة ولا مؤسسة، هذه الخلاصة الأولى من وجهة نظري.

ثانياً، المجتمع العربي كله لديه قابليّة للتطرف، لأننا نحن شعوب تقريباً نؤمن بالنص (نصوصيّون)، نؤمن بموضوع السلف والرجوع للسلف، هذا مهم جدًّا لدى شعوبنا ولدى مجتمعاتنا ورُبّينا على ذلك، ومن ثم علاج هذه الظاهرة من خلال قضية الفكر، والفكر بالفكر وهذا الكلام الذي يطرح غالباً في منصات كثيرة جدًّا هو علاج قاصر جدًّا وصعب، وخاصة أننا لن نستطيع أن ننسف كل التراث الديني، استحالة أن ننسف التراث أو تقدس التراث بشكل آخر، أو تأخذ من التراث الإيجابي وتترك السلبي وهذا صعب. وهذه الجماعات وهذه التنظيمات الإرهابية لن تستجيب حتى لأي تصويبات أو تعديلات أو قراءات أخرى للنص الديني من خلال بعض المؤسسات أو من

بعض الأفراد؛ فموضوع العلاج بالفكر موضوع صعب جدًّا. القابلية للتطرف تتحول إلى تطرف عنيف ثم إلى إرهاب ومن ثم مشكلة عميقة في مجتمعاتنا، خاصة أن هناك فرصاً غير مسبوقة بعد الربيع العربي وفرصاً في الطائفية وفرصاً بموضوع فلسطين وغيرها تهيئ لمسألة الإرهاب والتطرف وبروز هذه الجماعات.

ثالثاً، الظاهرة قابلة للتمدد وقابلة للانتشار وقابلة لوجود نظريات جديدة اليوم، لأن هذه الجماعات كما قال لي بشكل شخصي أحد قياداتهم وهو من تنظيم القاعدة «هشام اباظة» في لقاء شخصي مباشر معه قريباً، قال لي، لدينا العمل يسبق التنظير، نحن نعمل العمل ثم نبحث له عن دليل لننظر على مدى دقته ومدى صحته، بمعنى أن الدليل يأتي مؤخراً، ولا يأتي سابق للعمل. ومن ثم هذه الجماعات سواء محلية أو معولمة أو جهاد معولم، تبحث عن الأدلة بعدما تقوم بهذه العمل.

د . مروان شحادة

من الخلاصات التي توصلت إليها، بما أنّ النظم السياسية والدول عاجزة عن إيجاد حلول لمشكلة الإرهاب والتطرف، فكذلك الجماعات الإسلامية سواء كانت المعتدلة أم المتشددة، تعيش في حالة من الأزمة أيضاً لمعالجة الواقع المعاش، إذاً كلا الطرفين يعيشان في أزمة كبيرة، باعتقادي سببها ربما الاحتلال، الاحتلال مازال جاثماً على قلوب الأمة العربية والإسلامية، كذلك القضية الفلسطينية، موضوع الفساد، وعدم جدية الحكومات والنظم السياسية في الإصلاح، ناهيك عن عمليات الإقصاء لنسيج هام في المجتمع. إذا سلمنا أن الجماعات بما فيها المتشددة والمتطرفة أنها جزء من النسيج الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي في المجتمعات، علينا أن نجد حلولاً لإدماجهم وليس إقصاءهم وإبعادهم عن المشهد بالكلية؛ لأنه كما نحن نمارس عمليات الاستئصال والإقصاء الممنهج عبر سنوات طويلة، كذلك هم يضطروا ليمارسوا سياسة الاستئصال بالقتل والتكفير ونشر العنف أيضاً المضاد لمواجهة استبداد الدول. في تقديري، إنّ الجهود التي تمارسها الدول في مواجهة إعلام الجماعات الجهادية المسلحة أيضاً نجحت إلى حد كبير في الفترات الأخيرة، لأنّ بعض الشركات التي تقدم خدمات لمواقع التواصل الاجتماعي بدأت في قرصنة الحسابات وعلى رأسها تويتر وفيسبوك وأيضاً واتساب وغيرها من الشركات التي توفر خدمات توفير منصات ومنابر إعلامية بديلة وإن

كانت رقمية، ولكن يصلها ومحتواها يصل إلى جمهور واسع من مؤيدي وأنصار هذه الجماعات، فضلاً عن عناصر وقيادات هذه الجماعات.

في تقديري أيضاً أنّ الجهود المتواصلة بالتواصل والتشاور والتباحث مع المختصين ربما يساهم في الحد من التطرف ومعالجة مشكلات النظم السياسية القائمة أيضاً كما قلت ليست المشكلات والتحديات التي تواجه النظم السياسية بمعزل عن الجماعات، والعكس صحيح.

د. محمد العظامات

أوصي بثلاث توصيات:

1- نتخلص من عقلية الاستثمار في مكافحة التطرف والإرهاب، كما تحدث د. محمد أبو رمان عقلية الأعمال (Business) ، عقلية استجداء المساعدات الأمنية، وليتها تذهب باتجاه مكافحة التطرف والإرهاب.

2- بحكم أننا ناطقين باللغة العربية ومسلمين أو حتى لو كنا من ديانة غير إسلامية، لكن نحن على اضطلاع أكبر في الديانة الإسلامية، أعتقد بأننا نحن الأقدر على فهم هذه الظاهرة والأقدر على استيعابها، وبناء ونسج التوصيات اللازمة لمكافحتها.

3- تقليل الفجوة ما بين الأمني والأكاديمي، اسمحوا لي بجرأة أن أتحدث بأن أقول، لا زالت مؤسساتنا الأمنية ووكالاتنا الأمنيّة، وأنا هنا أقصد الوكالات الأمنية المتعلقة أو الخاصة بمكافحة الإرهاب، يكفي إغلاقها الدروج على هذه الملفات أتحدث عن مقابلة نزلاء قضايا التطرف والإرهاب، أتحدث عن إحصائيات، ودراسات، واستشارات، لكن في الحقيقة المختصين والأكاديميين في العالم العربي هم آخر فئة يحق لها أن تتدخل أو تبدي رأيها في هذا المجال. إذا حققنا هذه التوصيات الثلاثة، أعتقد أن فهمنا للتطرف والإرهاب سيكون أكثر شمولية وأكثر دقة، وبالتالي نستطيع أن نقترح توصيات منطقية قابلة للتنفيذ.

تعقيب

حسن أبو هنية

حقل الحركات الجهادية أو العنيفة أو ما يسمى الإرهاب، مرتبط بالاستراتيجيات العسكرية والأمنية والمصالح والأمن القومي، يعني حتى مصطلح الإرهاب ليس له تعريف، ولذلك كما عرفه إدوارد سعيد هو عبارة عن مصطلح ذاتي غير موضوعي، بمعنى سلطة القوة كما ذكر جاك دريدا هي التي تحدد من هو الإرهابي وهوية الإرهابي وليس ذات الفعل، إذا نظرت إلى الحالة الفلسطينية فهناك عدو واحتلال باعتراف القانون الدولي، ومع ذلك يصنف حركات نصنفها مقاومة على أنها إرهابية، هناك حركات سلمية مثل الإخوان المسلمين بصرف النظر عن وجود بعض العنف، لأن العنف كما يقول الفيلسوف الإيطالي دومينيك لسيرجيو إنه ليس خياراً أصلاً، العنف بالخيار ليس مخيّراً، ولذلك الأميركان حاليًّا توصلوا إلى تعريف ظريف وهو فقدان الخيارات، لا تترك لهذا الشخص خيارات، فإذا نظرت إلى كل الحركات هي التي بدأت من المستوى محلي، سواء كان نمور التاميل أو العمال الكردستاني أو أي حركة من التي درسناها الذين ارتبطوا بتنظيم القاعدة أو تنظيم الدولة، هي حركات ذات طبيعة محلية لها مشاكلها، ولذلك لا يوجد هناك وصفة، مثلاً ما ذكره أستاذ سعود الشرفات أنّ السبب الأكبر هو الدين هو تقييم صعب؛ لماذا؟ لأنّ الأسباب تختلف من مكان لآخر.

من الضروري هنا الإشارة إلى مصطلح «أسطورة العنف الديني»، كما ذكره ويليام كافانو؛ بمعنى العنف المرتبط بدين محدد مثلاً وليس المرتبط بإيديولوجيا علمانية، إذ نعلم أن عصر الإرهاب بدأ في أوروبا بعد الثورة الفرنسية، ونعرف بأنّ هناك جدلاً في أن فلسفة التنوير الأوروبي التي ظهرت أوجدت أكبر ثلاث ظواهر إرهابية أو متطرفة أو عنيفة، هي ظاهرة الستالينية، وظاهرة الهولوكوست، وظاهرة الاستعمار الكولونيالي. وهذه الظواهر في غاية العنف. لكن مع ذلك نقول إنّ هذا ليس هو التنوير بالضرورة هو تأويل، ودائماً هناك نقاش في الأنثروبولوجيا أو السيسيولوجية بين التقاليد الخطابية لتنتج والتأويلات المجسدة، هناك دائماً تأويلات مجسدة إذا كان في حالتنا، وبالتالي هو العنف قد ينتج بالدين، لكن عليك أن تفهمه، فظاهرة الخوارج على سبيل المثال يرتبط فيها العنف ويتم الحديث عنها دائماً بوصفها الجذر التاريخي والفكري لجماعات الجهاد

المعاصرة، لكن المفارقة أن الخوارج يرفضون الحديث النبوي كمصدر رئيس من مصادر الشريعة ويستندون إلى القرآن وحده، بينما تستند أغلب الجماعات الجهادية المعاصرة إلى الأحاديث النبوية كمرجعية رئيسية، وبالتالي علينا دائماً أن نكون حذرين من تلك الماكينة الثقافوية الاستشراقية التي تربط الدين بالإرهاب، وهكذا علينا أن ننتهي منه لأنه ظاهرة كما قلنا مرتبطة بكل الأيديولوجيات، وكل الأيديولوجيات العلمانية كانت أكثر وأشد عنفاً مع الكولونيالية، الهولوكوست، والستالينيّة.

علينا أن ندرك تماماً أننا أمام ظاهرة مركبة ومعقدة، فأسباب الإرهاب في العراق مختلفة عن سورية مختلفة عن في أي دولة في إفريقيا وجنوب شرق آسيا أو في مناطق أخرى. علينا أن ننظر إلى هذه التعقيدات ضمن المستويات الثلاثة: ظرف عالمي، ظرف الإقليمي وظرف محلي، أصبحت تسمى لدى الباحثين بالأسباب الجذرية للتطرف العنيف.

خلاصة القول، بأننا نقول بأنّ الديمقراطية سلاح فتّاك في مواجهة الإرهاب، لأنها تعني غياب الاستبداد، فتح الآفاق السياسية، مكافحة الفقر، وكلها أسباب جذرية في ظاهرة التطرف العنيف، هل سيبقى عنف حتى لو دخلنا في عداد الدول الديمقراطية؟ نعم سيبقى، لكنه سيبقى محدود جدًّا في إطار دولة تتمتع بكل القيم العالمية الكونية الدينية أو العلمانية، لأن قيم العدالة والحرية ليست قيم علمانية ولا قيم دينية، هي قيم كونية إنسانية.

يمثّل هذا الكتاب حصيلة أوراق بحثية ونقاشات علمية جاءت ضمن وقائع الورشة البحثية المغلقة التي عقدها معهد السياسة والمجتمع بالتعاون مع مؤسسة فريدريش أيبرت في عمان، في 18-17 حزيران 2021، عبر تقنية الزووم، وشارك فيها نخبة من الباحثين والخبراء والمتخصصين العرب والغربيين والأردنيين، أغلبهم حضر جميع الجلسات التي جاءت مكثّفة على مدار يومين، وبعضهم شارك في بعض الجلسات والمناقشات والتعقيبات.

حاول المشاركون في المؤتمر سبر أعماق التداعيات والنتائج المترتبة على انهيار "دولة داعش" في العراق وسورية، سواء على صعيد المنظمة نفسها وقدراته في التجنيد والدعاية السياسية والإعلامية والتعبئة والصلابة الأيديولوجية والتماسك التنظيمي، أم على صعيد قدرة التنظيم على النهوض والصعود مرّة أخرى، كما فعل في مرحلة سابقة عندما تعرض لضربات قاسية 2009-2007، لكنه تمكن من القيام بعملية إعادة هيكلة لأطروحاته الأيديولوجية والفكرية وبنائه التنظيمي، واستثمر في لحظة الربيع العربي وهشاشة الأنظمة القائمة ليسيطر على مساحة واسعة من العراق وسورية، ويشكّل إحدى أكبر الدول في المنطقة، لأعوام محدودة.

ISBN 978-9923-957-36-3

FRIEDRICH EBERT STIFTUNG